العرب (الثقافي)

ذكورة وأنوثة

الكتابة والمرأة والمجتمع والتغيير

خلدون الشمعة، سعيدة تاقي، حياة الرايس، كاميليا عبدالفتاح، أحمد ضحية، علي حسن الفواز، ماهر عبدالمحسن

ص 11 إلى 16

ملف خاص

وجوه

كريمة مختار
كاريزما مصرية تشبه جميع الأمهات ص9

وليد فارس ودينا حبيب
عصا ترامب في مواجهة الإسلاميين ص7

يحيى الشامي
ملكي في أثواب الجمهورية ص8

صدر بعل
الإقامة على جناح طائر ص10

العرب

alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2017/01/22 الموافق لـ 24 ربيع الثاني 1438
السنة 39 العدد 10520

Sunday 22/01/2017
39th Year, Issue 10520

الإسلام الرسمي والجماعات المتشددة في مرمى ترامب

● الإسلاموفوبيا لم تعد حركة، بل مؤسسة حكم في أكبر بلد غربي

من يستطيع إقناع ترامب

❑ **لندن** – لا يبدو أن الرئيس الأميركي الجديد دونالد ترامب لديه من الاستعداد للدخول في تفاصيل الفروق الصغيرة بين المؤسسات الدينية الرسمية في العالم الإسلامي وبين مختلف الحركات التي تقول إنها معتدلة وتلك التي هي أكثر تشدداً أو الأخرى التي تصنّف كإرهابية، ما يجعل الجميع في مرماه خلال المرحلة القادمة.

يأتي هذا فيما تنتقل الإسلاموفوبيا من حركة شعبوية يمينية إلى مؤسسة حكم في الولايات المتحدة كأكبر بلد غربي، ما يجعل الأمر أكثر تحديا لدى الجاليات المسلمة في أوروبا والولايات المتحدة.

وقال مرصد "الإسلاموفوبيا" التابع لدار الإفتاء المصرية (حكومي)، السبت، إن "توجهات الإدارة الأميركية الجديدة وآراءها تجاه العالم الإسلامي تكشف عن حجم الأفكار المغلوطة فيما يتعلق بالإسلام والمسلمين ومدى الخلط بين الإسلام الصحيح الذي ينتهجه معظم مسلمي العالم وبين ما تروّج له التنظيمات الإرهابية التي تدعي انتماءها للإسلام".

وأشار المرصد إلى أن "اتجاهات الرأي لدى الإدارة الأميركية الجديدة فيما يتعلق بالإسلام تدفع المسلمين نحو بذل مزيد من الجهود الحثيثة لإيضاح الصورة الصحيحة".

وأوضح المرصد أن "مخاوف مسلمي الولايات المتحدة تزايدت مع تولي ترامب مقاليد الحكم، خاصة في ظل التصريحات المعادية لهم والتي صدرت عن أعضاء إدارته".

ووضع ترامب مكافحة "التطرف الإسلامي" في صلب سياسته الخارجية مع بداية توليه مهامه الجمعة، حيث تعهد بالعمل مع حلفاء بلاده للقضاء على تهديدات المتشددين.

وقال في خطاب التنصيب "سنعزز التحالفات القديمة ونشكل تحالفات جديدة ونوحّد العالم المتحضر ضد (الإرهاب الاسلامي المتطرف) الذي سنزيله تماما من على وجه الأرض".

وسبق لترامب وخلال سعيه للحصول على ترشيح حزبه الجمهوري لانتخابات الرئاسة أن أكد أن وقف انتشار "التطرف الإسلامي" سيكون أولوية إدارته في حال فوزه بمنصب الرئيس.

وقال ترامب وقتها، في كلمة شرح فيها سياسته الخارجية، إن "احتواء انتشار التطرف الإسلامي هو أحد أهم أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة وكذلك العالم".

وفي مارس 2016، نقلت عنه "سي إن إن" قوله إنه من الصعب التفريق بين الإسلام والإسلام المتطرف.

ومن الواضح أن الرئيس الأميركي الجديد يعتبر أن المؤسسات الدينية الرسمية والشعبية والحركات الإسلامية بجميع أشكالها هي صانعة مناخ التشدد مهما كانت رسالة الاعتدال التي تحاول تقديمها، وهذا يجعل الجميع في مرماه.

وقال مراقبون إن رؤية ترامب تضع الجميع أمام امتحان غير مسبوق مثلما يضع الدول التي تتهاون في التعامل مع مؤسساتها الدينية وتترك لها فرصة التدخل في الشأن الاجتماعي والسياسي، أمام غضب رئيس أميركي من الواضح أن لديه الاستعداد لفعل أيّ شيء.

واعتبر المراقبون أن تحدي ترامب امتحان داخلي لإعادة المؤسسات الدينية إلى دورها الإنساني التوعوي البعيد عن السياسة والتدخل في الشأن العام، سواء انحناء للعاصفة أو مراجعة حقيقية وعميقة لدور المؤسسة الدينية في العالمين العربي والإسلامي.

وتواجه دول عربية مركزية صعوبات حقيقية في التواصل مع الرئيس الأميركي الجديد برغم وزنها وحاجة واشنطن للتحالف معها في مواجهة إيران، وذلك في ظل التوظيف الرسمي لأفكار دينية محافظة والرهان على شخصيات وجماعات تتبنى فكرا عنيفا وذلك بمواجهة الحركات المتشددة.

وستكون جماعة الإخوان المسلمين، التي راهنت عليها إدارة باراك أوباما، على رأس قائمة المستهدفين، كما أن إدارة ترامب قد تبادر إلى إدراجها على قائمة المنظمات الإرهابية، وفق ما رشح من تسريبات في الفترة الأخيرة.

وستجد بعض الدول الإقليمية الداعمة لها نفسها مجبرة على التبرؤ من الجماعة، وطرد قياداتها ووقف الدعم الموجه لها، فضلا عن تفكيك شبكاتها المالية، وهو الأمر نفسه بالنسبة إلى بعض الدول الأوروبية التي ما تزال مترددة بشأن حظرها وإغلاق الجمعيات والمدارس والأنشطة التابعة لها.

ومن الصعب أن تنجح الجماعة في خداع ترامب وإدارته بخطاب الاعتدال والدفاع عن الديمقراطية مثل ما حصل مع سلفه أوباما.

وسعى رئيس حركة النهضة التونسية راشد الغنوشي السبت إلى التخفيف من حدة المخاوف التي تنتاب الإسلاميين من مرحلة ترامب بقوله إنه "لا خطر على المسلم الملتزم بدينه" من الرئيس الأميركي الجديد.

وتثير أنشطة الجماعة في أوروبا شكوكا حول دورها في تربية أبناء الجالية على التشدد ما يسهّل عمليات الاستقطاب التي تتولاها تنظيمات متشددة أخرى لشباب الجالية والزج بهم في العراق وسوريا.

ويرى محللون أن صعود ترامب إلى الرئاسة، وتعهده بفتح حرب واسعة لمحو الإسلام المتطرف من على وجه الأرض، داعم قوي للإسلاموفوبيا التي لم تعد حركة محدودة التأثير، بل صارت مؤسسة حكم في أكبر دولة غربية، أي الولايات المتحدة.

وأشار المحللون إلى أن الفترة القادمة ستكون مسرحا لمعارك الهويات الدينية والثقافية في الغرب، ما سيزيد من الضغوط على الجالية المسلمة والتضييق عليها.

اعتذارات المرشحين تربك التعديل الحكومي المصري

أحمد جمال

❑ **القاهرة** – أشار مصدر حكومي مصري لـ"العرب"، إلى أن شريف إسماعيل رئيس الحكومة المصرية يواجه صعوبات كثيرة في تحديد ملامح التعديل الوزاري المقبل نظرا لاعتذار الكثير من المرشحين، متوقعا تقليص عدد الوزارات التي سيشملها التعديل إلى 6 أو 7 وزارات، بسبب كثرة الاعتذارات.

وأضاف المصدر أن حركة التغييرات ستشمل عددا من الحقائب الوزارية بعينها بناء على تقارير وبحث متواصل لاختيار الكفاءات، وأن التغيير سيتركّز على الحقائب الوزارية الخدمية والاقتصادية، مشيراً إلى أن رئيس الحكومة تلقى تقارير عن أداء بعض الوزراء المرشحين للتغيير، وقد يشمل التعديل دمج وزارة الاستثمار ووزارة قطاع الأعمال، كخطوة لمواكبة الظروف الاقتصادية التي تمر بها البلاد.

وكشف شريف إسماعيل عن الأزمة الحالية بشكل علني، الجمعة، لافتا إلى أن هناك اعتذارات كثيرة واجهته خلال مشاورات التعديل الوزاري الحالي، وأنه لم يتحدد حتى الآن عدد الحقائب الوزارية التي سيتم إجراء التعديل بشأنها.

وقال حمدي عرفه، خبير الإدارة المحلية، لـ"العرب"، إن "كثرة المشكلات التي يعانيها الجهاز الإداري للدولة، بالإضافة إلى توغل الفساد في أجزاء كبيرة من أركان هذا الجهاز، تجعل من قبول المهمة الوزارية أمراً محفوفاً بالمخاطرة، خاصة أن أساليب الرقابة والمحاسبة تظل غير واضحة بالنسبة إلى المرشحين".

وأضاف أن الأمر الآخر يرتبط بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الراهنة، فمن الصعب أن يتحمّل أشخاص مسؤولية قرارات كان قد تمّ اتخاذها من قبل تحديداً فيما يتعلق بالقرارات الاقتصادية الأخيرة وانخفاض قيمة الجنيه بشكل كبير، وكذلك فإن قبول مسؤولية إدارة وزارات خاسرة وتعاني من ترهل في جهازها الإداري يعدّ أمرا صعبا، وهو ما يظهر من خلال تكرار الاعتذارات بالنسبة إلى الوزارات الخدمية كالتربية والتعليم والصحة.

وبحسب مراقبين فإن تولّي أيّ من الوزارات في الوقت الحالي، يضع صاحبها تحت ضغوط كبيرة، فالوزير أصبح يتعرض للانتقاد والحساب، أولا بأول، وكذلك فإن الوزراء يخشون من وقوعهم كبش فداء، لأيّ أزمة محتملة، قد تقع فيها الحكومة.

ويعتبر التغيير الوزاري المرتقب الثاني في أقل من سنة، ففي شهر مارس الماضي، أجرى الرئيس عبدالفتاح السيسي تعديلا على حكومة شريف إسماعيل، شمل عشرة وزراء جدد من بينهم وزراء المالية والاستثمار والسياحة.

ترامب وسوريا ومرحلة ما بعد حلب

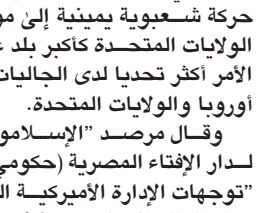

خيرالله خيرالله

ص5

قمة لليمين الشعبوي تضع الأسس لتغيير وجه أوروبا في 2017

❑ **كوبلنز (ألمانيا)** – عقدت أحزاب يمينية متطرفة من عدد من البلدان الأوروبية السبت اجتماعا في ألمانيا عدّ بمثابة قمة لليمين الشعبوي لوضع أسس السيطرة على أوروبا عبر انتخابات 2017 التي ستقع في بلدان مثل فرنسا وألمانيا وهولندا.

وتسعى هذه الأحزاب للاستفادة من المناخ الدولي الداعم لصعود اليمين خاصة في الولايات المتحدة.

وتوقعت زعيمة حزب الجبهة الوطنية في فرنسا مارين لوبن خلال مؤتمر أحزاب اليمين المتطرف والشعبويين الأوروبيين، ثورة انتخابية هذه السنة في أوروبا في إطار سلسلة انتخابات حاسمة.

وبدفع من بريكست وتنصيب دونالد ترامب رئيسا للولايات المتحدة الجمعة، رأت لوبن أن الناخبين الفرنسيين والألمان والهولنديين قد "يغيّرون وجه أوروبا" في 2017.

وقالت في كوبلنز (بألمانيا) خلال مؤتمر الكتلة الأوروبية للأمم والحريات في البرلمان الأوروبي التي تأسست في 2015 "كان 2016 العام الذي استيقظ فيه العالم الأنغلوسكسوني. وإني واثقة بأن 2017 سيكون العام الذي تستيقظ فيه شعوب أوروبا".

وأضافت "علينا الانتقال إلى المرحلة المقبلة بحيث لن نكتفي بأن نكون أقلية في البرلمان الأوروبي وبحيث سنشكل أكثرية في الانتخابات في صناديق الاقتراع .

والتوقعات في فرنسا ترجح بوصول مارين لوبن إلى الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسية المقبلة في الربيع.

وانتقدت لوبن مجددا اليورو و"تسلط" الاتحاد الأوروبي وسياسة الهجرة للمستشارة الألمانية أنجيلا ميركل ورحبت بانتخاب دونالد ترامب وباختيار البريطانيين الخروج من الاتحاد الأوروبي.

وبعد لوبن ألقى غيرت فيلدرز زعيم حزب الشعب من أجل الحرية والديمقراطية الهولندي المناهض للإسلام، كلمة من على المنصة بالنبرة نفسها.

وقال فيلدرز، الذي قد يحتل حزبه المرتبة الأولى من الانتخابات التشريعية في هولندا في منتصف مارس، "أمس (الجمعة) أميركا جديدة واليوم كوبنلز وغدا أوروبا جديدة (...) أصبحنا عند فجر ربيع وطني".

وفي موازاة ذلك تجمع ثلاثة آلاف متظاهر بحسب الشرطة للاحتجاج على المؤتمر.

ورفعت أيضا دمى تمثل هتلر وموسوليني وحمل المتظاهرون الذين ضمن أمنهم حوالي ألف شرطي، يافطات كتب عليها شعارات مثل "الذي ينام في بلد ديمقراطي قد يستيقظ في ظل نظام دكتاتوري".

وكان مؤتمر السبت أيضا مناسبة لإجراء تقارب بين الجبهة الوطنية والبديل من أجل ألمانيا الحزب الشعبوي المناهض للإسلام والنخب، الذي تقدم مراهنا على المخاوف من وصول أكثر من مليون طالب لجوء منذ 2015 إلى ألمانيا.

وهاجمت الشخصية الصاعدة في الحزب الشعبوي الألماني فراوكي بيتري الاتحاد الأوروبي الذي "لا يريد شعوبا بل يريد مجموعات مسيّرة". وانتقدت أيضا استقبال "مئات الآلاف لا بل الملايين من المهاجرين الذين يجتاحون قارتنا".

ويأمل حزب البديل من أجل ألمانيا في الحصول على نتائج جيدة خلال الانتخابات التشريعية في 24 سبتمبر 2017 وحرمان ميركل من أكثرية لتولي ولاية رابعة.

ويحصل حزب البديل من أجل ألمانيا حاليا على 12 إلى 15 بالمئة من نوايا الأصوات. وفي حال تأكدت هذه الأرقام في سبتمبر القادم سيدخل هذا الحزب إلى مجلس النواب في سابقة في ألمانيا لحزب من هذا النوع منذ 1945.

ومؤتمر كوبلنز الذي وصفه منظموه بأنه "قمة أوروبية مضادة" كان مناسبة لمختلف الأحزاب للتعبير معا عن طموحاتها والتركيز على المواضيع المشتركة بينها.

لكن بالنسبة إلى خبير صندوق مارشال في ألمانيا تيمو لوشوكي، يرمي المؤتمر إلى "لفت انتباه وسائل الإعلام" أكثر من رسم ملامح برنامج مشترك.

وقال إن "تصويت الناخبين بنعم أو لا لحزب من اليمين المتطرف مرتبط بخصائص بلادهم".

وأثار تنظيم هذا المؤتمر جدلا في ألمانيا إذ أن خطاب اليمين المتطرف يبقى محرّما بسبب تاريخها النازي.

وداخل حزب البديل من أجل ألمانيا نأت شخصيات فيه بنفسها من بيتري بسبب مشاركة مارين لوبن. وشهد الحزب انقسامات على الصعيد الاقتصادي الذي يجد العديد من كوادره الحزب الفرنسي "ذات ميول اشتراكية" في هذا المضمار.

ووجد الحزب الألماني نفسه وسط جدل هذا الأسبوع عندما وصف أحد مسؤوليه بيورن هوك نصب المحرقة ببرلين بأنه "عار".

هل يتوقع الإخوان تحرير الشيعة للموصل وتسليمها لهم

أسعد البصري

ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

دول الجوار تعلن رفضها القاطع للتدخل الأجنبي في ليبيا

اجتماع القاهرة ناقش إمكانية تعديل الصخيرات وصيغة المجلس الرئاسي

تشكل الأزمة الليبية صداعا مزمنا لدول الجوار، الأمر الذي يدفع هذه الدول إلى التحرك سريعا لإيجاد توليفة يتم بمقتضاها حل الأزمة سياسيا مع رفض أيّ تدخل أجنبي قد يزيد الوضع سوءا، خاصة وأن تدخل الناتو وتداعياته ما يزال حاضرا وبقوة في الأذهان.

الحل في ليبيا يصنعه جيرانها

سعيد قدري

❏ **القاهرة** – بدت دول الجوار الليبي السبع، في اجتماعها العاشر بالقاهرة، وكأنها تسابق الزمن، لتحقيق اختراق في الأزمة الليبية، ووضع حدّ للمأساة التي يعيشها الليبيون، بعد انسداد كل الطرق لتقريب وجهات النظر بين الطرفين اللذين يمثلان العنصر الأبرز في الأزمة الليبية، "عملية الكرامة" في الشرق ويمثلها المشير خليفة حفتر، و"فجر ليبيا" التي تمثلها حكومة طرابلس وميليشيات تنتمي لتيار الإسلام السياسي.

وأكد وزراء دول الجوار، ليبيا ومصر والجزائر وتونس والسودان وتشاد والنيجر، في البيان الختامي السبت، رفضهم القاطع للحل العسكري للأزمة، لما يترتب عليه من تداعيات سلبية على أمن ليبيا واستقرارها، وأن الحوار السياسي الشامل بين الأطراف المختلفة هو السبيل الوحيد للخروج من الأزمة، وشددوا على أنه لا بديل عن اتفاق الصخيرات، الذي كان قد تم توقيعه في السابع عشر من ديسمبر 2015، كإطار وحيد للخروج من الأزمة، ورفض أيّ تدخل أجنبي في الشأن الليبي.

وطالب البيان بضرورة ترسيخ مبدأ التوافق، دون تهميش أو إقصاء، مع الالتزام بالحوار الشامل بين مختلف الأطراف، ونبذ العنف، والحفاظ على مدنية الدولة الليبية، والتداول السلمي للسلطة، كما أكد البيان على دعم المجلس الرئاسي الحكومي، مع الدعوة إلى المسارعة بتشكيل حكومة وطنية تمثل كل الأطراف.

وخيم على أجواء الاجتماع، الموقف المتعثر لحكومة الوفاق الوطني، بقيادة فايز السراج المدعوم دوليا من الأمم المتحدة، بناء على اتفاق الصخيرات، لكن المرفوض من أطراف في العملية السياسية بليبيا.

ومعروف أن السراج انتهت مدته الدستورية، ولم يحصل على اعتراف البرلمان في الشرق، ووصل الأمر إلى انسحاب مجموعة واستيلائهم على المقار الحكومية، وإعلان عودة حكومة "خليفة الغويل".

> اجتماع دول الجوار الليبي في القاهرة يمكن وصفه بالجسر الذي حاولت هذه الدول السبع إقامته من أجل العبور إلى توافق بين جميع الأطراف

وكانت الخارجية المصرية استضافت الاجتماع، برئاسة وزير الخارجية سامح شكري، وبحضور كل من الأمين العام لجامعة الدول العربية أحمد أبو الغيط، ومبعوث الأمم المتحدة الخاص إلى ليبيا مارتن كوبلر، ومبعوث الأمين العام لجامعة الدول العربية الخاص إلى ليبيا السفير صلاح الجمالي، بالإضافة إلى ممثل الاتحاد الأفريقي في ليبيا جاكايا كيكويتي.

وأكدت القاهرة، على لسان وزير خارجيتها، تمسكها بثوابتها حيال الأزمة، والمتمثلة في أن اتفاق الصخيرات سيظل هو الإطار الوحيد والأمثل لحل الأزمة الليبية، وقال شكري "إن هناك مجالا للتوصل إلى حصر لنقاط الخلاف بين الأطراف حول هذا الاتفاق تحت السقف السياسي له".

وتحينت القاهرة فرصة انعقاد الاجتماع لتأكيد أمرين، أولهما، أنه لم يعد هناك مجال للخلاف حول حجية الاتفاق السياسي الليبي، كمرجعية وحيدة لأيّ تسوية سياسية، كما لم يعد هناك مبرر لإعادة التفاوض على مكوناته.

والأمر الثاني، أنه لم يعد هناك مجال أيضا للحديث عن أيّ حل عسكري للأزمة، وأن الشخصيات الليبية التي اجتمعت بالقاهرة مؤخرًا، أكدت على ثوابت محددة، أهمها حرمة الدم الليبي، والالتزام بمدنية الدولة، علاوة على ضرورة التداول السلمي للسلطة، ورفض أيّ تدخل أجنبي.

وكانت قد سبقت اجتماع القاهرة، مجموعة من المؤشرات، التي أظهرت وكأن هناك توافقًا ما، استطاعت دول الجوار الليبي –خصوصا الجزائر وتونس ومصر– التوصل إليه، من خلال مجموعة من اللقاءات، بهدف تقريب وجهات النظر، والبناء على نقاط الاتفاق بين الأطراف الليبية.

ومن بين هذه المؤشرات، زيارة المشير خليفة حفتر، القائد العام للقوات المسلحة الليبية إلى القاهرة، وهو اللقاء الذي علمت "العرب"، أنه بحث إمكانية عقد اجتماع بين رئيس حكومة الوفاق الليبية فايز السراج والمشير حفتر، لوضع نهاية للخلاف بينهما حول وضع القوات المسلحة، وأن حفتر وافق على وضع نفسه في العملية السياسية، وفقا لاتفاق الصخيرات، الذي يصر الطرفان على أن يكون المرجع الوحيد للعملية السياسية.

وقالت مصادر ليبية في القاهرة لـ"العرب" إنه وبالنسبة إلى دولتي تشاد والنيجر، أصبحتا منزعجتين من مسألة الهجرة غير الشرعية عبر حدودهما، حيث تمثل عبئا لا يستهان به على الأمن القومي لهما، وهو ما فرض عليهما ضرورة الدخول في الملف الليبي والوصول إلى حلّ يرضي جميع الأطراف.

وأشارت المصادر، إلى أن اجتماع دول الجوار في القاهرة، يمكن وصفه بالجسر الذي حاولت هذه الدول السبع إقامته من أجل العبور إلى توافق بين الأطراف، وأنه شهد طرح كل ما تمّ التوصل إليه في اجتماعات الجزائر وتونس ومصر، لا سيما وأنه يمكن اعتبار الجزائر مسؤولة عن تبني وجهة نظر طرف طرابلس، بينما القاهرة مسؤولة عن طرح وجهة نظر الشرق الليبي، كما تم التطرق إلى المبادرة التونسية، التي اقترحت اجتماعا ثلاثيا بين رؤساء مصر وتونس والجزائر، لبحث الملف.

عبدالحفيظ غوقة، مستشار رئيس مجلس النواب الليبي، أكد لـ"العرب"، أن اجتماع القاهرة تكمن أهميته في مناقشته مسألة "تعديل اتفاق الصخيرات"، الذي انتهت مدته القانونية الشهر الماضي، وأن هناك توافقا بين جميع الأطراف على هذه المسألة.

وأشار إلى أن أطرافا من مجلس الدولة الليبي، الذي يعتبر بديلا للمؤتمر الوطني في الغرب، حضروا اجتماعًا في القاهرة الشهر الماضي، وأبدوا تفهّما لمطالب الشرق الليبي بضرورة تعديل الاتفاق، كما أن صيغة المجلس الرئاسي بصورته الحالية أصبحت غير مجدية، لذلك تم الاتفاق على تعديلها، بحيث يصبح هناك نائبان مع الرئيس بدلا من تسعة أعضاء، بالإضافة إلى مسألة خضوع القوات المسلحة للبرلمان وليس للمجلس الرئاسي، الذي يتهمه البعض بأنه أصبح تحت سيطرة تيارات الإسلام السياسي.

وشكك البعض في قدرة دول الجوار على وضع حلول حقيقية للأزمة الليبية، بسبب اختلافها حول مجموعة من النقاط التي تشكل حجر عثرة أمام ذلك التفاهم المنشود، لافتين إلى أن الجزائر، تتبنى وجهة نظر مجموعة طرابلس المسماة بـ"فجر ليبيا"، بينما تتبنى مصر مجموعة الشرق الليبي والبرلمان، والفريقان لا يمكنهما التلاقي على أجندة واحدة، ومن ثم يبقى الأمر على ما هو عليه، بين الشد والجذب، وحذروا من خطورة بلوغ الأمر حد "التقسيم".

وذكر متابعون، أن ما يجري الآن في الولايات المتحدة، ترك أثره على اجتماع القاهرة، حيث كان الرئيس الجديد، دونالد ترامب، أعطى إشارات بأن واشنطن ستكون مشغولة أكثر بأوضاعها الداخلية على حساب الملفات الخارجية، بما ترك انطباعا بأن روسيا سيكون لها الدور الأكبر في الملف الليبي خلال الفترة القادمة.

وأوضحوا أن الحديث في الأوساط الليبية، يدور هذه الأيام حول مسألة التدخل الروسي، ليلعب دورًا في قضية التسليح ورفع الحظر عن توريد السلاح، وقد دعّم من ذلك التوجه الزيارة التي قام بها المشير خليفة حفتر إلى موسكو مؤخرًا، والعلاقة القوية بين القاهرة وموسكو، التي جعلت البعض من المراقبين يتكهن بأن مصر قد تكون جسرا لموسكو إلى ليبيا.

وزير الإعلام السابق في حكومة الشرق الليبي، عمر القويري، أشار إلى أن هناك تفاهما روسيا–أميركيا بشأن الملف الليبي، لافتًا إلى أن واشنطن غير متمسكة بفايز السراج كرئيس لحكومة الوفاق.

وقال القويري لـ"العرب" إن "اجتماع دول الجوار في مصر، عكس تفاهما بين الأطراف المعنية حول مجموعة من الخطوط العريضة، منها تجنيب المؤسسة العسكرية أيّ خلاف سياسي، والتسليم بوجود المشير خليفة حفتر بعد الانتصارات التي حققها في منطقة الهلال النفطي".

ميليشيا إخوانية في ليبيا تصفي مواطنا إماراتيا استدرجته من تركيا لعقد صفقة تجارية

❏ **طرابلس** – عثر على المواطن الإماراتي يوسف صقر أحمد ولاياتي مقتولا في العاصمة الليبية طرابلس، وسط تقارير تؤكد تصفيته من قبل ميليشيا مسلحة مقربة من جماعة الإخوان بعد أن تم إخراجه من السجن الذي كان معتقلا فيه.

واختطف ولاياتي من مطار معيتيقة بطرابلس من قبل ميليشيات فجر ليبيا في نوفمبر 2015.

وقالت تقارير ليبية آنذاك إنه تم استدراجه من قبل تلك الميليشيات من تركيا، بحجة إبرام صفقة تجارية، بغاية الإيقاع به واتهام بلاده بلعب دور ما في ليبيا.

وأعلنت حكومة علي الحاسي المدعومة من فجر ليبيا في نوفمبر من 2015 القبض على ولاياتي، وأنها عثرت لديه على وثائق شكر من قبل جهاز شرطة دبي. وزعمت العثور بحوزته على تسجيلات مصورة لمقار في طرابلس بينها صور لسفارة تركيا أحد الداعمين الرئيسيين للميليشيات الإسلامية.

وكشفت التقارير أن ولاياتي تم نقله خلال أكثر من سنة من سجن إلى آخر من سجون ميليشيا فجر ليبيا في طرابلس قبل تصفيته جسديا على الشاطئ.

وأوضح النائب والكاتب الصحافي عبدالرحيم علي في مطلع شهر يناير الحالي أثناء لقاء تلفزيوني، أن خبر القبض على ولاياتي "غير صحيح، وأنه تم استدراجه من تركيا في 2015، للمساومة عليه، ببعض الإرهابيين الليبيين الذين تم القبض عليهم في الإمارات".

وأشارت تقارير إلى مقتل سليمان محمد التركي، وهو المشتبه به الرئيسي في مقتل المواطن الإماراتي. والتركي ملحق أمني بوزارة الخارجية التابعة لحكومة الوفاق

الميليشيات تستفيد من الفوضى

الليبية التي تدعمها الميليشيات الإسلامية. ولم يستبعد متابعون للشأن الليبي أن يكون اعتقال المواطن الإماراتي ومحاولة إدانته بلعب دور استخباري قد تم لفائدة جهات إقليمية، وحين فشلت الميلشيات في إثبات التهمة عليه تولّت قتله لطمس تفاصيل التحقيق معه والجهات التي استجوبته وارتباطاتها الخارجية.

ولفت المتابعون إلى أن الميليشيات المرتبطة بجماعة الإخوان، والتي يتم التضييق عليها عسكريا وسياسيا في ظل التغييرات الإقليمية والدولية، صفت المواطن الإماراتي خوفا من أن يتم تحريره من جهات ليبية منافسة، وخاصة مع تلويح قائد الجيش المشير خليفة حفتر بالتوجه إلى طرابلس بغية تحريرها.

وتحاول جماعة الإخوان أن تقفز من المركب بإطلاق تصريحات مغازلة لحفتر ومصر، مضحية بالميليشيات التي تحالفت معها للسيطرة على طرابلس، ما حدا بأحد قادة الميليشيات البارزين إلى التلويح بحرق طرابلس ونقل الصراع إلى تونس والجزائر، ما عدّه المتابعون دليلا إضافيا على شعور هذه الميليشيات باقتراب لحظة الحساب.

وتعتمد الميليشيات عادة على أسلوب الخطف للرعايا الأجانب، لابتزاز دولهم .

وسبق وأن تم اختطاف العديد من التونسيين لمساومتهم بمعتقلين ليبيين تابعين لتلك الميليشيات. وتم اختطاف السفير الأردني في 2014، وتم إطلاق سراحه في إطار صفقة تم بموجبها إطلاق سراح جهاديين مسجونين في المملكة الأردنية.

قمة أديس أبابا بوابة عودة المغرب إلى الاتحاد الأفريقي

محمد بن امحمد العلوي

❏ **الرباط** – يشارك المغرب في القمة الأفريقية التي ستنعقد بالعاصمة الإثيوبية أديس أبابا، لأجل الدفاع عن استعادة مقعده بالاتحاد الأفريقي بعدما أنهى الإجراءات القانونية بالتصويت الخميس الماضي، على مشروع قانون يوافق بموجبه على القانون التأسيسي للاتحاد الأفريقي.

وتنعقد القمة بين 30 و31 يناير الجاري، تحت شعار "تسخير العائد الديموغرافي من خلال الاستثمار في الشباب"، وسيجتمع رؤساء دول وحكومات الاتحاد البالغ عددهم 54 دولة لمناقشة ملفات تتصدر المشهد الجهوي والدولي كالتنمية والإرهاب والأمن وتعزيز التعاون بين دول الاتحاد.

وسبق للمغرب أن هيأ ظروف عودته إلى الاتحاد الأفريقي بتدشين العاهل المغربي صفحة علاقات اعتبرها أكثر من مراقب بالجيدة والاستراتيجية مع بعض دول شرق أفريقيا تتأسس على المصالح المتبادلة، حيث قام الملك محمد السادس بزيارة رسمية في نهاية العام 2016، لكل من رواندا وتنزانيا وأثيوبيا ونيجيريا وألقى خطاب المسيرة في سابقة من نوعها من العاصمة السنغالية داكار.

وخلال قمة الاتحاد الأفريقي بالعاصمة الرواندية كيغالي، في يوليو الماضي، وجّه الملك محمد السادس رسالة إلى قادة أفريقيا عبّر فيها عن رغبة المغرب في استعادة مقعده بالاتحاد، وفاق عدد من الدول الداعمة لعودة المغرب إلى هذا المنتظم القاري النصاب ما يعني أن المغرب ضمن التحاقه بالاتحاد ولم يبق سوى التصويت على ذلك.

ويقول مراقبون إن قرار العودة الذي اتخذه المغرب قد تم الاستعداد له على مدى سنوات طويلة وليس وليد اللحظة وكان صاحب القرار ينتظر فقط التوقيت والظروف الجيوسياسية المناسبة، ويبدو أن استعادة الرباط لمقعدها سيعزز مكانة المملكة داخل القارة الأفريقية.

وفي إطار الترتيبات الأخيرة قام العاهل المغربي بتعيين الجنرال دو ديفيزيون عبدالفتاح الوراق مفتشا عاما للجيش، بدل سلفه الجنرال بوشعيب عروب.

ويرى متابعون أن التعيين لا يمكن فصله عن التغييرات التي تحدث في استراتيجيات الأمن جهويا ودوليا.

ويؤكد خبراء أن المغرب مؤهل على عدة مستويات للعب أدوار طلائعية في محاربة الإرهاب وفض الصراعات والنزاعات في القارة الأفريقية من داخل الاتحاد.

وتخوف البعض من أن يشكل دخول المغرب إلى الاتحاد اعترافا بكيان بوليساريو، لكن هذا الطرح تم نفيه جملة وتفصيلا من طرف خبراء في القانون الدولي الذين أكدوا لـ"العرب"، أن هذه التخوفات لا أساس لها في ميزان العلاقات الدولية باعتبار بوليساريو لا تملك خصائص وأركان الدول المعترف بها في القانون الدولي.

ويرى صبري الحو، الخبير في القانون الدولي، أن حضور المغرب وصيانة حقه في الدفاع عن نفسه من داخل الاتحاد في القضايا التي تعنيه أفضل من اتخاذ قرارات بإجماع مريب وتوافق مشكوك فيه. معتبرا أن اكتساب البوليساريو لعضوية الاتحاد الأفريقي لم يرقها في باقي المنظمات الدولية، ولا لدى جميع دول العالم، إلى أكثر من وضعها الحالي، كحركة انفصالية.

الأجهزة الأمنية العراقية تفقد هيبتها أمام الميليشيات

الفساد ينخر جهاز الشرطة وسط لا مبالاة السلطة

باتت الأجهزة الأمنية في العراق جزءا من مشاكل العراقيين، في ظل انتشار مظاهر الفساد في صفوفها، إذ قد يصل الأمر حد ابتزاز عنصر الأمن للمواطن البسيط في لقمة عيشه، هذا فضلا عن التقصير الذي قد يكون في بعض الأحيان متعمدا في التصدي للتهديدات الإرهابية، وهذا ما يضع الحكومة أمام خيار واحد وهو إعادة هيكلة هذا القطاع، وتفعيل مبدأ الرقابة والمحاسبة.

بغداد تدفع فاتورة التقصير الأمني

□ **بغداد** – يشكل ملف الأجهزة الأمنية أحد أبرز التحديات التي تواجه الحكومة العراقية ورغم ذلك لم تحرك ساكنا حتى الآن لإيجاد حلول له، وهو ما اعتبره البعض مقصودا.

وينخر الفساد والمحسوبية الأجهزة الأمنية في العراق، الأمر الذي أفقدها هيبتها أمام المواطن الذي بات يفضل اللجوء إلى الميليشيات المسلحة لحل مشاكله.

وفي هذا الإطار يقول عباس الساعدي مسؤول مكتب الحشد الشعبي في منطقة الشعلة شرقي العاصمة بغداد لموقع "نقاش" إن "السكان يأتون إلينا طلبا لحل مشكلاتهم هربا من فساد ضباط الشرطة كما يقولون، ونستقبل أسبوعيا العديد من الأهالي الذين يطلبون حل مشكلاتهم، حتى أن بعضها مع ضباط الشرطة أنفسهم".

ويضيف الساعدي "قبل أيام شكا لنا صاحب مطعم في منطقة الكرادة وسط بغداد تدخل الضابط المسؤول في المنطقة في عمله عبر إجباره على دفع أموال ووجبات طعام مجانية، وتدخلنا لوقف ذلك"، متابعا "برغم فشل الشرطة في فرض الأمن يقوم عناصرها بأخذ الرشاوى من المحال والأسواق التجارية، الفساد ينخر جهاز الشرطة والحكومة تعلم ذلك جيدا".

وللميليشيات الشيعية المنضوية ضمن تحالف الحشد الشعبي مكاتب منتشرة في غالبية الأحياء، ليس فقط في العاصمة العراقية بل في جميع المحافظات، وتقوم بمهام أمنية بعضها مباشر عبر مساعدة الشرطة المحلية وبعضها غير مباشر عبر مخبرين لهم ينتشرون في ملابس عادية في الأسواق والتجمعات السكانية.

ومنذ تشكل الحشد الشعبي في العام 2014 وتحقيقه انتصارات ضد عناصر داعش، بات التحالف قبلة لمئات الشباب العاطلين عن العمل باعتبار أن انخراطهم فيه لا يتطلب أيّ وساطة أو دفع مبالغ مالية على خلاف الشرطة والجيش.

> الشرطة تواجه صعوبة في تنفيذ واجباتها مع وجود فصائل مسلحة تنتشر داخل الأحياء وتمنعها من تنفيذ القانون

حالة التململ والاحتقان تجاه أجهزة الأمن العراقية لا تتعلق فقط بتغلغل مختلف مظاهر الفساد في صفوف عناصره، بل أيضا بعجزها عن التصدي للعمليات الإرهابية التي أودت بحياة المئات من المدنيين في العام الماضي فقط.

وتركزت أغلب العمليات الإرهابية في العاصمة بغداد رغم أنه من المفروض أنها تشهد حراسة مشددة خاصة وأنه توجد بها المنطقة الخضراء التي توجد بها المباني الحكومية والسفارات الأجنبية.

ويدار الملف الأمني في بغداد منذ عام 2006 من قبل قيادة أمنية عليا تسمى "قيادة عمليات بغداد" وتضم قوات مشتركة من الجيش والشرطة الاتحادية والشرطة المحلية وأجهزة المخابرات، ويبلغ عددها نحو 700 ألف عنصر أمني وتكون تحت إمرة ضابط عسكري واحد يكون المسؤول عن أمن العاصمة.

وبدأت هذه الخطة تنال وابلا من الانتقادات الشعبية وحتى الرسمية وهو ما يستثمره الحشد الشعبي في سياق مساعيه لضرب الأجهزة الأمنية، فمحمد البياتي القيادي في قوات "بدر" أحد تشكيلات الحشد الشعبي، اتهم الأسبوع الماضي القوات الأمنية في العاصمة باختراقها من قبل الأعداء، في إشارة إلى الإرهابيين، وقال في بيان رسمي إن "قيادة عمليات بغداد غير دستورية"، وطالب الحكومة ورئيس الوزراء حيدر العبادي "بإعادة النظر بأمن بغداد وإشراك الحشد الشعبي بحماية بغداد في الخطين الأول والثاني".

هذه الاتهامات ليست الأولى التي يطلقها قادة في الحشد الشعبي ضد قوات الشرطة ولن تكون الأخيرة.

في المقابل تواجه الشرطة صعوبة في تنفيذ واجباتها مع وجود فصائل مسلحة تنتشر داخل الأحياء وتمنعهم من تنفيذ القانون، فالضباط المنتشرون في مراكز الشرطة المناطقية مجبرون على التعامل والتعاون مع مسؤولي مكاتب الحشد الشعبي في الرقعة الجغرافية الواقعة ضمن اختصاص عملهم، وفقا للضابط أسعد الطائي.

والطائي هو ضابط برتبة نقيب يعمل في أحد مراكز الشرطة في جانب الكرخ من بغداد، يقول لـ"نقاش" إن "مركز الشرطة مجبر على التنسيق الأمني مع مكاتب الحشد الشعبي في المنطقة، ولا يستطيع مدير المركز العمل دون ذلك، ولهذا لا نعمل بحرية كاملة".

ويضطر ضباط الشرطة أحياناً للتعامل مع أكثر من فصيل مسلح في المنطقة، كما يقول الطائي، "إذ أن بعض المناطق تضم مكاتب لفصائل مسلحة متعددة ولا نستطيع محاسبة الخروقات التي يقومون بها".

وفي بعض الأحيان تندلع اشتباكات بين الفصائل المسلحة داخل المناطق، بينما تضطر قوات الشرطة إلى التزام الحياد وعدم التحرك لوقفها، في مؤشر واضح إلى تراجع سلطتها في فرض القانون. ويخلق تعدد التشكيلات الأمنية فوضى مقلقة داخل العاصمة، وينتقد السكان كيف تجري عمليات سرقة واختطاف في وضح النهار ويتساءلون كيف تمكّن الخاطفون من تجاوز العشرات من نقاط التفتيش بسهولة، وغالبا ما تشير نتائج التحقيقات إلى امتلاكهم هويات مزورة تابعة إلى جهات أمنية عليا أو الحشد الشعبي.

ويطالب العراقيون بوضع حد لحالة الانفلات والتركيز أكثر على معالجة ملف الأجهزة الأمنية، باعتبارها عماد دولة القانون.

انتحاريان يفجران نفسيهما خلال مداهمة للشرطة السعودية

□ **الرياض** – أعلنت وزارة الداخلية السعودية أن انتحاريين فجرا نفسيهما السبت، بحزامين ناسفين بعد تبادل لإطلاق النار مع قوات الأمن في مدينة جدة غربي الرياض، مؤكدة توقيف شخص ثالث.

ونقلت وكالة الأنباء الرسمية عن المتحدث الأمني لوزارة الداخلية قوله إن "الجهات الأمنية باشرت (...) مداهمة وكرين إرهابيين لخلية إرهابية بشكل متزامن".

وأضاف أن "الأول بحي الحرازات بمحافظة جدة، وهو عبارة عن استراحة، اتخذها عناصر الإجرام مأوى لهم ومعملا لتصنيع الأحزمة الناسفة والعبوات المتفجرة".

وتابع "بادر من فيها وهما شخصان بإطلاق النار بشكل كثيف على رجال الأمن (...) وحينما يئسا من القدرة على الإفلات من قبضة رجال الأمن أقدما على تفجير نفسيهما بواسطة أحزمة ناسفة ما أدّى لتطاير أشلائهما وانفجار المعمل".

وكان مسؤولون أكدوا في وقت سابق على موقع التواصل الاجتماعي "تويتر" أن قوات الأمن "داهمت إرهابيين وتبادلت معهم إطلاق النار. وأسفرت العملية عن انتحار اثنين من الإرهابيين باستخدام أحزمة ناسفة". وأظهرت صور بثها مغردون على الموقع ذاته اندلاع حريق في مكان الحادث.

وقال المتحدث باسم الداخلية إن "الوكر الثاني كان عبارة عن شقة سكنية بحي النسيم بمحافظة جدة تواجد فيها شخص ثالث يرتبط" بمجموعة الاستراحة.

وأكد "القبض عليه قبل أن يتمكن من المقاومة ويدعى حسام بن صالح بن سمران الجهني وهو سعودي وقبض بمعيته على امرأة تدعى فاطمة رمضان بالوشي علي مراد (باكستانية) يدّعي المذكور أنها زوجته".

وأشار المتحدث إلى "ضبط سلاح رشاش وحقيبة مشركة وأجهزة هاتف جوال في حالة تشريك غير مكتملة".

وحالت التحركات الاستباقية لقوات الأمن السعودي دون وقوع العديد من العمليات الإرهابية. ففي السابع من شهر يناير الحالي، قتل شخصان يشتبه بانتمائهما إلى شبكات جهادية في عملية للشرطة في مدينة الرياض، وفقا لوزارة الداخلية.

وفي أواخر أكتوبر 2016، أعلنت السلطات السعودية تفكيك خليتين "إرهابيتين" على علاقة بتنظيم $huq خططت إحداهما لهجوم خلال مباراة لكرة القدم في جدة.

وأكدت توقيف عناصر الخليتين وعددهم ثمانية بينهم اثنان من الباكستانيين وسوري.

وتعرضت السعودية منذ عام 2014، إلى عدد من الهجمات والتفجيرات التي تبناها داعش واستهدفت الأقلية الشيعية وقوات الأمن.

مخيم الركبان معضلة تقض مضجع الأردن

□ **دمشق** – أصبح مخيم الركبان الواقع على الحدود السورية الأردنية مصدر قلق كبير للسلطات الأردنية في ظل مساعي تنظيم الدولة الإسلامية لوضع يده عليه.

وقتل الجمعة سبعة أشخاص في تفجير سيارة مفخخة استهدف المخيم وسط شكوك كبيرة بوقوف التنظيم الجهادي خلف العملية.

وأكد مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان رامي عبدالرحمن الأمر قائلا "انفجرت سيارة مفخخة عند إطراف مخيم الركبان عند الحدود الأردنية، ما أسفر عن مقتل سبعة نازحين وسقوط عدد من الجرحى".

وذكرت مصادر أردنية أنه تم نقل 14 مصابا إلى داخل أراضي المملكة لتلقي الإسعافات.

وكانت حصيلة أولية أشارت إلى مقتل أربعة أشخاص هم أب وأمّ وولدان.

ونقلت وكالة الأنباء الأردنية الرسمية (بترا) عن مصدر عسكري أردني أن "الانفجار نجم عن تفجير سيارة شحن صغيرة داخل المخيم"، مشيرا إلى "إدخال 14 جريحا إلى المركز الصحي الأردني الواقع في المنطقة الحدودية بين الأردن وسوريا والمخصص لمعالجة اللاجئين السوريين" العالقين في منطقة الركبان.

وأوضح المصدر أن المصابين يتلقون العلاج حاليا لتقييم حالتهم و"لم يتخذ قرار بعد بإدخال بعضهم إلى المستشفيات الأردنية إذا اقتضت الضرورة".

ويعيش في مخيم الركبان نحو 85 ألف شخص عالقين على الحدود السورية الأردنية. وأكد الأردن أن معظم اللاجئين قدموا من مناطق تحت سيطرة الجهاديين في شمال سوريا وشرقها، وأن هناك المئات منهم ينتمون لتنظيم الدولة الإسلامية.

وبات المخيم خلال الأشهر الماضية مسرحا لعمليات إرهابية تبناها التنظيم المتطرف، الذي يسعى لوضع يده عليه.

وقد قرر الأردن إعلان الركبان منطقة عسكرية مغلقة إثر هجوم بسيارة مفخخة على موقع عسكري أردني يقدم خدمات للنازحين في 21 يونيو الماضي. وتبنى التنظيم الجهادي وقتها الهجوم الذي أوقع سبعة قتلى و13 جريحا.

ولم تتمكن الأمم المتحدة منذ ذلك الحين من إدخال المساعدات سوى مرتين إلى النازحين، الأولى في الرابع من أغسطس والثانية في 22 نوفمبر 2016. وخفض الأردن، لدواع أمنية، عدد نقاط عبور القادمين من سوريا من 45 نقطة عام 2012 إلى خمس نقاط في شرق المملكة عام 2015، ثلاث مخصصة للجرحى فيما خصص معبران هما الركبان والحدلات للاجئين، قبل تعرض منطقة الركبان للهجوم بسيارة مفخخة.

> الحدود السورية الأردنية تشكل هاجسا كبيرا للسلطات في الأردن، باعتبارها المشرف الوحيد على حمايتها في ظل غياب الطرف المقابل

ويرى محللون أن خطوة الأردن طبيعية خاصة وأن تنظيم داعش يضع اختراق المملكة في قمة أولوياته.

وكان التنظيم قد تبنّى قبل نحو شهر هجوما على مدينة الكرك جنوب المملكة أوقع عدد من القتلى والجرحى في صفوف مدنيين وأمنيين.

وباتت الحدود السورية الأردنية تشكل هاجسا كبيرا للسلطات في الأردن، باعتبارها المشرف الوحيد على حمايتها في ظل غياب الطرف المقابل.

وتخشى السلطات من نجاح التنظيم الجهادي في تثبيت أقدامه داخل مخيّم الركبان، الأمر الذي سيعزز من التهديدات الموجّهة صوب المملكة.

ويعدّ الأردن أحد الأطراف الرئيسة المتضررة ممّا يحدث في سوريا، وتأمل في أن تؤدي مفاوضات أستانة التي تبدأ الاثنين (غدا) إلى إنهاء الأزمة بين الأطراف المتصارعة للالتفات إلى محاربة تنظيم داعش، وفسح المجال أمام عودة اللاجئين إلى ديارهم وهو ثقل إضافي يرزح هذا البلد تحت وطأته. وبحسب الأمم المتحدة، هناك نحو 630 ألف لاجئ سوري مسجلين في الأردن في حين تقول المملكة إنها تستضيف نحو 1.4 مليون لاجئ منذ اندلاع النزاع في سوريا في مارس 2011.

السيارات المفخخة سلاح داعش لتركيع المخيم

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن

Al Arab Publishing House

المكتب الرئيسي (لندن)

Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

تصدعات عميقة يحدد وضعها الموقف من إيران والأزمة في سوريا

لبنان يدخل مرحلة ترامب بعجز تشريعي وأمني وعقم سياسي

شادي علاءالدين
كاتب لبناني

علينا ترتيب البيت استعدادا للترامبية

❑ **بيروت** – يستقبل لبنان لحظة تنصيب دونالد ترامب رئيسا للولايات المتحدة الأميركية بكل ما فيها من مخاطر والتباسات بعجز تشريعي وأمني، وعقم سياسي.

يحتل الواجهة الأمنية مشهد خطف رجل الأعمال اللبناني سعد ريشا في وضح النهار وعجز القوى الأمنية عن القبض على خاطفيه المعروفين قبل عودته إثر عملية تفاوض قادها الرئيس نبيه بري.

تشريعيا، لم تفرز الجلسات النيابية التشريعية بنية قانونية فاعلة. بقي القانون الأكثر إلحاحا، أي قانون الانتخاب خارج جدول أعمالها.

وكان أبرز ما أفرزته قانون إيجارات مثير للجدل، إضافة إلى قانون يتعلق بالحق في الوصول إلى المعلومات، لم تتضح بعد كيفية عمله ولا الآليات التي سيتم اعتمادها لتطبيقه في اللحظة التي يشتكي فيها النواب أنفسهم من حرمانهم من المعلومات كما جرى في ملف النفط.

تزامنت لحظة تنصيب ترامب المقلقة مع زيارة غامضة للأمين العام لجامعة الدول العربية أحمد أبو الغيط إلى لبنان.

وكان لافتا أن الإعلان عن هذه الزيارة ركّز على قصرها وعلى أنها ستدوم لعدة ساعات فقط.

وقرأ مراقبون توقيت هذه الزيارة على أنها محاولة لترتيب أزمة العلاقات العربية-العربية التي تفاقمت بين عدة دول والتي كان أبرزها مؤخرا ارتفاع منسوب التوتر السعودي المصري.

لا يشك أحد في أن مرحلة ترامب ستنتج وقائع جديدة سيكون على العالم كله التعامل معها، وسيكون على كل دولة أن تبني نظام تعاملها الخاص مع هذه التطورات التي يبدو أنها ستكون متسارعة.

وكرّر ترامب الرئيس جلّ ما جاء في خطاب ترامب المرشح.

وأعاد التأكيد على ما كان يثير مخاوف المنطقة كلها، أي ربط الإسلام بالإرهاب، والتأكيد على أن عنوان محاربة الإرهاب الإسلامي سيكون العنوان الرئيسي لحكمه والذي سيشكل على أساسه خارطة تحالفاته مع العالم المتحضر.

يقع لبنان في قلب عاصفة الحرب المفتوحة على الإرهاب وتناقضاتها فقد عمدت إدارة أوباما إلى تقديم المساعدات لجيشه تحت عنوان مساعدته على محاربة الإرهاب في حين أنها تصنف حزب الله، المشارك في الحرب السورية، والممثل في الحكومة حزبا إرهابيا.

لا يبدو ترامب ميالا لتكرار هذا المنطق نفسه حيث لم يظهر الرئيس المنتخب أيّ عناية أو رغبة في التدقيق بصدد الأحكام التي يطلقها على الدول أو الجماعات. يبدو العالم في الرؤية الترامبية منقسما إلى معسكرين متناقضين هما معسكر الترامبيين ومعسكر الأعداء.

وتاليا يمكن القول إنه إذا كانت دول أوروبا، الحليف التاريخي لأميركا، لا تطابق المعايير الترامبية، فإنه من غير المتوقع سوى أن يترك لروسيا البوتينية مهمة ترتيب شؤون منطقة الشرق الأوسط بشكل يلائم خرائط النفوذ الجديدة والتحالف المستجد بين أميركا وخصمها التقليدي.

تقول المؤشرات الأمنية والاقتصادية والسياسية إن لبنان يعاني من تصدعات عميقة في كل البنى التي تقوم عليها الدولة. ولم تنجح عملية سد الفراغ الرئاسي والحكومي في خلق جهاز مناعة عام يقي البلد من شر الأزمات.

بل بدا أن سدّ الفراغ كان نتيجة لهذه الأزمات واستكمالا لها وليس نهاية، فكيف سيتعامل بلد بهذه الدرجة من الهشاشة مع زمن الراديكالية والعدائية الذي يمثله دونالد ترامب؟

> الخبير الاقتصادي والباحث السياسي كامل وزنة يحصر التداعيات المتوقعة من وصول ترامب والمرتبطة بلبنان في ملف حزب الله وما يتفرع عنه ويرتبط به. ويعتبر أنه من المعروف أن للبنان وضعا خاصا في سياسة الولايات المتحدة الأميركية التي تحرص على ضمان استقراره

النأي بالنفس

ويرجّح فادي كرم، النائب عن كتلة القوات اللبنانية، أن يعتمد ترامب "سياسة المبادرة وليس سياسة الانكفاء". يؤكد أنه من الصعب "الحكم على مقدار إيجابيتها أو سلبيتها، ولكن علينا كأبناء المنطقة أن ندرك مصالحنا وأن نمتلك رؤية لمصالح شعوبنا، وأن نتضافر مع بعضنا كي نحمي المنطقة من الأمور التي تحدث ضدها".

يشير إلى الأزمة التي من الممكن أن يفتحها وجود حزب الله في الحكومة اللبنانية في ظل أولوية ترامب القاضية بمحاربة الإرهاب معتبرا أن "وجود حزب الله في الحكومة اللبنانية هو مسألة عادية لأنه حزب لبناني وشراكته اللبنانية ضرورية. مشكلة حزب الله هي حروبه الإقليمية ومشاريعه المرتبطة بالنظام الإيراني والذي يتدخل في شؤون الدول ويتعدى على سيادات الدول العربية. إذا استمر حزب الله في ممارسة السياسة نفسها فإنه من المتوقع أن يؤدي ذلك إلى أزمة لا تحمد عقباها في عهد ترامب".

ويضيف "من هذا المنطلق حاولنا أن نقنع حزب الله بأن الأفضل له وللبنان ولكافة الأفرقاء اللبنانيين، أن ينكفئ عن الحروب في المنطقة وأن يمتنع عن التدخل في الشؤون الداخلية لكل الدول العربية، وحرصنا على أن يتضمن بيان الحكومة صيغة تؤكد على ضرورة اليوم وهي إبعاد لبنان عن الحروب الإقليمية".

ويضع النائب القواتي زيارة أحمد أبو الغيط إلى لبنان في إطار تفعيل "التواصل بين الدول العربية والاستعداد لمرحلة جديدة سنشهدها من قبل الإدارة الأميركية. ولا شك أن هناك تحولا كبيرا في السياسة الأميركية، فهل سيكون هذا التحول في صالح شعوب المنطقة أو سيأخذها إلى تصادمات أكبر؟ قد يكون من المبكّر الحكم على ما ستفرزه مرحلة ترامب ولكن من المؤكد أنها تتطلب وعيا كاملا وتضافرا بين القيمين على المنطقة، ووقفة مسؤولية وصمود أمام ما يحدث، كما يجب على الصعيد اللبناني العمل على قيام الدولة وفكفكة الدويلة".

عودة اللاجئين

يعرض نبيل الحلبي، المحامي ومدير مؤسسة لايف الحقوقية، مجموعة من الملفات المرشحة للانفجار في عهد ترامب، والتي تطال تأثيراتها لبنان مؤكدا على أن "وصول ترامب إلى سدة الرئاسة الأميركية ستكون له تداعيات أكيدة على المنطقة، ولبنان جزء منها. وإدارة ترامب معادية لملف تصدير الثورة الإيرانية في المنطقة وللميليشيات المحسوبة على إيران من قبيل الحرس الثوري. أظن أنه سيعمد إلى تمديد العقوبات على إيران والميليشيات التابعة لها كالحرس الثوري وفيلق القدس، وإبقاء وضع حزب الله على لائحة الإرهاب الأميركية، كما تمديد العقوبات الاقتصادية وتضييق مصادر تمويل الحزب".

ويعتبر الحلبي أنه في الموضوع السوري "قد يشكل ترامب إضافة جديدة للاتفاق التركي الروسي باعتبار أنه يمكن ضم أميركا في ظل إدارته إلى هذا الاتفاق، وهذا يقوّي مؤتمر أستانة للحرب في سوريا. ترامب لديه رغبة في القضاء على داعش والتنظيمات المتطرفة السنية في سوريا، وهو يرغب في الوقت نفسه في إبعاد إيران عن الملف السوري. قد يتوافق ترامب مع الروس والأتراك في الدعوة إلى انسحاب المقاتلين الأجانب من سوريا، وهذا يؤثر مباشرة على لبنان من خلال حزب الله".

ويشير الحلبي إلى التأثيرات على ملف اللجوء السوري مؤكدا أن "ملف اللاجئين في لبنان أو غير لبنان يتعلق بالوضع الميداني في سوريا فإذا كان هناك تثبيت لوقف إطلاق النار، يمكن أن يقوم ترامب بالاتفاق مع روسيا بأخذ القرار بوقف إطلاق النار إلى مجلس الأمن لتثبيته تحت الفصل السابع. تاليا تصبح عودة اللاجئين السوريين من لبنان أو غيرها من دول الجوار لسوريا أمرا ممكنا وقابلا للتنفيذ، فتنتقل حينها المخيمات إلى مناطق داخل سوريا حيث لم يعد هناك إطلاق نار أو تهديد لحياة اللاجئين".

لا يخفي الحلبي قلقه حول موضوع حقوق الإنسان في المنطقة نظرا لتشابكها مع مشروع الحرب على الإرهاب. ويقول "من ناحية حقوق الإنسان أظن أن التجربة السابقة مع الإدارات الأمير كية خاصة مع المحافظين، كانت سيئة لأن قضية مكافحة الإرهاب وما أفرزته من منطق الأمن الاستباقي، قامت على حساب حقوق الإنسان والحريات العامة مع أنه من المفترض أن تسير بشكل متواز احتراما لحقوق الإنسان، وعلى أساس من الاحترافية في محاربة الإرهاب دون شن عمليات استباقية يمكن أن تستهدف الأبرياء".

يتوقع الحلبي أن يكرر ترامب "الأداء نفسه الذي كان سائدا في عهد الرئيس بوش الابن وخصوصا لناحية اعتماد الحرب على الإرهاب بالوكالة. بعض الأنظمة العربية كانت تنتهك حقوق الإنسان مع شعوبها بالوكالة عن الإدارة الأميركية التي لا تستطيع أن تنتهكها بشكل فاضح لأنها تخاف من ملاحقة المنظمات الحقوقية الأميركية في المحاكم الأميركية، ولذلك اعتمدت غوانتانامو كسجن يقع خارج الصلاحية القانونية لأميركا، وقامت بما يشبه الصفقات السرية مع بعض دول أوروبا الشرقية وبعض الدول العربية، لاستحداث سجون سرية تحت عنوان الحرب الاستباقية على الإرهاب".

> تقول المؤشرات الأمنية والاقتصادية والسياسية إن لبنان يعاني من تصدعات عميقة في كل البنى التي تقوم عليها الدولة. ولم تنجح عملية سد الفراغ الرئاسي والحكومي في خلق جهاز مناعة عام يقي البلد من شر الأزمات

لجم إيران

يعتبر النائب عن كتلة المستقبل خالد زهرمان أنه "إذا كان هناك موقف حاسم وواضح من الإدارة الأميركية بالتشدد تجاه إيران للحد من هذه السياسة التوسعية التي تستخدمها المنظومة الإيرانية بالكامل، سيكون لهذه السياسة تداعيات إيجابية على الوضع اللبناني. الاستمرار في السير وفق منطق سياسة أوباما تحت عنوان أن أميركا وإيران في خندق واحد لمحاربة داعش، سيضعنا أمام توجهات خاطئة لأن السياسة التي تقوم بها إيران في المنطقة هي التي تغذي الفكر المتطرف، والقضاء على هذا الفكر يكون عبر إيقاف سياسة التدخل التي تتبعها إيران في العراق واليمن وسوريا ولبنان".

ويضيف "أخطأت الدول العربية حين تعاملت مع المنظومة الدولية من خارج منطق المصالح، وفي اعتمادها خطابا يقوم على المبادئ وحسب، في حين تعاطت إيران مع المجتمع الدولي تحت عنوان المصالح. أعتقد أنه لو لم يكن المجتمع الدولي محتاجا للاتفاق النووي الذي وقعه مع إيران انطلاقا من مصالح هذه الدول لم يكن ليحصل، وكانوا سيعتمدون سياسة أخرى. تاليا ما هو مطلوب من الدول العربية الآن ومن لبنان هو العمل على لملمة الصفوف، والخروج بسياسة موحدة باتجاه المجتمع الدولي وخصوصا تجاه الولايات المتحدة الأميركية، بوصفها الدولة الأكثر تأثيرا على الوضع في المنطقة والشروع في التعاطي معها عبر منطق المصالح".

ويضع النائب المستقبلي زيارة أبو الغيط إلى لبنان في سياق "دعم البلد بعد الانتخابات الرئاسية والتوافق الحاصل في البلد. لا أريد أن أعطيها بعدا أكبر من ذلك، ونتمنى أن يكون هناك دور أكبر لجامعة الدول العربية في إعادة لملمة الصف العربي، وخصوصا بعد الخلاف الذي بدأ يظهر إلى السطح بين مصر والمملكة العربية السعودية. ونحن نعرف في الوطن العربي أن هاتين الدولتين هما رافعة الوضع العربي. من هنا يجب أن يبذل الأمين العام لجامعة الدول العربية جهودا كبيرة لإعادة تصحيح العلاقة بين المملكة ومصر لأن الوضع الذي تعيشه المنطقة ولبنان والتهديدات التي تطالها تستدعي ضرورة توحيد الصف بين الجميع".

ويرد زهرمان على السؤال حول فشل المجلس النيابي في إقرار قانون انتخابي وإقرار الموازنة العامة، وأثر هذا الفشل على قدرة لبنان على التعامل مع تحديات مرحلة ترامب، فيقول في هذا الصدد "أظن أنه لا بدّ كي يصار إلى إقرار قانون جديد للانتخاب من أن يحصل توافق خارج المجلس النيابي. أعتقد أن التواصل والمشاورات يسيران على قدم وساق، وبمجرد أن يتم التوافق على صيغة معينة فالمجلس النيابي سيكون مستعد لإقرار هذا القانون. في ما خص الموازنة فهي تحتاج بعضا من الوقت كي تحضر الحكومة هذا الملف، وهناك جهد منصبّ على هذا الموضوع كي تجهز الموازنة وتخرج إلى مجلس النواب. الأجواء كانت إيجابية في الجلسة، وهناك تعاون بين الجميع، والنقاشات موضوعية دون كيدية. ستنعكس هذه الأجواء على كل المواضيع الأخرى، فالجميع يعلمون أنه لا بديل عن هذا التوافق ورصّ الصفوف من أجل مواجهات تحديات مرحلة ترامب التي ستكون مختلفة عن مرحلة أوباما".

الحفاظ على الاستقرار

يحصر الخبير الاقتصادي والباحث السياسي كامل وزنة التداعيات المتوقعة من وصول ترامب والمرتبطة بلبنان في ملف حزب الله وما يتفرع عنه ويرتبط به. ويعتبر أنه من المعروف أن للبنان "وضعا خاصا في سياسة الولايات المتحدة الأميركية التي تحرص على ضمان استقراره وليس هناك مصلحة لأيّ أحد بأن يكون هناك تشدد أو عدم استقرار في لبنان. الملف الاقتصادي لن يتغير في عهد ترامب، لكن التغير قد يطال الموضوع الأمني العسكري، لأن زيادة منسوب التعاطف مع إسرائيل قد يدفعها إلى التفكير بالقيام بعمل عسكري كبير يطال كل هيكلية حزب الله معتمدة على الدعم الكامل من الإدارة الأميركية".

ويشير وزنة إلى أن "ملف حزب الله يختلف لدى الإدارة الأميركية عن الملف اللبناني، وسيبقى تعامل الإدارة الأميركية مع لبنان قائما على الأسس نفسها لناحية الحفاظ على الاستقرار".

ترامب وسوريا ومرحلة ما بعد حلب

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❏ تبدأ ولاية دونالد ترامب، فيما انتقلت سوريا إلى حال جديدة مختلفة كلّيا عن تلك التي مرّت فيها منذ اندلاع الثورة الشعبية في آذار-مارس 2011 بحثا عن شيء من الكرامة. يبحث الشعب السوري عن شيء من كرامته المفقودة منذ ما قبل وصول حزب البعث إلى السلطة في آذار-مارس 1963، أي منذ أخذه بعض الجهلاء والمغامرين إلى الوحدة مع مصر في العام 1958، وهي وحدة أقرب ما تكون إلى بناء قصور على الرمال.

أسست الوحدة لقيام نظام أمني في سوريا التي كانت بدأت تلتقط أنفاسها وتعود إلى وضع طبيعي، في ظلّ برلمان منتخب ديمقراطيا، بعد سلسلة من الانقلابات العسكرية لضباط يتسمون بالرعونة بدءا بحسني الزعيم الذي قام على النظام القائم في العام 1949.

> مؤتمر أستانة الذي سينعقد ابتداء من يوم الاثنين، بدفع روسي-تركي، لن يكون سوى خطوة أولى على طريق تقديم روسيا-فلاديمير بوتين أوراق اعتمادها لأميركا-دونالد ترامب. سوريا هي المنطلق بالنسبة إلى الرئيس الروسي الذي يعرف في نهاية المطاف أنه سيكون عليه الاختيار، عاجلا أم آجلا، بين واشنطن وطهران

يتمثّل جديد سوريا هذه الأيّام في ما بعد معركة حلب التي شهدت إطلاق المشاركين في جنازة هاشمي رفسنجاني في طهران هتاف "الموت لروسيا" تعبيرا عن مدى السخط الإيراني من السياسة الروسية في سوريا. كان وزير الخارجية الروسي سيرجي لافروف على حقّ عندما أكد قبل أيّام أنّ دمشق كانت ستسقط في يد المعارضة في غضون أسبوعين أو ثلاثة لو لم يحصل التدخل العسكري الروسي في أواخر أيلول-سبتمبر من العام 2015. يعبّر مثل هذا الكلام عن حقيقة أنّ روسيا أنقذت النظام السوري وأبقت بشار الأسد في دمشق. روسيا نفسها جعلت الثوار يغادرون حلب وذلك في ظلّ اتفاق مع تركيا التي لعبت دورا أساسيا على صعيد تغيير الوضع في المدينة. سحبت تركيا المسلحين الذين لديها مونة عليهم من داخل حلب ثمّ قطعت الإمدادات عن المدافعين عن المدينة في ظلّ قصف جوّي روسي طاول المدنيين خصوصا لتأليبهم على المدافعين عن حلب.

تبدو روسيا على عجلة من أمرها في سوريا. كان عليها خلق أمر واقع على الأرض قبل دخول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض. كان عليها أن تهيّئ نفسها لمفاوضات مع الإدارة الأميركية الجديدة من موقع قوّة. فالرئيس الروسي يعرف جيدا أن ترامب ومساعديه، على رأسهم وزير الخارجية ركس تيلرسون، يعشقون عقد الصفقات، كل أنواع الصفقات، بما في ذلك الصفقات السياسية.

تظلّ سوريا إحدى الأوراق القويّة لدى فلاديمير بوتين. يراهن الرئيس الروسي على استخدام هذه الورقة في الوقت المناسب بغية الخروج من الوضع الاقتصادي الصعب الذي تعاني منه بلاده. لذلك يمكن الحديث عن وضع جديد في سوريا بدأت تظهر ملامحه بوضوح كلّيّ في مرحلة ما بعد سقوط حلب.

من أبرز هذه الملامح التوتر بين روسيا من جهة وكل من النظام السوري وإيران من جهة أخرى. لم يكن منع بشار الأسد من زيارة حلب في الفترة بين عيدي الميلاد ورأس السنة الجديدة، أي في الأسبوع الأخير من الشهر الماضي سوى أحد مظاهر هذا التوتر. كان الأسد الابن ينوي إلقاء "خطاب الانتصار" في المدينة. جاءت الرسالة الروسية مقتضبة. فحوى الرسالة أن الانتصار الذي تحقّق على حلب وأهل حلب كان نتيجة تحالف روسي-تركي ليس إلّا. دخول قوات تابعة للنظام وميليشيات مذهبية تابعة لإيران مناطق وأحياء كانت تحت سيطرة المعارضة، كان نتيجة مباشرة لهذا التحالف. لو شاءت تركيا، لبقيت حلب، في جزء منها، عصيّة على النظام.

يتمثّل جديد سوريا باختصار في التحالف مع تركيا في منطقة الشمال السوري والتحالف مع إسرائيل في مناطق أخرى، خصوصا في كلّ ما له علاقة من قريب أو بعيد بدمشق والمناطق القريبة منها وتلك المرتبطة بالجولان الذي طويت صفحته. ليس صدفة الإعلان قبل أيام عن غارات جوية روسية-تركية على "داعش" في داخل الأراضي السورية.

لم يعد سرّا أن الحلف السوري-الإسرائيلي أكثر عمقا بكثير مما يعتقد. إذا كان هناك تحالف تركي-روسي، هناك حلف روسي-إسرائيلي. سيساعد هذا الحلف روسيا في التعاطي مع الإدارة الأميركية الجديدة التي أعلنت أنها ستنقل السفارة إلى القدس التي تعتبرها إسرائيل "عاصمتها الأبدية". أكثر من ذلك، أظهرت هذه الإدارة انحيازا كبيرا لإسرائيل ولسياسة الاستيطان التي يتبعها بنيامين نتنياهو عندما عيّنت ديفيد فريدمان سفيرا لها في إسرائيل. الأسوأ من ذلك، أن ترامب جعل من صهره جاريد كوشنر مسؤولا عن عملية السلام. كوشنر وفريدمان من أبرز داعمي الاستيطان الإسرائيلي في الضفة الغربية. إنّهما رمز للتغيير الذي ينشده ترامب على صعيد الشرق الأوسط في مجال تكريس الاحتلال الإسرائيلي لجزء من الضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية!

في ظلّ التحالف الروسي-التركي والحلف الروسي-الإسرائيلي والعلاقات المتجددة بين تركيا وإسرائيل، هناك وضع جديد على الأرض في سوريا. هل بدأت إيران تعيد حساباتها، خصوصا بعدما تبيّن أن هامش المناورة لديها صار محدودا وأن كلّ شيء في سوريا يعتمد على ما يتقرّر في موسكو، بما في ذلك مراقبة روسيا لعملية شراء الأراضي من أجل تغيير التركيبة السكانية في مناطق محدّدة في مقدّمها دمشق؟

هذا الوضع الجديد على الأرض السورية يمكن أن يفسّر تلك التحولات في الخطاب. فجأة، يتحدّث محمد جواد ظريف وزير الخارجية عن تعاون إيراني-سعودي أدّى إلى انتخاب رئيس للجمهورية في لبنان. كذلك صار علي شمخاني أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني حريصا على وحدة الأراضي السعودية وعلى التعاون مع المملكة ومع العائلة المالكة فيها.. فجأة أيضا، صار يتحدّث بإيجابية عن آل سعود في تصريح وزعته الوكالة الإيرانية الرسمية "إرنا"!.

لن يكون مؤتمر أستانة (عاصمة كازاخستان) الذي سينعقد ابتداء من يوم الاثنين، بدفع روسي-تركي، سوى خطوة أولى على طريق تقديم روسيا-فلاديمير بوتين أوراق اعتمادها لأميركا-دونالد ترامب. سوريا هي المنطلق بالنسبة إلى الرئيس الروسي الذي يعرف في نهاية المطاف أنّه سيكون عليه الاختيار، عاجلا أم آجلا، بين واشنطن وطهران. فمثلما هناك جديد على الأرض في سوريا، هناك جديد على الأرض في واشنطن. هناك وزير جديد للدفاع هو الجنرال جيمس ماتيس يعرف تماما، وهذا على الأقلّ ما قاله أمام لجنة القوات المسلحة في مجلس الشيوخ، أن إيران مصدر التوتر في المنطقة وأنّ التوصل إلى اتفاق معها في شأن الملف النووي لا يعني التغاضي عن مشروعها التوسّعي في الإقليم.

يبدو أن موسكو تفهم هذه المعادلة جيّدا. ليست الساحة السورية، بما في ذلك التوتر الروسي-الإيراني سوى مرآة للتغيير الكبير الذي بدأ يشهده الشرق الأوسط ومعه العالم مع بداية عهد دونالد ترامب.

زمن دونالد ترامب

هل يتوقع الإخوان تحرير الشيعة للموصل وتسليمها لهم

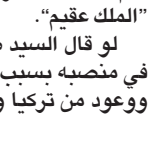

أسعد البصري
كاتب عراقي

❏ ظهر الأستاذ طارق الهاشمي قبل أسبوعين على برنامج "الذاكرة السياسية" في قناة العربية. وردًا على سؤال مهم لماذا بقيت في السلطة رغم اغتيال أخيك المهندس محمد الهاشمي، وبعدها اغتيال شقيقتك ميسون الهاشمي، وأخيرا اغتيال شقيقك الفريق أول ركن عامر الهاشمي؟ قال الهاشمي إنه بقي في منصب الأمين العام للحزب الإسلامي) الإخوان المسلمين) في العراق ومنصب نائب رئيس الجمهورية العراقي لأن معاناته الشخصية أقل من معاناة الناس الآخرين. وهذا جواب محيّر.

هل يضحّي الإنسان بجاذبية السلطة والمنصب إذا تم استهداف أهله وأقاربه؟ الإخواني الآخر سليم الجبوري مرتاح جدا لقمع أهله في محافظة ديالى، ولا يمكن أن يضحّي بمنصب رئيس البرلمان حتى لو تم محو مسقط رأسه من الوجود.

كانت سمة القرن السادس عشر هي التخلص من أفراد الأسرة لضمان الملك خصوصا في الدول المغولية والعثمانية والصفوية. حين اعتلى الشاه عباس الحكم مثلا لم يكن من أفراد أسرته سوى والده وأخويه وابني أخيه فأمر بحبسهم جميعا ثم سمل عيون الأمراء الأربعة وأعادهم إلى قلعة ألَموت حيث توفوا فيها؟ أما أبوه فهو أصلا ضرير. كما قتل الشاه عباس ابنه الأكبر محمد باقر عام 1615، وحين اكتسب ابنه خدابندة شعبية بين القزلباش سمل عينيه لينتحر الفتى بالسم، ولم يبق سوى الابن الأخير مقلي الذي أمر الشاه عباس بسمل عينيه عام 1627. هذا هو تاريخ السلطان في الشرق "الملك عقيم".

لو قال السيد طارق الهاشمي بأنه قد بقي في منصبه بسبب أوامر من تنظيم الإخوان ووعود من تركيا وقطر بالسلطان لكنا صدقناه، أما ما يقوله عن البقاء لأجل الشعب فلا أساس له من الصحة بالدليل التاريخي.

الهاشمي يقول إن إيران حرّضت السنة على مقاومة أميركا أو جعلت قتل الجنود الأميركان في المناطق السنية حصرا. طيب ماذا عن مواقف الشيخ حارث الضاري؟ هل هو إيراني أيضا؟ والبعث والنقشبندية إيرانيون؟

هل ننسى بطولاتنا بسهولة؟ أليست الفلوجة أذاقت المحتل الأميركي الويل والثبور؟ هل نسينا ملاحم المجاهدين السنة ضد الصليبيين؟ هل نسينا المقاومة الباسلة التي جعلت الأميركان يعودون إلى بلادهم معاقين جسديا ونفسيا؟ أحفاد عمر المختار وصلاح الدين وصدام حسين. هل نسينا الروافض حلفاء الصليب الخونة التاريخيين أحفاد ابن العلقمي الذين يطعنون الأمة الإسلامية من الخلف؟ كيف فجأة يتنكر الإخوان لكل كلامهم السابق ولا يريدون الآن لا أمة إسلامية ولا مقاومة بل يريدون ماما أميركا.

هذا الخطاب المضطرب والفاشل للسياسيين السنّة هو سبب بلائنا. نحن نعيش اليوم انفصال سنّة العراق النهائي عن كل السنّة في العالم. انفصال وجداني عميق وأبديّ، فقد تخلى الجميع عنهم ووقف معهم الشيعة.

في استجواب لجون كيري بالكونغرس 2014 بعد عودته من الشرق الأوسط بسبب ظهور داعش، قال له أعضاء الكونغرس هل وافقت أي دولة عربية على إرسال قوات على الأرض لقتال داعش؟ فقال: كلا. القوات التي على الأرض اليوم وحررت معظم الموصل هي قوات شيعة العراق.

جنرالات شيعة يحررون الموصل من داعش بتغطية إعلامية خاصة من الـ"بي بي سي"، والمواكب الحسينية تعمل كمنظمات إغاثة للنازحين، والسيد السيستاني خصص ميزانية لشباب الموصل.

عن وكالة رويترز قال قائد عسكري عراقي بارز يوم الخميس إن معظم قادة تنظيم الدولة الإسلامية في الموصل قتلوا في معارك مع قوات الحكومة العراقية تستعر منذ ثلاثة أشهر في الجانب الشرقي من المدينة. وأبلغ الفريق الركن عبدالغني الأسدي رويترز أن استعادة الجانب الغربي من الموصل لن تكون أكثر صعوبة من تلك التي دارت في الجانب الشرقي.

كلما اقترب تحرير الموصل يقترب السؤال السياسي ما هي الفائدة السياسية لبغداد؟ السنّة يقولون الشيعة سلّموا مدينتهم لداعش وواجب عليهم استرجاعها، وحرس نينوى والنجيفي مفروضان على حكومة بغداد فرضا بأوامر من تركيا. والتعامل الحسن بسبب الرقابة الدولية والإعلام الأجنبي لأهمية الموصل. باختصار يقولون إن على الشيعة حمل جثث أبنائهم والعودة بها إلى النجف بعد التحرير، والمدينة يتسلمها حليف تركيا السيد النجيفي. هذا الكلام غير معقول برأيي. لا بد عند حكومة بغداد هدف سياسي كبير.

تأثرت كثيرا حين قام الدكتور بشار الجعفري مندوب سوريا الدائم لدى الأمم المتحدة بعرض صورة لجندي عراقي مسكين يجعل من جسده معبرا لسيدة عراقية مسنة في الأنبار. وحدثت فضيحة للدكتور الجعفري لأنه عرض الصورة مدعيا أنها في سوريا وأن الجندي سوري. لو كانت هناك صور كهذه لجندي سوري لما اضطر الجعفري إلى سرقة صورة جندي عراقي. الجنرال عبدالوهاب الساعدي احتضن طفلة من الموصل ترتجف من الخوف ضمها إليه بحنان أب حتى تغيرت ملامح وجهه.

مدينة الموصل فيها مليون ونصف مليون إنسان. كانت تحت حكم داعش لعامين ونصف العام.

فهل تحررها بغداد بالآلاف من القتلى وتسلمها للنجيفي؟ مَن سيقوم بالأمن والمخابرات والمداهمات والتحقيق والاعتقالات والسيطرات والتفتيش؟ خصوصا في السنة الأولى بعد التحرير؟ هل يُعقل أن تترك الحكومة كل ذلك؟ وماذا لو سقطت مرة أخرى بيد داعش؟

من سيكسر حجر الدومينو القادم

سنّة العراق تغيّروا كثيرا فقد عصرتهم المحنة. يقول لي رجل سنّي محترم من بغداد تسبب التعذيب بإصابته بعجز كلوي دائم يا أسعد، صحيح أن الأمم المتحدة قد أحصت 34 ألف قتيل بعد تفجير الإمامين العسكريين 2006 ورغم أن صور الجثث البغدادية مجهولة الهوية كانت في ذهنه. إلا أن الرجل يقول نحن "خرجنا بالوجه الأسود". خلال الأيام الماضية أصدر السيد مقتدى الصدر بيانا على خلفية إعدام البحرين لإرهابيين شيعة ووصف حكومة البحرين بأنها "داعشية".

سنّة العراق تعلموا الدرس وليسوا بحاجة لتحريض جديد من السيد طارق الهاشمي. الحكومة شيعية متحالفة مع إيران لإيران ونحن نازحون هاربون من داعش ترحمنا حكومتنا وتحمينا، ولا نستفيد شيئا من الإخوان المسلمين، بعضهم في الخارج يحرّض على إيران وبعضهم الذي في الداخل مثل رئيس البرلمان سليم الجبوري يعزّي السفير الإيراني بوفاة رفسنجاني قبل أن يتسلم السفير الإيراني الجديد مهامه.

شيعة العراق هيأوا أنفسهم جيدا لمرحلة الرئيس دونالد ترامب. إذا ضرب ترامب إيران فهم حلفاء الولايات المتحدة قبل إيران. وإذا شدد ترامب على الإرهاب السني فهم القوات التي هزمت داعش بمساعدة الأميركان. وأهم شيء أن الشيعة قاموا ببناء قوات عسكرية ضخمة يستطيعون حماية أنفسهم ومدنهم من أيّ تمرد إرهابي.

من المستبعد أن يدعم ترامب تحولا سياسيا لصالح السنّة في العراق. طائفة ذبحت خمسة آلاف جندي أميركي وقاومت الاحتلال، وخرج منها خليفة الدولة الإسلامية، وتم تفجير وذبح الأجانب باسمه في مدن غربية، لا يمكن أن تمنح أميركا السلطة لثقافة من هذا النوع، بينما شيعة العراق لا يشكلون خطرا على مصالح الغرب.

لسان حالنا يقول: حكومة شيعية عراقية اكتسبت خبرة مع الزمن أفضل من الإخوان المسلمين الذين أوصلونا بيدهم إلى داعش وهربوا.

تحديد المفاهيم والمصطلحات خطوة أولى نحو تجديد الخطاب الديني

مؤتمر مكتبة الإسكندرية: الإرهاب تطرف سياسي واجتماعي تم تغليفه بصبغة دينية

أصبح الإرهاب يأخذ طابعا مختلفا بسبب وسائل الاتصال والطفرة الرقمية، ولذا فإننا نحتاج استراتيجية مختلفة لمواجهته، فيما لا يمكن اعتماد السياسة الأمنية باعتبارها عماد استراتيجية محاربة التطرف والإرهاب، وفق ما أكّدته جلسات ونقاشات دارت في مكتبة الإسكندرية ضمن فعاليات مؤتمر "العالم ينتفض: متحدون في مواجهة الإرهاب"، الذي يعقد لتحليل وتشخيص ظاهرة الإرهاب والتطرف والتي يرى الخبراء أن السياسات التي أرسيت لمحاربتها ساهمت إلى حد ما في انتشارها.

حذام خريف
كاتبة من تونس

إلى أين الوجهة

❑ **الإسكندرية (مصر)** – تشير التوقعات الاستراتيجية والعسكرية إلى أن سنة 2017 ستكون سنة التراجع المدمر لـ"دولة الخلافة"، على المستوى الميداني، لكن هذه التوقعات لا تحمل معها البشائر بأن خطر الإرهاب سيختفي، بل بالعكس فالقراءات تشير إلى أن القادم أشدّ خطورة في حال بقيت سياسات محاربة الإرهاب في شكلها التقليدي الراهن، فتقلص قوة تنظيم داعش، أو حتى دحره عسكريا، لم يقابله دحر ثقافي واجتماعي للأرضية التي بنى عليها التنظيم قوته واستقطب من خلالها مقاتليه من كل أنحاء العالم.

تهديد الإرهاب لا ينتهي بمجرّد استعادة منطقة، أو قتل زعيم التنظيم، فداعش ولد من رحم بقايا تنظيم القاعدة في العراق، والقاعدة مستمرة في التهديد رغم مقتل أسامة بن لادن، وبوكو حرام وحركة الشباب في الصومال مستمرتان رغم القصف العسكري المتواصل.

واليوم تحول الإرهاب، في جانبه الأيديولوجي بدرجة أولى، إلى تهديد دولي عابر للقارات، يقتحم السجون الأوروبية ويضرب أعتى العواصم العالمية، ويحوّل منارات الإسلام المعتدل في العالم العربي إلى مناطق رئيسية لتصدير المقاتلين في صفوف التنظيمات المصنفة على قائمة الجماعات الإرهابية الدولية.

ويكشف هذا التمدد أن المواجهة ليست فقط بضربات عسكرية لتحالفات دولية تنتشر من مالي إلى العراق؛ بل بقدر ما تزداد وتيرة تلك الضربات تزداد أيديولوجيا التطرف انتشارا، متغذية من عدة عوامل هي الأولى بالمعالجة والانتباه، تدخل السياسات المحلية والإقليمية والدولية في جزء منها، فيما تسيطر الحالة النفسية والاجتماعية والاقتصادية على الجزء الأكبر.

> الإرهاب تحول إلى تهديد دولي عابر للقارات، يقتحم السجون الأوروبية ويضرب أعتى العواصم العالمية ويحول منارات الإسلام المعتدل في العالم العربي إلى مناطق رئيسية لتصدير المقاتلين في صفوف التنظيمات المصنفة على قائمة الجماعات الإرهابية الدولية

والأخطر من هذا الواقع، ما ذهب إليه الكثير من الخبراء والمشاركين في المؤتمر الدولي الثالث لمكافحة الإرهاب، الذي عقدته مكتبة الإسكندرية من 17 إلى 19 يناير 2017، إلى القول إن التنظيمات الإرهابية باتت تسبق السياسات الحكومية بمراحل، بل إنها تفوقت عليها على مستوى "العمل اللوجستي".

طرحت هذه المسألة بشكل كبير خلال جلسات المؤتمر الذي اختارت له مكتبة الإسكندرية هذه العام عنوان "العالم ينتفض: متحدون في مواجهة الإرهاب"، وهو عنوان يحمل بعض الضبابية خصوصا فيما يتعلق بفكرة انتفاض العالم واتحاده ضد الإرهاب، وهو اتحاد لم يتحقق بعد ولا يتوقع أن يتحقق لأن الإرهاب في شكله الراهن خلق أساسا لأسباب سياسية واستراتيجية ولخدمة مصالح مختلفة.

أجمع المشاركين على أن الإرهاب "الإسلامي" ظهر خلال الحرب التي رعتها الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفييتي في أفغانستان، بين عامي 1979–1989. ولسنوات بقيت رقعة الخطر محصورة في أفغانستان والمناطق المحيطة بها وفي بعض العمليات المتفرقة، إلى أن جاء التحول الرئيسي الأول في طبيعة هذه الجماعات التي توصف بـ"الجهادية" بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، ثم كان الحدث المفصلي الثاني غزو العراق في العام 2003، ليصل إلى المرحلة الأخطر مع تنظيم الدولة الإسلامية.

كشف تصاعد تنظيم الدولة الإسلامية عن عورات كثيرة في عموم النظام الاجتماعي العالمي، فتجنيد المقاتلين، وإن اتخذ في ظاهره بعدا عقائديا دينيا، فإن أرضيته الرئيسية كانت إحساس الشباب الذين يجري تجنيدهم بالاغتراب ولا علاقة للأمر بالدين، كما قالت الباحثة التونسية بدرة قعلول.

وتوصلت قعلول إلى هذه الخلاصة بعد حديث مع مجموعة من الشباب في منطقة "البودرية"، وهي حي شعبي يعرف بأنه إحدى أشهر بؤر تصدير المقاتلين إلى داعش في تونس. أكد أغلب هؤلاء أن الأمر يتعلق بالحاجة إلى المال أساسا والعيش الجيد، وهو ما توفره في الوقت الراهن هذه الجماعة.

وأكدت بدرة قعلول أن الفقر هو العامل الأول الذي تستغله الجماعات المتطرفة لتجنيد الشباب في تونس، فالظروف المعيشية في الحيّ الذي تم البحث فيه بالغة التدني، كما أن التهميش الاجتماعي والسياسي هو العامل الثاني والأكثر أهمية، فالشباب يشعر بالإحباط والنقص في بلاده، وتقوم تلك الجماعات بإعطائه المكانة الاجتماعية التي يفتقدها. وتساءلت عن دور الدولة في هذا الإطار، مبينة أن دور الباحثين يتمثل في التفكير والتشخيص وإعطاء الحلول العملية، ثم يأتي دور الدولة والمسؤولين. وأضافت أنه يجب العمل على مفهوم "الوقاية"، وإنقاذ الأجيال القادمة من هذا التيار الجارف.

ولم يختلف مشاركون تحدّثت إليهم "العرب"، على هامش المؤتمر، في أن القضاء على الإرهاب يتطلب أوّلا فهم ما يجعل جماعاته تنبض بالحياة، وكيف تمارس نفوذها ولماذا تزدهر، ومن ثمة نعرف كيف تمكن مواجهته.

واعتبروا أن الحرب على الإرهاب لا يزال يخطط لها على أسس أمنية وعسكرية، رغم أن هذه الأسس تأتي في مرحلة لاحقة، مشيرين إلى أنه وفيما كانت الحكومات والجهات الدينية والنخبوية الرسمية تلقي بالمواعظ وتتحدث كثيرا دون تقديم حلول ملموسة، كان داعش يغرد في تويتر ويتواصل عبر فايسبوك مع هؤلاء الشباب، ويتحدث لغتهم ويطرق مباشرة مكمن الضعف فيهم.

تحديد المصطلحات

كان من أبرز جلسات المؤتمر تلك التي تناولت دور الإعلام في مواجهة الإرهاب، وتستمد هذه الجلسة أهميتها، لا من الحديث عن سلبية الإعلام العربي في التعاطي مع هذه الظاهرة، بسبب اختلاف التوجهات والتمويلات من وسيلة إلى أخرى، بل أساسا من طرحها إشكالية يمكن اعتبارها هي نقطة البداية في تجديد سياسات محاربة الإرهاب، وهي استعمال المصطلحات.

وكان هذا التباين في استعمال المصطلحات واضحا بشكل ملموس خلال المداخلات التي ألقيت على مدى أيام المؤتمر الثلاثة. فمثلا هناك من يقول إرهابيين وهناك من يقول جهاديين، والبعض يضع الفكر المتطرف والإرهاب في بوتقة واحدة، فيما يشاطر البعض الآخر الناشطة الحقوقية اليمنية وسام بساندوه في قولها إنه لا يجب الخلط بين التطرف والعنف، فالتطرف "فكر" يقوده إلى العنف "سلوك".

وهناك وسائل إعلام وفضائيات ترى من فجّر نفسه داخل كنيسة ضحية، وأخرى تقف حائرة أمام الإجابة على سؤال ماذا لو تبنى داعش عملية ضد مصالح إسرائيلية وهل سيتم توصيف ذلك بالحدث الإرهابي باعتباره عنفا ضد الإنسانية بغض النظر عن التفاصيل.

لا يمكن الخروج من هذا المأزق إلا بتحديد المفاهيم والمصطلحات والاتفاق عليها؛ وهي خطوة يعتبرها الخبراء أولى لبنات تجديد الخطاب الديني ومحاربة ما وصفه الباحث العراقي عبدالحسين شعبان بـ"الإسلاموفوبيا"، أي استخدام التعاليم الإسلامية ضد الإسلام بما يمنح مبررات للإسلاموفوبيا.

كان عبدالحسين شعبان من أبرز المتحدثين عن ضرورة وجود توصيف دقيق لمصطلحات التعصب والتطرف والعنف والإرهاب؛ فهناك 19 اتفاقية دولية صادرة عن الأمم المتحدة لا تضع تعريفا محددا للإرهاب. وهذا ليس مصادفة، حيث تختلف التعريفات بما يخدم مصالح الدول الكبرى في سياق منحها المبرر القانوني الدولي الذي يعطيها الحق في الغزو وشن حروب استباقية ووقائية ضد بلدان أخرى.

إذن، فتحديد المصطلحات وتسمية الأسماء بمسمّياتها، في الإعلام وفي البيانات والتصريحات والإدانات، خطوة رئيسية في سياق تشخيص الحالة الإرهابية الراهنة. فالإرهاب شأنه شأن مختلف الممارسات الإنسانية ظاهرة قديمة قدم الإنسان، اختلفت صورتها باختلاف بيئتها وأسبابها ودوافعها وهي اليوم تتخذ من الإسلام والجهاد مطية لتنتشر.

لئن كانت هذه الظاهرة في سياقات تاريخية أخرى محدودة جغرافيا وفكريا فإنها اليوم ظاهرة كونية باتت تساير موجة العولمة وتواكب طفرتها الرقمية وتتغذى من سلبياتها، فيما بقي تعامل الجهات المحاربة لها معها تقليديا، بيانات ودراسات ومؤتمرات فكرية، وفي أقصى تجلياته مشاركة عسكرية ضمن التحالفات الدولية لمحاربة الإرهاب.

فنحن، وكما أشار الباحث المصري عمرو الشوبكي "أمام تحول في طبيعة الجماعات المتطرفة، لكننا لا زلنا نستخدم النموذج القديم في التعامل مع هذه المشكلة"؛ فمؤتمر "العالم ينتفض"، بضيوفه الذين تجاوز عددهم الثلاثمئة، بين باحثين وسياسيين وإعلاميين ورجال دين، ومتخصصين، ورغم ما تضمنه من جلسات ومداخلات ذات قيمة شخّصت بشكل دقيق الحالة الإرهابية، فإن مخرجاته تبقى نخبوية صداها لا يصل حتى إلى الآلاف من طلاب كلية التجارة وكلية الحقوق التي يفصلها عن مكتبة الإسكندرية شارع واحد. وبينما كان الخبراء والباحثون المخضرمون يلقون محاضراتهم داخل قاعات مكتبة الإسكندرية عن دوافع انتماء الشباب إلى التنظيمات الإرهابية، كان كورنيش الإسكندرية، يعج بالشباب. جماعات تستمع للموسيقى، وأخرى تتحدث عن أمنيات، وعاشقون هنا وهناك يسترقون نظرات حالمة لكنها ضائعة تبحث عن بعض الثقة والتحسيس بالأهمية وسط زحام البطالة والوهن الاقتصادي وغياب العدالة الاجتماعية وتقاليد وأفكار "تحجّره" فكريا ونفسيا.

وبينما كان عدد قليل لم يتعدّ الخمسة عشر شخصا حاضرا في جلسة الشباب والتطرف، كان في ساحة المكتبة العشرات وفي خارجها الكثير من هذا الشباب الذي يتحدث لغة غير لغة المؤتمرات ويتصرف بطريقة لا تعترف ببروتوكولات الملتقيات النخبوية.

مواجهة ناقصة

في عصر "التويتس" لا يمكن أن تؤثّر محاضرة من خمس صفحات في شباب يختزل ما يريد قوله في تغريدة أو في تسجيل لا يتجاوز العشر دقائق ويعرضه على يوتيوب، ولم تعد المجلدات متعددة الأجزاء تجد من يقبل عليها، في عصر الهواتف الذكية، ولعل هذا ما تفطنت إليه مكتبة الإسكندرية في بعض مشاريعها المتعلقة برقمنة محتوياتها لكنها لم تدخل هذه الرقمنة بعد على مستوى طريقة تنظيم الملتقيات والمؤتمرات، حيث غلبت الجلسات التقليدية التي يكثر فيها الحديث عن الظاهرة حتى تتوه المعلومة الضرورية بين ثناياها.

إسماعيل سراج الدين، مدير مكتبة الإسكندرية، عرض في كلمته في اختتام مؤتمر "العالم ينتفض: متحدون في مواجهة الإرهاب"، صورة جميلة تعود للأيام الأولى لثورة 25 يناير وفيها يظهر شباب يقفون مجندين لحماية مكتبة الإسكندرية من الأعمال التخريبية التي شهدتها المدينة خلال تلك الأيام.

كانت ملامح الشباب تنضح تقديرا لهذا الصرح وعكست قلقا كبيرا عليه، في صورة تكشف إلى حدّ ما عن الثغرة التي يتسلل منها المتشددون لتجنيد الشباب واستقطابه. فهؤلاء الشباب وإن كان بعضهم لا يطالع وربما هناك منهم من غادر مقاعد الدراسة في سنوات مبكرة، إلا أنه وعى بأهمية هذا الصرح التنويري وما يحتويه من كنوز معرفية وجبت حمايتها من التخريب، لكن علاقته بالمكتبة وقفت عند هذا الحد، دون أن تتطور لتصل إليه وتبلغه المعارف التي تحتويها والمآثر التي يمكن أن تساعده على تجاوز قتامة واقعه.

تزامن مع انعقاد المؤتمر عرض فيلم "مولانا" لإبراهيم عيسى وإخراج مجدي أحمد علي، وكان لافتا الحضور اليومي لعدد كبير من الشباب في قاعة السينما لمشاهدة الفيلم، في صورة تكشف مدى تفكك سياسات محاربة الإرهاب في العالم العربي، فليس هناك تداخل بين العسكري والثقافي والديني. يكشف الصدى الذي لقيه فيلم "مولانا" أن المقاربة تبقى ناقصة في غياب دور متزامن للثقافة والسينما والفنون؛ بل وحتى كرة القدم. حضر في المؤتمر، باحثون وسياسون وخبراء وعلماء اجتماع، وكثير منهم في سن الشباب، لكن هؤلاء لا يؤثرون مثلما يؤثر فنانو الراب والأندر غراوند الذين لا يمكن إنكار أهمية دورهم في هذه المرحلة التي وصفها بدقة الباحث المصري رفعت السعيد بقوله "نواجه ظاهرة صعبة وهي محاولة تجديد وتصحيح الفكر".

> تنظيم الدولة الإسلامية وعى بأهمية مواقع التواصل الاجتماعي، وقام بتوظيفها في الوقت الذي كانت بعض الحكومات تمنعها ولم تفلح مراقبتها لها في اكتشاف ما كان يتسلل إلى عقول الشباب

تقول إحدى وثائق موقع ويكيليكس إن تأثير المسلسلات أنجع في الحدّ من النزعة المتطرّفة من مئات ملايين الدولارات التي تنفق على دعايات وحملات لهذا الغرض. وقد اعترف مختصون في الإعلام ممن شاركوا في المؤتمر أنه وفي الوقت الذي ما زالنا ننظر فيه إلى الإعلام على أنه مجرّد مسلسلات وبرامج مسابقات وبرامج طبخ وموضة وبرامج سياسية موجهة وفق تمويل الوسيلة الإعلامية، توفق إعلام تنظيم داعش، وقدم أذرعا إعلامية بتقنيات عالية: مجلة دابق، وأشرطة وتسجيلات موسيقية، بإخراج في غاية التقنية والدقة، ووصل إلى مجال ألعاب الفيديو، وكان ذلك أحد أبرز وسائل الدمغجة والتأثير التي يتّبعها.

في ظل وجود أسباب أخرى جديدة لأعمال الإرهاب، يتوضح أن هزيمة هذا الخطر أضحت معقّدة أكثر ولم تعد تختصر في مقتل أبي بكر البغدادي بل باتت تتطلب مراجعة أكبر تبدأ بتحديث لغة الخطاب وعدم حصر هذه الظاهرة في منظورها الديني فقط، والتحدث بلغة الثورة المعرفية والرقمية لإيصال خطاب ديني متجدد ومتحرر من قيود التراث، التي تنزله إلى أسفل وتبقيه محصورا في أزمان غابرة بينما العالم يتطور ويتقدم وبدأ يجهز مشاريع لاستيطان القمر.

لكن، وعلى أهمية ما جاء في كلمة سراج الدين، ومختلف المداخلات، التي تناولت مواضيع مثل: مقاربة العلوم الاجتماعية للتطرف في العالم العربي، ونقد خطابات التطرّف والإعلام ومواجهة التطرف والتعليم والفضاء الرقمي والتطرف، وغيرها من المواضيع، ستبقى المبادرات من قبيل مؤتمر صناعة التطرّف في تدابير المواجهة الفكرية، قاصرة ومقصّرة إذا ما ظلت توصياتها حبرا على ورق، وحديث تجمعات نخبوية يصدر جعجعة ويضع يده على الداء لكن دون أن يصنع الترياق المضاد لصناعة التطرف وينزل معه إلى ساحة المعركة.

عرب يسكنون البيت الأبيض

وليد فارس ودينا حبيب
عصا ترامب في مواجهة الإسلاميين

أحمد أبو دوح

❑ **لندن** – بعد انتقاداته اللاذعة للمسلمين خصوصا طوال حملته الانتخابية، ينظر العرب إلى الرئيس الأميركي الجديد دونالد ترامب بريبة كبيرة. وفوق ذلك تسبب عدم وضوح أبعاد سياسته المستقبلية في الشرق الأوسط بانتشار ضباب كثيف حول ما يحدث في واشنطن، لا يستطيع العرب اكتشاف ما وراءه.

لكن بعد فوزه في الانتخابات التي أجريت في نوفمبر الماضي، فاجأ ترامب العرب بتعيين اثنين من مساعديه من أصول عربية، سيكون لهما على ما يبدو دور أساسي في تحديد سياسة البيت الأبيض إزاء المنطقة.

وسيتولى وليد فارس، الأميركي من أصل لبناني، موقع مستشار الرئيس لشؤون الشرق الأوسط، بينما ستشغل دينا حبيب باول، الأميركية من أصول مصرية، منصب مستشارته للمبادرات الاقتصادية وتمكين المرأة.

ويقول باحثون أميركيون إن اختيار فارس وحبيب لشغل مناصب نافذة بالقرب من ترامب سيسهم في تليين مقاربته الحادة تجاه المنطقة. كما سيرسم صورة واضحة لرئيس لا يحظى بخبرة تذكر إزاء قضايا الشرق الأوسط.

القادمان من بعيد

بين فارس وباول تناقضات كبيرة في المنشأ، إذ يحمل فارس على كاهله ماضيا عاصفا، يتخلله عقد كامل من الصراعات العسكرية والأيديولوجية الطاحنة.

وقبل أن يتحول إلى أحد نشطاء اليمين الأميركي، كان فارس قد مر برحلة أكاديمية حافلة بدءا من بيروت، التي ولد فيها عام 1957، لعائلة مسيحية مارونية، ودرس علم الاجتماع وحصل على ليسانس في القانون والعلوم السياسية من جامعتها العربية، وحتى حصوله على درجة الدكتوراه في العلاقات الدولية والدراسات الاستراتيجية من جامعة ميامي بالولايات المتحدة.

وإثر صعود نجمه كخبير في حركات الإسلام السياسي بعد هجمات 11 سبتمبر 2001، بدأت وسائل إعلام أميركية في البحث في ماضيه المليء بالصراعات. فخلال الحرب الأهلية اللبنانية (1975–1990) كُلف فارس مع "القوات اللبنانية" بقيادة سمير جعجع، بمهمة التثقيف الأيديولوجي لمقاتلي الحزب ضمن مهام المكتب الخامس الذي كان مكلفا بالحرب النفسية.

وسرعان ما أصبح فارس من المقربين من جعجع، الذي كان يريد تحويل القوات اللبنانية من مجرد ميليشيا مقاتلة إلى جيش مسيحي، ووجد في فارس ضالته، لقدرته على غرس هذه الأفكار في عقول قيادات الحزب.

لكن أجواء نشأة باول، التي ولدت في القاهرة عام 1973، وانتقلت مع عائلتها القبطية للعيش في الولايات المتحدة بينما لم تتخط بعد عامها الرابع، كانت أكثر هدوءا وأقل مشقة.

فوالدها، الذي كان ضابطا في الجيش المصري، اضطر فور وصوله إلى ولاية تكساس للعمل كسائق سيارة أجرة، قبل أن يدير متجرا صغيرا.

وبعد تخرجها من أكاديمية "يورسولين" المرموقة، التحقت باول بجامعة تكساس، حيث حصلت على أول عمل سياسي لها في المجلس التشريعي الخاص بالولاية، وكانت أول علاقة عمل لها مع سيناتور تكساس في ذلك الوقت الجمهوري بيالي هوتشسون، الذي قال عنها إنها غير عادية، وتقدمت بشكل كبير بعد أول تدريب لها.

ومثل صديقتها إيفانكا ترامب، بدأت باول في تولي مناصب قيادية، وهي في سن صغيرة، فعندما بلغت الـ29 عاما، أصبحت أصغر مساعدة للرئيس لشؤون الرئاسة، ليصبح لها تأثير مباشر في كل قرارات التعيين في البيت الأبيض في عهد جورج بوش الابن.

وعملت باول مع مارغريت سبيلنغز، التي كانت تشغل مستشارة الرئيس للسياسة الداخلية، وأصبحت فيما بعد وزيرة للتعليم.

صعود سريع وآخر بطيء

تقول سبلينغز إن باول "واحدة من هؤلاء الذين ترغب في العمل معهم"، إذ كانتا تجلسان على نفس طاولة الاجتماعات يوميا في الساعة السابعة صباحا.

وأضافت سبلينغز "إنها مرحة وجادة ومفكرة كبيرة ومتحمسة، وتبث الحماس في زملائها، وهي ليست مجرد مفكرة كبيرة، ولكنها مفكرة تستطيع أن يكون لها دور في الإدارة، وهو مزيج نادر".

عملت باول في الخارجية الأميركية كمساعدة مسؤولة عن شؤون التعليم والثقافة، ونائب مساعد الوزير لشؤون الدبلوماسية العامة عام 2005. وجعل هذا الدور لباول صوتا رئيسيا في إدارة بوش في الشرق الأوسط، في وقت كانت الإدارة تشعر فيه بالقلق بشأن كيفية التواصل مع الجمهور خارج الولايات المتحدة.

ومن المتوقع أن تلعب باول دوراً كبيرا خلال إدارة ترامب الرئاسية، خاصة فيما يتعلق بالقضايا النسائية بشكل عام. وهي مهمة لها أهمية خاصة بعد حملته الانتخابية التي شهدت صداما مع النساء، فقد قال ترامب ذات مرة إنه يعتقد أن النساء اللاتي يسعين للإجهاض يجب أن يواجهن عقوبة رادعة، وهو ما أثار عاصفة من الانتقادات ضده.

وأثناء تسجيل مقابلة، بينما كان الميكرفون مفتوحا بالصدفة، كان ترامب يباهي بالحديث عن التحرش الجنسي وكأنه أمر عادي من حقّ الرجل ذي السلطة ممارسته دون عقاب، وهو ما أثار غضب الآلاف من النساء وقتها.

ووصفت ليز تشيني، عضو الكونغرس عن ولاية وايومنغ وابنة نائب الرئيس الأسبق ديك تشيني، باول بأنها "قوام أساسي في الإدارة الأميركية، لأنها تتحدث اللغة العربية وامرأة عربية يمكن أن تكون نموذجا يحتذى في معالجة بعض المفاهيم الخاطئة". وقالت لشبكة سي إن إن "إن باول يمكنها أن تحدد ماهية سياساتنا وتدافع عنها".

في هذا الوقت كان فارس يجوب الولايات المتحدة طولا وعرضا للتعريف بالخطر الذي يشكله الإسلاميون على المصالح الأميركية في الداخل والخارج. وعلى عكس باول، لم يتول فارس أيّ مناصب حكومية، رغم ترشيحه كي يصبح مستشار المرشح السابق في الرئاسة الأميركية ميت رومني عام 2012. لكن هزيمة رومني أمام أوباما أجّلت قليلا تحقيق تطلعات فارس.

ترجم فارس تطلعاته مرارا في محاضرات ألقاها في الكونغرس الأميركي ووزارة الخارجية والبرلمان الأوروبي ومجلس الأمن، وفي أبحاث نشرتها مراكز أبحاث وصحف معتبرة.

كما طرح عام 2005 كتابا بعنوان "الجهاد المستقبلي: الاستراتيجيات الإرهابية ضد الولايات المتحدة". وبعد عامين نشر كتابا آخر بعنوان "حرب الأفكار: الفكر الجهادي ضد الديمقراطية".

وجعلت هذه المقاربة، التي تحولت مع الوقت إلى جزء من شخصية فارس، منه خصما لدودا لحركات الإسلام السياسي، خصوصا جماعة الإخوان المسلمين وحزب الله الشيعي اللبناني.

الحرب على السني والشيعي معا

في الوقت الذي كانت فيه باول تركز كل جهدها على مناصرة المرأة خصوصا في العالم العربي ضد محاولات حركات الإسلام السياسي "تعليب" فكرة عدم جواز عمل المرأة وتفرغها لتربية أولادها، كان فارس قد كسب سمعة واسعة باعتباره أكثر أعضاء الحزب الجمهوري استشرافا للخطر الجهادي على المصالح الأميركية في المستقبل.

وشكلت جهودهما معا (باول داخل السلطة وفارس خارجها) رأس حربة سياسيا واجتماعيا لمواجهة ما سيصبح لاحقا أكبر خطر إسلاموي يهدد منطقة الشرق الأوسط في العصر الحديث.

وفي مرحلة بحثه عن مرشح مناسب لشغل منصب مستشاره للشرق الأوسط، وضع ترامب مؤشرا وحيدا للاختيار على أساسه هو الحرب على تنظيمات الإسلام السياسي السني والشيعي على حد سواء.

ويقول أحد مساعدي ترامب "وليد فارس بالنسبة إلينا هو اللاعب المحوري الذي يرسم المدرب خطة اللعب عليه".

وصل عداء فارس للإسلاميين إلى نقطة التقاء جوهرية مع رؤى ترامب. وخلال محاضرة ألقاها يوم 28 ديسمبر عام 2015، كشف فارس عن أن "شبكة من الإسلاميين والمتعاطفين معهم تمكنت من اختراق المجتمع والحكومة الأميركيين بعمق".

> صعود نجم فارس كخبير في حركات الإسلام السياسي بعد هجمات 11 سبتمبر دفع وسائل إعلام أميركية إلى البحث في ماضيه المليء بالصراعات. فخلال الحرب الأهلية اللبنانية، كان قد كلف مع «القوات اللبنانية» بقيادة سمير جعجع، بمهمة التثقيف الأيديولوجي لمقاتلي الحزب

وأضاف حينها "الإسلاميون استطاعوا اختراق مجتمع الأكاديميين الذي يحظى بنفوذ واسع واتصالات مستمرة مع الحكومة. داخل الجامعة عادة ما يكون لديك فصول دراسية تروّج لأفكار أساسية يتبناها الإسلاميون، وتنتج خريجين يؤمنون بها".

وجعلت هذه اللهجة فارس هدفا سهلا أمام اليساريين الديمقراطيين في مؤسسات الإدارة الأميركية في واشنطن، كما حولته إلى أيقونة مواجهة الإسلاميين في نظر اليمين الجمهوري.

وتقول سارة ستيرن، رئيسة مؤسسة "الحقيقة" لدعم الشرق الأوسط "وليد فارس هو محرك أساسي وحده في مواجهة الإسلاميين". وأضافت "لقد أدرك صعود الإسلاميين في الشرق الأوسط، وفهم مبكرا جدا طبيعة تنظيم داعش كونه تهديدا خطيرا". وقالت "طبعا هو أحد الداعمين الأقوياء لإسرائيل".

العودة إلى البيت الأبيض

كان دعم إدارة بوش الابن المطلق لإسرائيل وغزو العراق عام 2003 سببا رئيسيا للاستعانة بدينا حبيب باول، التي كانت واجهة يمكن للإدارة الجمهورية وقتها الحديث من خلالها إلى العالم العربي.

استغلت باول منصبها لقيادة مبادرات لتشجيع دور المرأة بدأتها عام 2005 من القاهرة، ثم اتسعت لتشمل عواصم عربية أخرى.

واليوم تعود باول إلى البيت الأبيض كي تستعيد دورها الذي قامت به من قبل، لكن تحت مظلة استراتيجية مغايرة. فخلال عصر بوش كانت الإدارة تعتقد أن الوقت قد حان للتغيير في المنطقة العربية، وأن الأنظمة التقليدية القديمة آن لها أن ترحل. وشجعت هذه السياسة الإسلاميين، الذين تمكنوا عام 2005 من حصد 88 مقعدا في البرلمان المصري. لكن إدارة ترامب تقف على النقيض تماما من سياسة بوش، إذ لطالما روّج ترامب لأنظمة عربية لا تختلف كثيرا عن الأنظمة القديمة، لكنها تقود اليوم حملة لتجديد الخطاب الديني، وأعلن دعمه لها.

وفي نوفمبر 2016، بعد الإعلان مباشرة عن فوز ترامب في السباق الرئاسي، أجرى فارس حوارا مع صحيفة "الأهرام" المصرية قال فيه إن "ترامب سيتجه إلى العالم العربي وسيفاجئ ذلك الكثيرين. هناك آلة إعلامية تهاجم ترامب ولا تريد أن يكون هناك بناء للعلاقات الاستراتيجية بين ترامب والقيادات المعتدلة والواعية في العالم العربي".

تجمع باول وفارس علاقات بحكومات عربية في دول إقليمية كبيرة. وبينما كانت باول الذراع اليمنى لكارين هيوز، مساعدة وزير الخارجية السابقة لشؤون السياسة العامة، تزور السعودية ضمن بعثة وزارة الخارجية التي قابلت العاهل السعودي الراحل الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حيث تقول هيوز عن ذلك "لن أنسى تلك اللحظة التي كنا نلتقي فيها الملك عبدالله حيث كانت الزيارة الأولى لنا. عندها قال العاهل السعودي شيئا ضحكت على إثره دينا، وفوجئ الملك بأن هذه السيدة الجميلة الصغيرة كانت تتحدث العربية. كانت لحظة لا تنسى"، فإن فارس استخدم، وبالتحديد في سبتمبر الماضي خلال حملة الرئاسة الأميركية، علاقته الوثيقة مع الحكومة المصرية من أجل ترتيب لقاء بين الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي والمرشح الرئاسي آنذاك ترامب. ولعبت هذه المقابلة دورا حاسما في بناء علاقة شخصية بين الرئيسين، باتت القاهرة تعول عليها كثيرا في معركتها مع الإسلاميين.

يعتقد الكثيرون في الولايات المتحدة أن فارس هو من يقف وراء اللهجة العنيفة للإدارة الجديدة تجاه جماعة الإخوان المسلمين خصوصا. وفي وقت سابق من شهر يناير الحالي قال ريكس تيليرسون، المرشح لشغل منصب وزير الخارجية في الإدارة الجديدة إن "الولايات المتحدة ستقضي على تنظيم داعش أولا، وستركز على التنظيمات الأخرى كالقاعدة والإخوان المسلمين ومنظمات معينة داخل إيران"، في إشارة إلى الحرس الثوري الإيراني. وسيكون على العالم العربي الانتظار للإطلاع على نوع الدور الذي سيلعبه "عمودا المكون العربي" داخل إدارة أميركية لم تقدم شيئا بعد سوى الغموض وعدم اليقين.

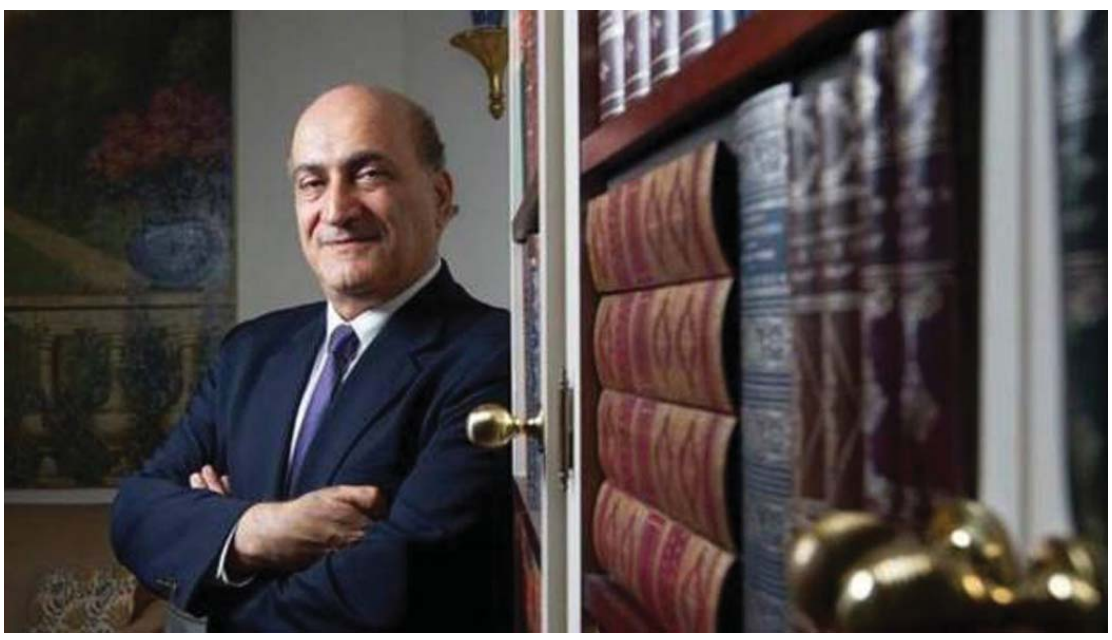

● وليد فارس، الأميركي من أصل لبناني، سيتولى موقع مستشار الرئيس لشؤون الشرق الأوسط، بينما ستشغل دينا حبيب باول، الأميركية من أصول مصرية، منصب مستشارته للمبادرات الاقتصادية وتمكين المرأة.

قائد عسكري حوثي يجيد العزف على أوتار السياسة

يحيى الشامي
ملكي في أثواب الجمهورية

صالح البيضاني

❑ صنعاء – ساهمت نشأة يحيى الشامي العسكرية المبكرة في تعزيز قناعاته بجدوى العمل السري المنضبط وصبغ مواقفه بالكثير من البراغماتية التي ساهمت في تحقيق أهدافه وأهداف الحوثيين الذين لم ينتم إليهم يوما بالشكل التقليدي ولكنه كان من أبرز الذين ساهموا في تنامي دورهم السياسي والاجتماعي انطلاقا من موقعه كقائد عسكري مقرّب من صالح.

أجاد الشامي اللعب على المتناقضات التي كان يعج بها المجتمع القبلي في اليمن وطوّع كل ذلك لصالح الفكرة السلالية التي عمل عليها على المدى البعيد، حيث كان يؤمن بقدرة الجماعات السرية المنظمة على تحقيق أهدافها في نهاية المطاف وبأقل قدر من الخسائر.

يوجّه سيل من الاتهامات ليحيى الشامي فيما يتعلق بنواياه الحقيقية التي أجاد إخفاءها لعقود، قبل أن تتضح شيئا فشيئا مع بزوغ نجم الحوثيين وسيطرتهم على العاصمة اليمنية صنعاء في سبتمبر 2014، وبالرغم من عشقه غير المفهوم للعمل من خلف الأضواء إلا أن الكثير من المراقبين يرون أنه بات اليوم القائد العسكري والسياسي الأبرز في الجماعة الحوثية بل إن سلطاته على الأرض ربما تضاهي سلطات زعيم الجماعة عبدالملك الحوثي نفسه الذي تحوّل بفعل العزلة التي يكابدها في كهوف صعدة إلى مجرد أيقونة، على العكس من يحيى الشامي الذي مكنته خبراته الطويلة في الإدارة من توجيه دفة الميليشيا في الآونة الأخيرة.

في الجانب المعلن من سيرته ولد يحيى محمد الشامي في قرية "المسقاة" بمديرية السدة في محافظة إب وسط اليمن في العام 1947 وهو العام الذي تلاه قيام ما يسمى بالثورة الدستورية ضد نظام الإمامة في اليمن، والذي كان والده أحد المستفيدين منه كواحد من المنتمين للمذهب والسلالة التي جعلت الدول الزيدية المتعاقبة الأفضلية لهما في الحكم بناء على منطلقات عقائدية.

وفي هذه البيئة ترعرع يحيى الشامي وتشرّب الكثير من هذه المعتقدات في كُتّاب قريته، قبل أن ينتقل إلى بلدة كحلان عفّار في محافظة حجة إحدى المعاقل الفكرية للإمامية حيث كان والده قاضيا فيها وأراد أن يتشبع ابنه المذهب من إحدى ينابيعه الرئيسة، ليرتحل مجددا بعد أن اطمأن والده إلى تدجيج مخيلته الصغيرة بالمعتقدات المذهبية إلى مدينة صنعاء عاصمة "الدولة المتوكلية"، حيث حظي بفرصة الالتحاق بالمدرسة المتوسطة ثم الثانوية واللتين كانتا مقتصرتين على فئة "الهاشميين"، وفي هذه الأجواء تكرّست قناعات الطفل الداخلية بالتميز.

ما بين الاصطفافات

عقب قيام ثورة 26 سبتمبر التي أطاحت بالنظام الملكي في اليمن استطاع الشامي أن يخفي الكثير من أفكاره التي احتفظ بها في منطقة غائرة من عقله الباطن.

أظهر تأييده للثورة التي كوّنت نظاما جمهوريا قائما على إلغاء الطبقية والتمييز وبفضل ذكائه وتماهيه مع الواقع الجديد حظي بفرصة جديدة ونادرة في العهد الجديد وتمكن من الالتحاق بالكلية الحربية التي تخرج منها في العام 1965 في الوقت الذي كانت فلول الملكيين لازالت تضيّق الخناق على العاصمة صنعاء بغية إسقاطها.

كان الشامي في ذلك الوقت قد أصبح ملازما في الجيش الجمهوري وقائد سرية مدرعات أوكلت إليها مهمة السيطرة على منطقة "قعطبة" جنوب محافظة إب مسقط رأسه.

بعد فترة وجيزة فقط التحق بدورة تدريبة في العام 1966 في حين كان الحصار الملكي لعاصمة الجمهورية في ذروته ويقال إنه انضم لصفوف القوات المدافعة عن صنعاء وهو ما مكّنه من التدرج سريعا في الجيش كرئيس لعمليات الكتيبة الخامسة مدرعات، ثم نائبًا للقائد، قبل أن يعين رئيسًا لعمليات الكتيبة الثانية مدرعات، ثم قائدًا لنفس الكتيبة عام 1973م وكان الأمر حينها قد استتب للنظام الجمهوري.

استفاد الشامي إلى حد ممكن من حالة الاصطفافات التي اجتاحت الجيش اليمني وأخذت في التصاعد بين رفقاء الثورة وهو الأمر الذي ساهم في تدرجه بصورة كبيرة في سلّم المناصب حتى أصبح قائدا للواء الثاني مدرع وقائدا للمحور الجنوبي. كما عمل في تلك الفترة وبفعل ذكائه الفطري على كسب ثقة قائد عسكري جديد وصاعد لم يلبث أن تولى مقاليد الحكم في العام 1978، فبعد صعود علي عبدالله صالح لكرسي الرئاسة في شمال اليمن انفتحت نافذة جديدة ليحيى الشامي ونقلته إلى مستوى جديد من النفوذ ومكنته من التأثير بشكل أكبر حيث تولّى في هذه الفترة أول منصب غير عسكري كوكيل لمحافظة إب لشئون المناطق الوسطى.

دور مشبوه

في العام 1985 تمكن يحيى الشامي من تحقيق أحد أهدافه الاستراتيجية عندما عينه الرئيس السابق علي عبدالله صالح محافظا لمحافظة صعدة معقل الفكر الزيدي، وكان صالح يظن أنه سيتمكن من إخضاع بقايا الملكية الهاشمية من خلال أحد أبنائها والذي بدا مخلصا لقيم الجمهورية خلال الفترة الماضية، بينما سعى الشامي لاستغلال هذا الاعتقاد وإيقاظ مارد الهاشمية السلالية التي دخلت في حالة سبات عقب دحر آخر فلولها.

مكث الشامي ثلاث سنوات محافظا لصعدة وساهم في تلك الفترة القصيرة في إحياء روح ما عرف لاحقا بالهاشمية السياسية، غير أن تزايد الضغوطات من قبل بعض شيوخ القبائل الذين رأوا أولى شرارات اللهب تبرز مجددا من تحت رماد صعدة الساخن أفلحت في إقالة الشامي الذي فضل الهروب من سعير الوشايات التي يمكن أن تطيح به.

غادر اليمن إلى القاهرة لمواصلة الدراسة الأكاديمية العسكرية بين عامي 1987 و1988، غير أنه سرعان ما عاد لاستئناف مهمته وكمن مجددا بالقرب من الرئيس صالح الذي عينه مديرًا لإدارة الدائرة العسكرية في مكتب القائد العام لسنة واحدة تمكن خلالها من انتزاع قرار بتعيينه محافظًا لمحافظة مأرب وهو المنصب الذي ظل فيه من عام 1990 إلى عام 1995، ثم عُيّن محافظًا لمحافظة البيضاء في 1997 ولبث في هذا المنصب لمدة تسع سنوات، وخلال تلك الفترة التي تولى فيها مسؤولية محافظتي مأرب والبيضاء، والتي تعد بمثابة الثقل القبلي السني في اليمن، اتهم بتنفيذ أجندة لنشر الصراعات والاحتراب بين أبناء القبائل بهدف إضعافها لصالح مشروعه الذي كشفت عنه تداعيات الأحداث اللاحقة.

وخلال فترة عمله تلك حرص على وضع خطة بديلة تجعله بالقرب من الرئيس صالح في حال تأثر موقعه في السلطة التنفيذية وقد كان مدخله الكبير لهذا الطريق الالتحاق بحزب المؤتمر الشعبي العام، وتدرج بالسرعة ذاتها المعروفة عنه في هيكل التنظيم عضوا في اللجنة الدائمة ثم عضوا في اللجنة العامة حتى انتهى به المطاف رئيسا لهيئة الرقابة التنظيمية والتفتيش المالي في حزب المؤتمر في العام 2007.

عين على صعدة

ساهمت حرب صعدة بين المتمردين الحوثيين والجيش اليمني في بعث الاعتقاد القديم لدى الرئيس السابق علي عبدالله صالح والمتعلق باستخدام هاشمية الشامي وولائه المفترض لتحقيق اختراق في ملف الحرب مع المتمردين لصالح الدولة، فسارع لتعيينه رئيسا للجنة الوساطة في محافظة صعدة في العام 2006، وقد قاد هذا الاعتقاد الخاطئ صالح لاحقا لارتكاب أكبر أخطائه على الإطلاق عندما أعاد تعيين الشامي لصعدة للتفرغ للانتخابات الرئاسية وتصاعدت الشكوك في تلك المرحلة عن دور مكشوف لعبه الشامي لصالح دعم جماعة الحوثيين التي كانت لا تزال في مهدها.

لم يمض عام حتى استجاب صالح مجددا للضغوط القبلية وسارع لإقالة الشامي وأعاده إلى حضنه من جديد في قيادة حزب المؤتمر الشعبي، حيث أعلن الشامي عن تفرغه للعمل التنظيمي في حزب المؤتمر إثر انتخابه في المؤتمر العام السابع في دورته الاستثنائية في عدن كرئيس لدائرة الرقابة والتفتيش، واتهم أيضا بالقيام بدور ما في تطعيم حزب صالح بالكثير من العناصر الحوثية.

في مارس 2011 لاحت فرصة ذهبية لم يرد تفويتها على الرغم من قربه المفترض من النظام القائم، حيث أعلن انضمامه إلى الاحتجاجات المطالبة بإسقاط الرئيس علي عبدالله صالح وسارع كذلك كما هي عادته للبحث عن غطاء سياسي لتحركاته من خلال مشاركته في تأسيس تنظيم جديد أطلق عليه اسم "العدالة والبناء"، وبدء بالتنصل من علاقته القديمة بصالح والتي استمرت لعقود كما بدأ بالتنظير السياسي لصالح الحوثيين، وفي حوار أجري معه في 2012 اتهم نظام صالح -الذي كان جزءا منه- بأنه كان يخوّف السعودية من الحوثيين من أجل الابتزاز، وقال إن مصالح الساسة كانت وراء استمرار حروب صعدة.

انكشاف المستور

ما كان خافيا لم يعد كذلك في حياة يحيى الشامي، حيث بدأت علاقته بالحوثيين تتكشف يوما بعد يوم على طريقة أفلام "المافيا"،عندما يتبين في نهاية المطاف أن "الزعيم" هو ذلك الذي ظل يحرس البوابة وليس من كان يصدر الأوامر طوال الوقت.

أظهرت الأحداث المتتالية التي أفصحت عن نفسها أن الشامي لعب خلال العقود الماضية دورا محوريا في ظهور جماعة الحوثي، حيث عمل من خلال المناصب الرسمية التي تقلدها على تنمية النفوذ السياسي والاجتماعي للهاشمية السياسية التي اتهم لاحقا بأنه كان يرأس تنظيمها السري.

وقد مثلت أحداث 2011 وما تلاها فرصة سانحة للحوثيين الظاهرين أو المستترين للإعلان عن أنفسهم والشروع في تأجيج الصراع المحتدم بين مراكز النفوذ التقليدية التي كانت بمثابة حجر عثرة حالت دون تقدم المشروع الذي بات يعرف بالحوثية.

في 2013 عين الرئيس اليمني عبدربه منصور هادي يحيى الشامي ونجله زكريا عضوين في مؤتمر الحوار الوطني الشامل، وتم اختياره رئيسا لإحدى أهم لجان المؤتمر المنوط بها وضع أسس بناء الجيش والأمن وهي اللجنة التي ساهمت توصياتها ضمنيا فيما سمي بهيكلة الجيش أحد أبرز مسببات الصراع داخل الجيش اليمني بين المحسوبين على الرئيس السابق علي عبدالله صالح واللواء علي محسن الأحمر والتي أفضت في نهاية المطاف إلى تفكيك الجيش بدلا من إعادة هيكلته وهو ما كان ينقص الحوثيين لاجتياح صنعاء في سبتمبر 2014.

تفاجأ اليمنيون في ديسمبر 2014 بإصدار الرئيس هادي الذي كان تحت حصار ميليشيات الحوثي قرارا بتعيين زكريا الشامي نجل يحيى الشامي رئيسا لهيئة أركان الجيش اليمني، وهو القرار الذي كان بمثابة إعلان رسمي عن سيطرة الحوثيين على مؤسسة الجيش وإعلان كذلك عن مدى نفوذ يحيى الشامي في المرحلة الجديدة.

ساهم زكريا الشامي من موقعه الجديد في إحكام سيطرة الميليشيات الحوثية على بقايا الجيش اليمني حتى العام 2016 عندما ترك منصبه العسكري فيما يبدو أنه استجابة لنصيحة من والده الذي دأب طوال حياته على التنقل بين المناصب الحساسة وعدم المكوث فيها لفترة طويلة وتمّ تعيينه في منصب مدني جديد كوزير للنقل في حكومة الانقلابيين التي شكلها الحوثي وصالح بالمناصفة.

وفي ديسمبر 2016 خلف الوالد ابنه في تولي قيادة جيش الانقلابيين حيث صدر قرار من قبل ما يسمى رئيس المجلس السياسي الأعلى قضى بتعيين اللواء يحيى الشامي مساعدا للقائد الأعلى للقوات المسلحة وهو ما يعني عمليا أنه بات القائد الفعلي للقوات المسلحة والأمن في عهد الحوثيين والرجل الأول في الجماعة الذي خرج من دائرة الظل ليتربع في الواجهة بعد عقود من العمل السري.

> الفترة التي تولى فيها مسؤولية محافظتي مأرب والبيضاء والتي تعد بمثابة الثقل القبلي السني في اليمن، يشوبها اتهامه بتنفيذ أجندة لنشر الصراعات والاحتراب بين أبناء القبائل بهدف إضعافها لصالح مشروعه الذي كشفت عنه تداعيات الأحداث اللاحقة

> الأحداث المتتالية التي أفصحت عن نفسها تكشف أن الشامي لعب خلال العقود الماضية دورا محوريا في ظهور جماعة الحوثي، حيث عمل من خلال المناصب الرسمية التي تقلدها على تنمية النفوذ السياسي والاجتماعي للهاشمية السياسية التي اتهم لاحقا بأنه كان يرأس تنظيمها السري

● الشامي يجيد اللعب على المتناقضات التي كان يعج بها المجتمع القبلي في اليمن مطوعا كل ذلك لصالح الفكرة السلالية التي عمل عليها على المدى البعيد، حيث كان يؤمن بقدرة الجماعات السرية المنظمة على تحقيق أهدافها في نهاية المطاف وبأقل قدر من الخسائر.

كاريزما مصرية تشبه جميع الأمهات

كريمة مختار

هل ينسى أحد «أم العيال» التي كبرت

سارة محمد

❑ **القاهرة** – الشخصية النمطية، أحد ركائز المنظومة الدرامية، سواء في التلفزيون، أو على شاشة السينما، مع ذلك فإن القليلين فقط، نجحوا في استثمار أدوارهم في تقديمها، فصنعوا علامات فارقة في مشوارهم، ومن هؤلاء الفنانة المصرية الراحلة كريمة مختار، التي غادرتنا قبل أيام، عن عمر ناهز الـ82 عاما، بعد صراع مع المرض.

عندما ترد إلى الذهن صورة "الأم"، فإن الذاكرة تطفو فوقها على الفور، ممثلات مثل فردوس محمد، وأمينة رزق، وسعاد عبدالله، وعزيزة حلمي، وحياة الفهد، وثناء دبسي، وعلوية جميل، ومع ذلك ستبقى عطيات محمد البدري، الشهيرة بـ"كريمة مختار"، واحدة من أبرز الفنانات اللاتي أدين هذا الدور على الشاشة العربية، فأوجدت لنفسها مكانة خاصة من خلاله.

مختار، كانت صاحبة الإطلالة "الأُمومية" الأبرز في عمر الدراما التلفزيونية، التي أثرتها بالعديد من الأعمال، بالإضافة إلى الكثير من الأدوار السينمائية التي اختارتها بعناية.

بدأت مختار رحلتها من ميكروفون الإذاعة في الخمسينات من القرن الماضي، مع الإعلامي الراحل، محمد محمود شعبان، "بابا شارو"، بعد أن وجد فيها الإذاعي والمنتج محمد الطوخي، وأيضا الفنان عبدالرحيم الزرقاني، نبرة صوت مميزة، تتشابه مع صوت الراحلة فاتن حمامة، ما جعلهم أكثر تمسكًا بموهبتها، وأصروا على أن تمارس العمل، على الرغم من معارضة أسرتها.

ابنة المحاسب

التربية الصارمة التي رباها عليها أبوها، الذي كان يعمل مديرًا للحسابات في شركة "ماركوني" المقر القديم للإذاعة المصرية، جعلت الأب يرفض عمل ابنته في هذا المجال. إذ رأى في ذلك عيبًا كبيرًا، وهو الموقف الذي اتخذته والدتها أيضًا، خصوصًا وأن كريمة مختار كان لها خمس شقيقات، ما أثار عند الأبوين الخوف على مستقبلهن الأسري، في حال عملت الابنة في هذا المجال، لكن بعد محاولات مضنية لإقناع الأب، أعلن الأب رضاه.

زواجها من الفنان والمخرج والمنتج الراحل، نور الدمرداش، الذي كان قد حقق البعض من الشهرة، بعد أدائه شخصية "صلاح" في فيلم "صغيرة على الحب" مع سعاد حسني، كان بوابة لانطلاق رحلة فنية للنجمين معًا، بدأت بتقديمهما سويًا لأول عمل سينمائي له كمخرج ولها كفنانة تخطو خطواتها الأولى في فيلم "ثمن الحرية" أمام الراحلين عبدالله غيث ومحمود مرسي.

في هذا الفيلم، بدأت كريمة مختار مشوارها الطويل مع "صورة الأم"، حيث جسدت فيه دور أم لفدائي مصري، أيام الاحتلال الإنكليزي، يختفي، فيقوم قائد القوات الإنكليزية، بالقبض على مجموعة من البسطاء، ويهدد بقتلهم الواحد تلو الآخر، ويأخذ بالفعل في قتلهم، ومع ذلك فإن الأم، ومعها هؤلاء المقبوض عليهم، تأبى الإفصاح عن مكانه.

ثمن الحرية، تم إنتاجه في منتصف العقد الستيني من القرن الماضي، تلك الحقبة التي مثلت العصر الذهبي للسينما المصرية، والتي شهدت أيضًا الكثير من الأعمال السياسية الوطنية، كان من بينها هذا الفيلم.

ورغم تعدد أدوار الراحلة في السينما –بعد "ثمن الحرية"– ومنها أفلام "المستحيل"، و"نحن لا نزرع الشوك"، و"الحفيد"، و"أميرة حبّي أنا"، إلا أن واحدة من أهم الشخصيات التي قدمتها كريمة مختار، كانت في فيلم "وبالوالدين إحسانا"، الذي أثار ضجة حين عرضه عام 1976، لما حملته أحداثه من مواقف إنسانية مؤثرة بين الابن (الذي أدى دوره الفنان سمير صبري)، ووالديه كريمة مختار وفريد شوقي.

لم تمنع الشخصية النمطية، التي حاصرت كريمة مختار طيلة مشوارها الفني، من نجاحها في إضفاء البعض من المقومات والأدوات الخاصة بها على دور "الأم"، حيث كانت للراحلة، نظرة ثاقبة للكاميرا، تجمع بين الحزن والقوة والحنان، علاوة على تلك النبرة في صوتها، التي كانت تغيّرها من دور إلى آخر، رغم تكرار تجسيدها لنفس الشخصية، فصوت الأم الذي يجمع بين المرح والفطرة –كما في فيلم "الحفيد"– ليس هو ذلك الصوت القويّ لكن الحنون أيضًا في "أميرة حبّي أنا"، أو ذاك الحزين المؤثر في "وبالوالدين إحسانا".

الأداء الفريد

تلك المقومات، جعلت كريمة مختار صاحبة أداء مميز لشخصية الأم، على عكس غيرها من الفنانات الراحلات (فردوس محمد، أو أمينة رزق، أو علوية جميل) اللاتي حافظن على طريقة أداء واحدة خلال تجسيدهن هذه الشخصية.

ولأن الصوت أحد أدوات الممثل الهامة، نجحت الراحلة، في اجتياز مرحلة أعمق في حياتها الفنية من خلال شخصية "ماما نونا"، التي قدمتها في منتصف العقد الأول من الألفية الجديدة، ضمن مسلسل "يتربّى في عزّو".

هذا العمل، كان بمثابة النضج الفني الكامل للراحلة، حيث غامرت بتقديم دور يجسد "دلع" (تدليل) الأم لنجلها الوحيد، الذي تخطّى عمره الخمسين، ولم تخش من أعراض تقدمها في العمر، فجاء الدور يحمل قدرًا كبيرًا من الأداء المفعم بالدلال، للولد الخمسيني.

ويعتبر مسلسل "يتربّى في عزّو"، أحد أهم الأدوار، التي مثلت نقلة فنية في حياة الفنانة الراحلة، وحصدت عنه عددًا من الجوائز، منها جائزة أفضل ممثلة من مهرجان القاهرة للإعلام العربي الثالث عشر عام 2007، بالإضافة إلى درع التكريم من مهرجان "أوسكار السينما المصرية" عام 2008، وليس هذا فقط، بل إن شخصية، "ماما نونا"، أصبحت الأكثر قربًا إلى مزاج الأطفال، في تلك المرحلة الزمنية، ما دفع بصناع الألعاب، لطرح عروسة دمية بالأسواق، تحمل نفس الاسم خلال العام ذاته.

شراكة مع الملك

نقلة فنية أخرى حققتها كريمة مختار، في تقديمها شخصية الأم، عندما شكلت هي والراحل فريد شوقي، المعروف في السينما العربية بالملك، أو ملك الترسو، "دويتو" شهيرًا جدًا، قدما من خلاله العديد من الأعمال، حيث نجحا في تقديم ثنائية الأب والأم، في جميع مواقف ومصاعب حياة الأسرة المصرية، ما بين الفرح والحزن، ما منح المشاهدين قدرًا كبيرًا من المتعة والقيم الأخلاقية التي تركت آثارها على الآباء والأمهات وهم يربون أبناءهم.

لقد نجحا معًا، في هذا الثنائي الفني، في إبراز قدرة غير مسبوقة لديهما على توظيف إمكانياتهما والكيمياء المشتركة التي جمعت بينهما في العمل، دون أن يكون بينهما نوع من الارتباط العاطفي، ما منح الشريكين تميزًا أكبر خصوصًا وأن فكرة الثنائية الفنية ومدى نجاحها ارتبطت في ذهن المشاهد في كثير من الأحيان بوجود قصة حب أو زواج تجمع بين طرفيها.

من أشهر أعمال هذا الثنائي، أفلام "يا رب ولد"، و"بالوالدين إحسانا"، و"تمضي الأيام"، و"الليلة الموعودة"، و"أنقذوا هذه العائلة"، و"رجل فقد عقله"، بالإضافة إلى مسلسلات، "صابر يا عم صابر"، و"البخيل وأنا"، و"العرضحالجي".

والنجاحات في حياة كريمة مختار –كأم– لم تتوقف على الشاشة فقط، إذ أنها بعد ما حققته من شهرة في الكثير من أدوارها، التي تألقت فيها، خطت نحو نجاحات أخرى في العمل المجتمعي، الذي تولت خلاله حملة التوعية ضد جفاف الأطفال، بالإعلان عن "المحلول" الذي أطلق عليه العامة من البسطاء في ما بعد "محلول كريمة مختار"، نظرًا لمدى الصدق الذي عبّرت من خلاله الفنانة عن خطورة الأمر.

هذه الحملة التوعوية جعلت للراحلة مكانة في جامعات العالم، تلتها بعد ذلك حملة الأسرة، عن تنظيم النسل، التي رشحت لها الكثيرات من الفنانات، مثل الراحلة هند رستم، وفاتن حمامة، وغيرهما، غير أنهم في الحملة أصروا على اختيار كريمة مختار، لتكون شعارًا لها، بتقديمها دور الطبيبة، وسط اعتراضات من آخرين، رأوا عدم صلاحية الراحلة، كون الحملة كانت عن الفلاحات ونساء الأحياء الفقيرة، وأوضح المنظمون أن الرسالة ستكون أكثر وقعًا لو أنها أتت من "ماما كريمة مختار".

كما قدمت الراحلة، أفلامًا توعوية خاصة بالوقاية من مرض إنفلونزا الطيور، الأمر الذي نالت عنه جائزة من وزارة الصحة، وأخرى من منظمة اليونيسيف عام 2008.

أم صارمة في الواقع

عندما تحدثت عن نفسها، أكدت أن مكانتها الفنية الحقيقية، تحققت من خلال تجسيد أدوار الأمومة، بحسب ما صرحت به سابقًا في أحد لقاءاتها التلفزيونية، فقد كانت تجيد اختيار نوعية الشخصيات التي تلعبها، مع الدقة في اختيار المخرجين والفنانين من الرجال، الذين يقفون أمامها، وكان من ذكاء الفنانة الكبير أنها لم تلهث وراء المزيد من الشهرة بالوقوف أمام نجم بعينه، أو بالانتشار من خلال تقديم عدد كبير من الأدوار دون هدف أو قيمة.

ما أضفى على "مختار"، المصداقية في لعب هذا الدور على الشاشات، نجاحها في حياتها الطبيعية، حيث عرفت بأمومتها الطاغية لأبنائها، واستقرارها الأسري، ولعل زواجها من الفنان الراحل نور الدمرداش، الذي جمعتها به قصة حب، وأنجبا ثلاثة أبناء، هم شريف، وهبة، ومعتز الدمرداش (الإعلامي المصري الشهير)، كان سببًا رئيسًا في الوعي الذي صاحبها طيلة رحلتها الفنية، خصوصًا وأن نور كان يشجعها دائمًا على مواصلة العمل، بعكس ما واجهته من اعتراضات من الأهل في بداية مشوارها الفني.

"ماما نونا"، التي عرفها الجمهور بالدلع والحنان للابن "حمادة"، كانت مختلفة عن كريمة مختار، الأم الصارمة، التي وضعت مصلحة أبنائها وتربيتهم نصب عينيها، حيث كانت أكثر جدية في تعاملها معهم، لكن هذا لم يمنعها من الاعتراف بندمها في اختيار زيجات غير مناسبة لأبنائها في البعض من الأحيان.

رغم المحصول الفني الكبير، والعمل مع الكبار من المخرجين مثل عاطف سالم وحسن الإمام وآخرين، وكذلك مع الفنانين الكبار مثل فريد شوقي ومحمود مرسي، وعبدالله غيث وعبدالمنعم مدبولي، إلا أنها كانت تتمنى العمل في سنواتها الأخيرة مع الفنان أحمد مكي، لإعجابها به في شخصية "الكبير"، بالإضافة إلى أنها كانت ترى أن الوقت مناسب جدًا، لتقديم الأدوار الكوميدية.

أتى دور "الأم" في مسرحية "العيال كبرت"، عندما جسدت أم فنانين كبار راحلين، هم أحمد زكي وسعيد صالح ويونس شلبي، نقطة هامة في الرصيد الفني لكريمة مختار، رغم ندرة أعمالها المسرحية، خصوصًا وأنه كان المرحلة الثانية التي انتقلت فيها الفنانة لتقديم الأدوار التي تحمل كوميديا الموقف، مثل فيلم الحفيد.

كريمة مختار، التي شاء لها القدر أن يشهد شهر يناير، مولدها ووفاتها، بفارق أربعة أيام فقط، لم تبخل نهاية رحلتها التي تكللت بالكثير، بالوقوف أمام الشباب كأمهات لهم، رغم أنها أحيانًا ما كان ظهورها معهم لا يتعدى عددًا قليلا من المشاهد، ومع ذلك تركت تلك الأعمال، التي اختارتها بعناية فائقة، أثرًا في ذاكرة المشاهد.

من بين هذه المشاهد، تلك التي قدمتها، في فيلم "ساعة ونص"، عندما جسدت شخصية الأم التي تعاني من مرض الزهايمر، والتي ملّ منها ابنها، فقرر تركها في محطة القطار، ومعها ورقة، توصي بإيداعها في دار للمسنين، وسط دموع وبكاء حارّ منها، وكذلك دورها، في فيلم "الفرح"، الذي أدت فيه شخصية الأم، التي تدخر القليل من النقود، من أجل شراء الكفن عند موتها، وإقامة جنازتها.

قاهرة الزهايمر

أما دور "سندس"، الذي لعبته في مسلسل "دلع بنات"، مع الفنانتين، مي عزالدين وكندا علوش، فرغم الهجوم والانتقاد الذي وجّه للراحلة، بعد تجسيدها دور السيدة العجوز "المتخلفة عقليًا"، إلا أنها نجحت في وضع بصمة خاصة لها فيه، أفصحت عن جرأة لم تمنعها من تقديم الشخصية بواقعية كبيرة.

كريمة مختار التي كرمت عن مجمل أعمالها في ختام المهرجان القومي للمسرح عام 2010، كما كانت أمًا في أعمالها الدرامية، لعبت الدور ذاته مع العديد من الفنانين خلف الكاميرا، والذين كانوا يجدون فيها رائحة الدفء والحنان، والزمن الماضي، ما جعل وفاتها، صدمة بين هؤلاء الفنانين، الذين نعوها عبر صفحات ومواقع التواصل الاجتماعي.

"لقد أديت رسالتي.. وليس في حياتي ما أخجل منه. أو يزعجني"، بتلك العبارة التي ختمت بها الراحلة مشوارها الفني، خلال حديثها مع نقيب الفنانين الدكتور أشرف زكي منذ أيام، قبل رحيلها.

كانت مختار تشعر وكأن الرحلة أوشكت على الانتهاء، فأبت أن تستقبل النهاية، إلا وهي تعلن اعتزازها بالعمل في الوسط الفني، الذي تركت فيه الكثير من البصمات، وهكذا، ستبقى كأحد أعمدة الفن المصري الذي جعل لشخصية الأم مكانة ودورًا بارزًا، يرمز للقيم والأخلاق، بل ورمزًا اختفى من الأعمال الدرامية في سنواتها الأخيرة، التي شوهت فيها شخصية المرأة، وخصوصًا الأم.

> رحلة كريمة مختار تبدأ من ميكروفون الإذاعة في الخمسينات من القرن الماضي، مع الإعلامي الراحل، محمد محمود شعبان، «بابا شارو»، بعد أن يجد فيها الإذاعي والمنتج محمد الطوخي، وأيضا الفنان عبدالرحيم الزرقاني، نبرة صوت مميزة، تتشابه مع صوت الراحلة فاتن حمامة

● ماما "نونا" الاسم الحركي الذي لازمها ودورها في حملات صحية توعوية حفر لها مكانا في قلوب كثير من المواطنين ونقل دور الفن إلى مكان أرحب، حتى طرحت مصانع الألعاب دمية تجسد كريمة مختار في هذا الدور.

قارة جمال خالص تتنفس هواء تونسيا

صدر بعل
الإقامة على جناح طائر

فاروق يوسف

❑ **تونس** – متحف هو أم فندق، صدر بعل هذا؟ لأول وهلة يبدو الالتباس ممكنا. غير أن جولة قصيرة بين أروقة ذلك الصرح الفني وباحاته وغرفه وسلالمه يمكنها أن تحل لغزه الكبير. فهو وإن بني عام 1998 على هيئة متاهة، متشعبة الدروب فإنه في الوقت نفسه يحرص على أن تكون دروب متاهته مشبعة بالخيال، غاصة بالتفكير في ما يمكن أن يكون عليه الجمال المجاور وهو يقف وجها لوجه أمام جمال الطبيعة الذي يتقدم إلى اليابسة مع كل موجة من موجات البحر. فالبحر القريب جزء من المشهد وليس المشهد كله. البحر عنوان آخر للمتاهة.

جمال وهدوء وترف

يخلص المرء وبسرعة متناهية إلى حقيقة ما ينطوي عليه ذلك الفندق من فكر جمالي، يتجاوز بقوة وعيه التاريخي الرغبة في التزيين وتسلية العين ومتعتها المؤقتة التي تُنسى ما إن يكف المرء عن التجوال في الفندق. هناك مسعى لإنجاز أثر بصري يبقى، يحمله المرء معه، باعتباره واحدة من الهبات الكريمة النادرة على صعيد ما تحققه من سعادة، تذهب بإيقاع نشوتها وإلهام بصيرتها إلى الروح مباشرة.

لهذا يمكنني القول "لقد نجح صدر بعل في تقديم فكرته عن متحف الفن الحي". فمجموعته الفنية الرفيعة التي تعود إلى كبار رسامي العالم العربي هي في حقيقتها خلاصة بحث جمالي دقيق ومتقن في تاريخ الجمالية الفنية، استغرق إنجازه سنوات طويلة. وهو ما يعني أن المرء وهو يرى أعمال تلك المجموعة أو الجزء المتيسر منها سيكون مسافرا في الممرات الهوائية التي شقها فنانو المنطقة في طريقهم إلى الجمال المطلق والملتزم بشرطه الإنساني في الوقت نفسه. ذلك الجمال الذي لا يزال يتنفس هواء عصور مترفة.

> «صدر بعل ينجح في تقديم فكرته عن متحف الفن الحي». فمجموعته الفنية الرفيعة التي تعود إلى كبار رسامي العالم العربي هي في حقيقتها خلاصة بحث جمالي دقيق ومتقن في تاريخ الجمالية الفنية، استغرق إنجازه سنوات طويلة

وبسبب تلك الأعمال يشعر النزيل بأنه يرى العالم من موقعه وهو يقف على جناحي طائر عملاق، يخترق به الزمن، وفي الوقت نفسه ينزلق به إلى أعمق نقطة من جوهر المكان الذي لا يكف عن تقديم مقترحاته الخيالية.

يعيش المرء تجليات الروح في أبهى صورها فيما يمارس نزهته اليومية العادية. وهي نعمة يضعها صدر بعل موضع التنفيذ في كل لحظة يتأمل فيها المرء تلك الأعمال الفنية التي لا يخلو متر منها. فهي تشكل فضاء متخيلا آخر يفضي إلى عالم مسكون بكل ما هو جديد ومختلف وخارج على المألوف ومتمرد على سياقات العرض التقليدية.

واجهة لذائقة جمال متعفف

ذلك كله يفضي إلى مفهوم جديد للسياحة قائم على التفريق بين الثقافة السياحية والسياحة الثقافية، وهما بطبيعة الحال ليسا الشيء نفسه. فالأولى تروج للقيم السياحية أما الثانية فإنها تصنع من السياحة مناسبة للترويج للقيم الثقافية. ما فعله صدر بعل من خلال عروضه الفنية الدائمة إنما يدخل في نطاق محاولة الانفتاح على مفردات الوعي الجمالي الحديث، من غير أن تجري تلك المحاولة ضمن الأطر التقليدية، المتعارف عليها في تقديم الفن إلى الجمهور العادي.

صدر بعل وهو فندق تونسي يقع في ياسمين الحمامات اخترع طريقة وأسلوبا جديدين وجريئين في تقديم الفن إلى المتلقين الذين لم يحضروا إليه أصلا من أجل رؤية أعمال فنية. وهو ما يضفي على المحاولة طابعا طليعيا، من جهة ما تنطوي عليه تلك من مبادرة خلاقة لكسب جمهور جديد، يضاف إلى الجمهور التقليدي في شغفه برؤية الأعمال الفنية.

وإذا ما عرفنا أن تلك المبادرة الطليعية كانت في جزء منها موجهة إلى الفنانين قبل متلقي أعمالهم من خلال الإقامات الفنية التي رعاها صدر بعل بكرم وأريحية يمكننا التعرف على المسافة التي اختصرها رواد المشروع من أجل إضفاء طابع المعاصرة على محاولتهم.

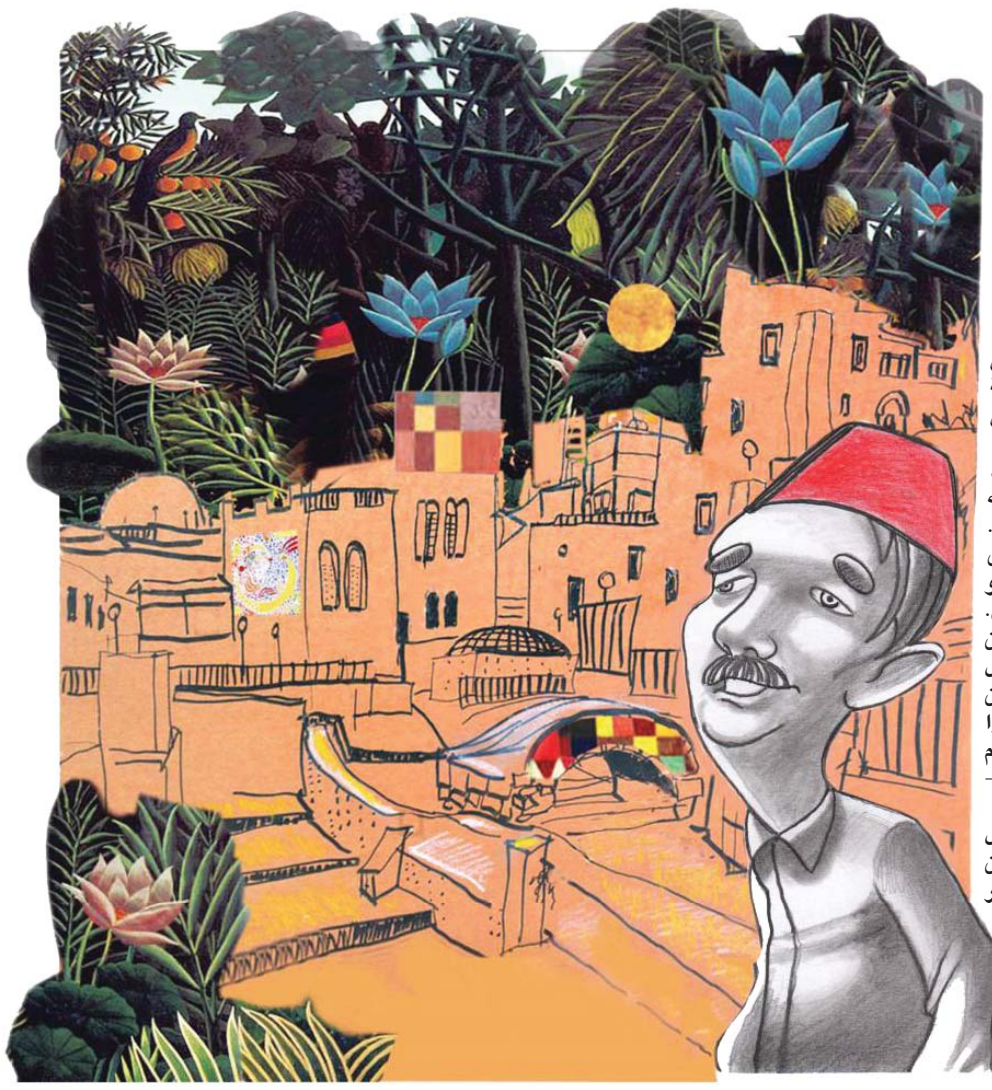

المعاصرة هي الأساس الذي تنطلق منه فكرة أن يكون الفن صانعا لذائقة متلقيه. وهي فكرة تضع السياحة الثقافية على الطريق الصحيحة التي تقود إلى الهدف النبيل.

صدر بعل هو فكرة خيالية، تجسّدت على هيئة نزل تسكنه أرواح الفنانين الهائمة. وبسبب طليعية تلك الفكرة فإن كل عمل فني تُقدم من خلاله يبدو كما لو أنه قادم من المستقبل. لا أثر للتاريخ، بالرغم من أن عددا من منتجي تلك الأعمال الفنية هم اليوم غائبون عن عالمنا الأرضي. لقد تركوا أعمالهم وهي تحلّق بأرواحهم النبيلة في فضاء النزل-المتحف.

بالتأكيد ليس لصدر بعل مثيل في العالم العربي، ولكن مثيله في العالم هو الآخر نادر كما أتوقع.

ما من فندق في العالم يسعى إلى تثقيف نزلائه وتربية ذائقتهم الجمالية بالأسلوب الهادئ والرقيق والحيّ الذي يتبعه صدر بعل.

هناك شيء من الأناقة الروحية يتخلل العروض الفنية الدائمة التي يشهدها المرء كلما انتقل من مكان إلى آخر. وهو ما يضفي على فكرة المشي بين طرق النزل المتشعبة إحساسا بسفر متعدد المستويات في تأثيره بين نزيل وآخر. وهو ما يحقق هدفا مهما من أهداف تلك العروض. يتمثل ذلك الهدف في الرغبة في أن يُعاش الفن باعتباره لازمة حياة عابرة.

الحاضر كل لحظة

في متاهة النزل يهتدي المرء إلى غرفته أو يرشد الآخرين إليها من خلال الأعمال الفنية التي صارت رفيقة عاداته اليومية. تشكل تلك الأعمال علامات دالة، عن طريقها يتعرف المرء على طريقه. كأن يكون المطعم بعد رسوم علي بن سالم والنادي الرياضي تقود إليه حروفيات عبدالمجيد البكري أما الاستقبال فإنه يقع على بعد مترين من رسوم رضا بالطيب. كنت أعرف أثناء إقامتي في ذلك النزل أنني قد اقتربت من غرفتي حين أرى محفورات إبراهيم الضحاك. لا أظن أن أحدا يقيم في ذلك النزل إلا وقد ألحقه الفن بأوهامه.

وسيكون عليه أن يلتحق بالفن لكي يكون موجودا. فالإقامة بين الأعمال الفنية تشعرنا بخفة العيش، وهي خفة تهيمن على النزلاء بدل أن تتسلل إليهم من المشاهد الخيالية التي يخترقونها كلما حاولوا الانتقال من مكان إلى آخر. لمَ لا نكون نحن أيضا جزءًا من ذلك العالم الذي تم اختراعه من أجل أن يكون الجمال حاضرا في كل لحظة أمامنا؟

فكرة الفن في فندق ليست جديدة، بالرغم من ندرتها، غير أن الجديد في ما يراه المرء في صدر بعل أن يكون الفندق متحفا للفن الحي. ذلك المتحف الذي يسبق الحياة إلى جمالها، بدلا من أن يؤرخ لجمال سابق. لم أكن محظوظا لأنني لم ألتق بمبتكر تلك الفكرة، محمد العموري، جامع الأعمال الفنية وصاحب سلسلة فنادق صدر بعل. لقد صنع الرجل زمنا يشبهه. هو ذلك الزمن الذي يحلّق بالمكان. أتخيله وقد خلق فضاء لمزاجه رجلا سعيدا. لم يحتكر الجمال الذي شغف به بل وضعه في خدمة بشر، لن يكون أحد منهم معنيا بالتعرف عليه. كنت كلما شعرت بالسعادة وأنا أرى عملا فنيا جميلا التفت إلى ذلك الرجل الذي أحسن إليّ. أليس الجمال نوعا من الإحسان؟ أقول لرؤوف وهو ابن ذلك المحسن الجميل "صانع الجمال هو أعلى مرتبة من الجمال" فيلتفت بحياء إلى رضا، صديقي منذ ربع قرن، وهو الرجل الذي وضع حياته كلها في خدمة الفن، "شيء من قلقك الجمالي يا رضا لا يزال يحلق بالكائنات التي اخترعت لها حياة جديدة. تلك لوحاتك التي وهبت المكان سعة الفردوس".

> التاريخ لا أثر له، بالرغم من أن عددا من منتجي تلك الأعمال الفنية التي تسكن صدر بعل هم اليوم غائبون عن عالمنا الأرضي. لقد تركوا أعمالهم وهي تحلق بأرواحهم النبيلة في فضاء النزل-المتحف

أتخيل رضا العموري وهو يلتفت بسعادة إلى ماضيه. إنه يمشي الآن بين أحلامه التي لم يغادرها بعد. قد يلتقي في أيّ لحظة ذلك الشاب المغامر الذي كانه قبل ربع قرن، يوم ذهبنا بسيارته إلى بيت والديه بصفاقس. في صدر بعل صارت أحلامنا حياة معاشة. غير مرة حاول أن يخبرني بتواضع أن حلمه لا يزال في بداياته.

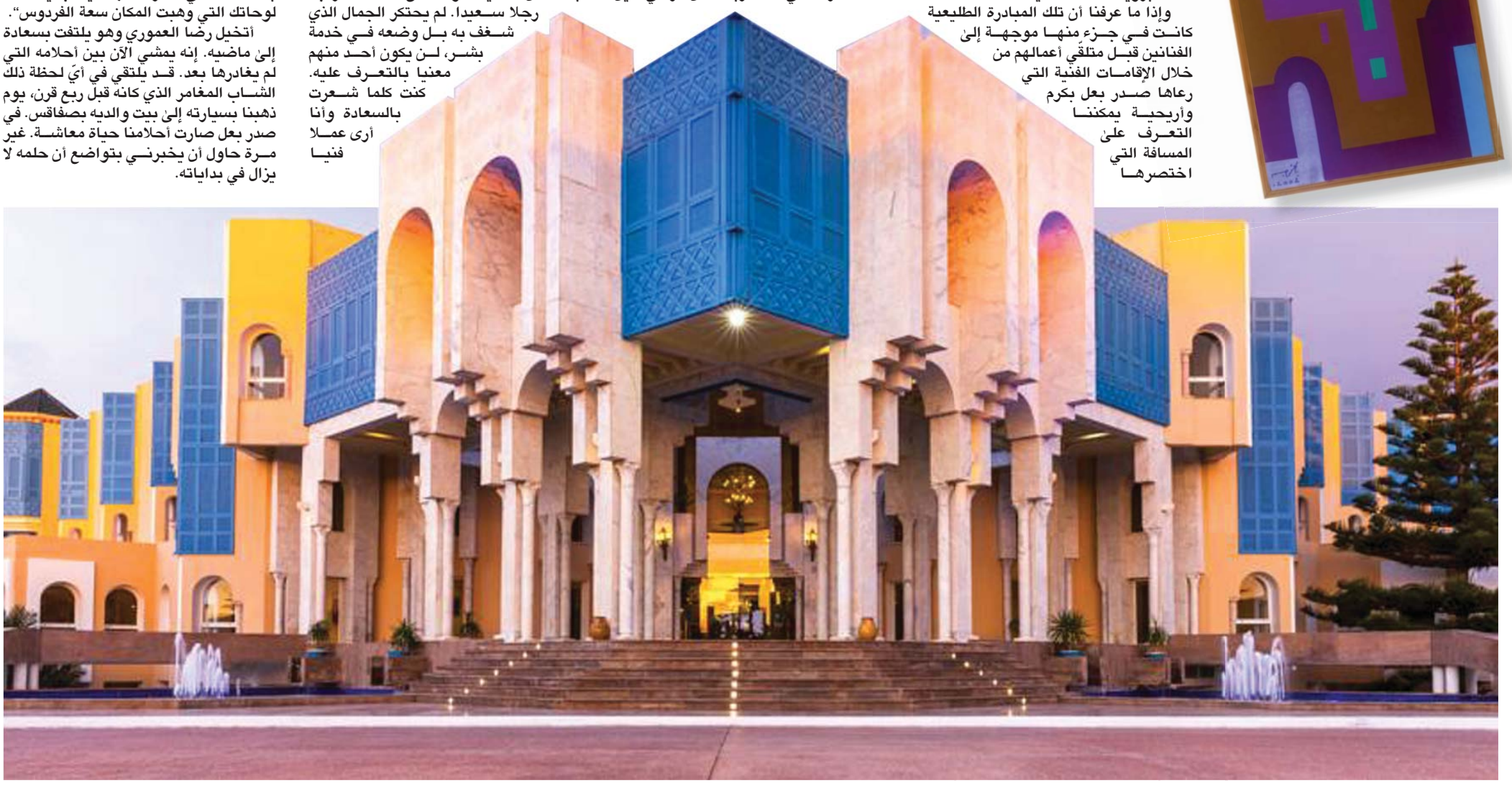

ذكورة وأنوثة

جدل الكتابة والمرأة والمجتمع والتغيير

تسلط مقالات هذا الملف الضوء على جملة من القضايا المتصلة بالمرأة والكتابة والأنوثة والمجتمع. وبالتجليات الأبرز التي عبّرت من خلال الأدب الذي كتبته نساء من العالم العربي، عن حلم المرأة في التحرر من قيود المجتمع، والانفكاك من الأسر الطويل للأنوثة في صيغ المجتمع، ومغادرة الهامش الذي أسر صورتها وحدد إطار حركتها، ورسم لها الأدوار، وأنتج القيم المتصلة بها في مجتمع شرقي مضطهد جغرافيا (من الغرب) وسياسياً (من البنى الحاكمة)، ويتميز أفرادا وجماعات بذكورية مفرطة ويدين لقيمها بصورة شبه مطلقة.

تنطلق مقالات هذا الملف من موضوعات تشكل مجتمعة نسيجا فكرياً، وتصلح، على اختلاف مستويات التناول وزوايا النظر، مادة للنقاش حول تجليات الأنوثة وقضاياها وصورها في الأدب الذي تكتبه المرأة اليوم، وكذلك في النصوص الفكرية التي أنتجتها المرأة في إطار معركتها التحررية، لا سيما منذ النصف الثاني من القرن العشرين وإلى اليوم. وتذهب بعض الموضوعات إلى المقارنة بين النصوص الفكرية التي أنتجها مفكرون ناصروا النساء في معاركهن التحررية في النصف الأول من القرن العشرين كقاسم أمين وذلك في سياق ما عرف بحركة الإصلاح والتنوير، وبين نصوص فكرية أنتجها مفكرون تقدميون معاصرون لنا اليوم.

"الجديد" تعتبر هذا الملف مناسبة مفتوحة، ودعوة موجهة للأقلام العربية نساء ورجالا لاستئناف النقاش في صلب القضايا التي تشغل الفكر العربي وتتصل بواقع المرأة العربية وبمكانة الأنثى والأنوثة في الثقافة والاجتماع على حد سواء، في زمن عربي عاصف تتضاعف فيه الحاجة إلى جدل متعمق من حول القضايا الكبرى وفي المقدم منها قضايا المرأة في الثقافة والاجتماع.

* قلم التحرير

تأنيث الكتابة

سعيدة تاقي
كاتبة من المغرب

❑ وَسْم العالَم بالمؤنَّث مطْلَبٌ متجدِّد لكنه ليس بالجديد، فالعالم منذ بدء الخليقة فضاء مشترَك بين الجنسين. لكن قضت السلطة الاجتماعية والفكرية والدينية والسياسية بروافدها المادية والرمزية أن تحاصر "الأنثى" وأن تكيل لها على يد شريكها في الحياة والفعل والوجود والخلود "الذَّكر" كلَّ مواثيق التقييد والاستبداد والاستغلال. لقد رصفت شهرزاد (التي صنَعها المجتمع الذكوري) من قبل لياليها بوهم سطوة التأنيث لكنها ظلَّت رهينة الليل والغبش والعتمة تقتات الحياة حكايةً ممتدَّةً على حواشي سرير شهريار، تُحكِم عليه سطوة الحكي بما تعلَمُه وتُنتجه من سحر السرد ليلاً ويُحكِمُ عليها سطوة الذكورة والفحولة والقوة بما يعلَمُه من المجتمع وبما تعلَمَه منه وبما يشارك في إنتاجه وإعادة إنتاجه من قيم وأعراف لباقي اليوم. وبذَت "تودُّد" (سليلة حكايات شهرزاد) الفقهاء والعلماء وأهل النظر والحكمة وجرَّدتهم أمام الخليفة هارون الرشيد من ثيابهم نكاية بفضلهم وعلمهم، لكنها ظلت "الجارية" في حُكْم التاريخ والرواية والسرد شخصيةً تخرج من المخدع لتعود إليه. ولم تكن الكتابة أو اللغة أو الفعل في كل ذلك إبداعا يُسلِمُ مقاليدَه للأنوثة بصدق ونزاهة، بل كانت الفحولة تلوِّن كلَّ اللوحات، وكانت اللغة في كل ذلك، ومازالت، تجأر بذكورة المجتمع وباستبداد الفحولة بكل موازين التساوي أو العدالة أو الأنسنة.

ولقد استوت بين أرفف التاريخ، قبل ذلك وبعده، وبين أرفف الفن والعلم والأدب و الشعر والقصة والرواية والمسرح والفكر والفلسفة والنقد والإعلام والسياسة أفعال مقاومة عديدة أعادت تنضيد الرؤى الجامدة وبثَّت في الخوابي شعلة تجدُّد وبعث وإحياء. وسعت إلى أن يغدو فعل الكتابة/التفكير مخلصا للذات الكاتبة التي أنتجته دون اتكال على استبداد مطلق، أو اختفاء خلف ظل ذلك الآخر. لكن اللغة وهي "مَسْكَن الإنسان"، وفق هايدغر، سابقة في الوجود والحدود والتسميات على وجود الكائن الإنساني، ومن ثم فإن اللغة لا يتكلَّمُها الإنسان بل إنها تتكلَّمه إذ تحدِّدُه وتسمُه وتسمِّيه. لأجل ذلك لا يمكن النظر إلى صوت المرأة المميَّز مثلا في الكتابة وننسى أن اللغة تضع مدخل صيغة "أَمرأ" في معجم "المعاني" كالآتي:

مَرَأَ: (اسم)
مَرْأ : مصدر مَرِئَ
مَرَّأَ: (فعل)
مَرَّأْتُ ، أُمَرِّئُ ، مَرِّئْ ، مصدر تَمْرِئَةٌ
مَرَّأَ الضَّيْف : قَالَ لَهُ : هَنِيئًا مَرِيئًا
مرَأ: (اسم)
مرْأ : فاعل من مَرُؤَ
مرَأَ: (فعل)
مرَأَ يمرَأ ، مَراءةً ، فهو مَريء
مرَأَ الطَّعامُ: كان سائغًا مَقبولاً، سهُل في الحَلْق، وحُمدت عاقبتُه
هنَأني ومَرأني الطَّعامُ
مَرَأَ فلانٌ: طعِمَ

ولنعتد بأنّ "امرأة" وهي الصيغة الوحيدة في اللغة للجنس المؤنث هي في مداخل معجم اللغة:

امرأة
أنثى المرء، جمع: نساء ونسوة (من غير لفظها)
في حين أن "امرؤ"
أمرؤ- و إمرؤ

– رجل ، مؤنث امرأة . وتحرك «الراء» بحركة آخره، فيقال: «امرؤ ، امرأ ، امرئ». ولا تدخل عليها «أل» التعريف.

وفي ضوء ذلك نرى أن اللغة ليست بريئة منذ زمن الوضع والاصطلاح والمواضعة والاتفاق أوالتوفيق، ومازالت كذلك، تحمل بين ثناياها فوق المعنى معان ومبان وكيانات وفلسفات وتواريخ وأيديولوجيات. فكيف باللغة أن ترتدي زيّ "المؤنث" لأن من كتبتها ذات مؤنثة؟ وهل تستطيع اللغة أن يطالها "التمكين" المؤنث للعالَم لأن الذات التي صاغتها ذات كاتبة مؤنثة؟

إن اللغة ليست لغة الرجل. هو لم يمتلكها لكي تكون له وحده دون أن تكون للمرأة، لكنه قد صاغها منذ قرون بأثر رجعي، يخلد لحظة سابقة في الزمن استبد فيها بالتاريخ واللغة والفكر والمجتمع والدين والسياسة والفن، وتملك بسطوة ذلك الامتلاك تاريخيا كل الامتيازات التي جعلتْ مفهوم "القوامة" الفقهي يمتد خارج أصول الفقه لكي ينسحب على كل المجالات والمتون والهوامش. فغدا الفضاء العام فضاء للرجل بمفرده يخضع لمزاجيته وأهوائه واكتساحاته أو انسحاباته. وامتد الأمر ليلحق كل الفضاءات من فضاء حقيقي أو كتابي أو سردي أو تخييلي أو أدبي أو ثقافي أو اجتماعي أو ديني أو سياسي أو فكري أو وجودي. إن الأثر استبد حتى بامتلاك الجسد فالمجتمع ملّك الرجل جسده الخاص وجسد المرأة كذلك، ووضعه رقيبا على وجودها المادي في هذا الكون عبر تسلطه على جسدها وحضوره وغيابه وخواصه وأزيائه و حركاته... والتبس زمن الليل برداء الفحولة، وما أمكنه أن ينعطف ولو قليلا بعيدا عن تلابيب ما يقتضيه ذلك الرداء من خيالات وأوهام وأطياف.

وحين تمكّنت الكاتبة من تملك أدوات المقاومة والرفض والفعل المضاد ضد كل صيغ التقييد والاستبداد والاحتكار والاستغلال عبر التعبير بصوتها الخاص عن رؤيتها للعالَم وللحياة وللوجود وللإنسان وللموجودات وللآخر/الرجل، فإن الكتابة منذ المنطلق الأول في الخلق والصياغة والتشكيل والتوليف فعل وجود مؤنَّث ومؤنِّث يُنفي بدايةً قالبَ "المفعول به" أو "المفعول فيه" أو "الموضوع" ، ذلك القالب الذي ظل لقرون طويلة لصيقا بالفنون والآداب منذ الشعر الغنائي وأغراض الغزل والنسيب والتشبيب إلى العذريات أو المُجُونيات والنحت والتجسيم والتشكيل والرسم.

ويلغي فعل الكتابة المؤنَّثة والمؤنِّثة ثانياً منطق الغلبة للأقوى أو للذي يملك "القوامة" أو الامتياز التاريخي بوضع يده (الرجل/الذكر) على اللغة والكتابة والتفكير والإبداع. ويروم فعل تأنيث الكتابة ثالثا أن يشيِّد من منظور "الذات الكاتبة" كل "الموضوعات" التي تراها أو تتحدَّد خارج وعيها بذاتها تلك الذات الوجودية المؤنَّثة (بفتح النون) والذات الكاتبة المؤنِّثة (بكسر النون) في العالم وفق منظورها ورؤيتها وإدراكها. ولنتأمل في هذا المنعطف الثالث بقليل من السذاجة وكثير من الحيطة السؤال المطروح مقاميا للنقاش في معرض هذا المقال وغيره من مقالات الملف، لماذا نتساءل: هل تحقق صوت المرأة المختلف في كتاباتها أم إنها تكتب بصوت المرأة ولغة الرجل؟

هل لأن صوت الرجل هو الأصل بالفطرة والتاريخ والطبيعة ومادام صوت المرأة يلوح في الأفق فعليه أن ينافس صوت الرجل ويواجهه ويقاومه من منطلقات الندية والمبارزة والتفوق والفوز؟

* لوحة: محمد الوهيبي

التمرد الثقافي وحلول الوعي

علي لفته سعيد
كاتب من العراق

❑ أن تكون متمرّداً وأنت مثقفٌ، يعني أنك تملك حجّة التمرّد على الواقع الذي تعيشه. التمرّد لا يعني الانسلاخ عن ثوابت القول أو إنه مجرد اختلاف مع الآخر. التمرّد فعل والفعل ثقافةٌ والثّقافة في أحد أوجهها سلوك اجتماعي.

ولذا فإن التمرّد لا يعني الفوضى، لأنها نتاج تخلّف.. والتمرّد لا يعني أن هناك هروبا من واقع أو احتجاجاً على سكون أو صمت أو ضيمٍ أو حزن أو اختلالٍ في معنى الآخر الذي يشاركنا الواقع.

والواقع هو الحياة الذي نعيش فيها ونرسم بالثقافة فعلنا الذي نريده أن يكون قائماً على أسس فعّالة من الوعي.. التمرّد أيضا يحتاج إلى سؤالٍ قار، ولأن السؤال هو إجابةٌ مؤجلةٌ مخبوءةٌ بين طيات العقل الذي يفرز نبوءة التحليل ويضيء مسارب الحرف ليكون جواباً مقنعاً، لذا فإن الثقافة هي كيفية تذويب الجواب في زحمة الواقع الذي يختنق ويخنق الصوت الذي يراد منه أن يطرح السؤال من جهة ويطلق الإجابة من جهة أخرى، فإن ذلك مرهون أيضا بكيفية تصوير النفس على الأقل افتراضيا والاختيار لطريقة الاحتجاج التي تنتج في أوجّ مراحلها المنفعلة تمرداً إذا ما انفلت من زمام الهدف الثقافي، تحول إلى فوضى وهوس غير محمود.. لأن التمرّد يقابل الحالة الميؤوس منها، ويراد التنبيه لها ولكن السبيل إلى ذلك يأتي بالفعل الثقافي الذي هو بالأساس مساحة الضوء الواسعة التي تجمع في داخلها كل المتناقضات لكي يتحوّل التمرّد إلى حالة انتقاد وتأشير سلبية لا حالة انتقاص تؤدي إلى زيادة الهوّة.. ولذا فإن السؤال المرافق للتمرّد: أيّ جواب يراد الحصول عليه في لحظة البحث عن وطن مثلاً يراد له ألّا يكون مستقراً، أو أنه يتعرّض إلى عملية تمزيق الأطراف من خلال سحبها في اتجاهين متعاكسين؟

ولذا فإن التمرّد الذي نحتاجه هو التمرّد الثقافي الذي يفضي إلى حلول وليس إلى خراب مدمّر. مقابلة الرذيلةً بتضادها الوعي بالإيمان أو الإيمان بالوعي. الأخذ بعملية التفريق بين الإيمان والكافر، والكافر والمؤمن والمؤمن والأرذل والخطيئة التي لا تؤدي إلى إيمان. حينها لن تكون هناك مرحلة قادمة تسمى الندم وبعدها البحث عن حلول مقارنة بين ماضيين، لأن الحاضر الذي نتمرّد عليه سيكون بأفعاله الفوضوية ماضياً أيضا. فيتحول الندم إلى نوعٍ من العقاب وجلد الذات.

لذا فإن الفعل الثقافي هو تنوير الذات بطريقة التنبيه في اللحظة وتنظيره على أنه ندمٌ على الماضي الأول الذي يراد تغييره لا الندم الذي يراد منه الأسف على فعل التمرّد الذي أفضى إلى خسارات كبيرة فأنتج ندماً لا يمنح سوى الجرح. لذا فإن من الأهمية معرفة من هو الآخر لكي تتم مواجهته خاصة وإن كان هذا الآخر مسيطرا من الداخل المكاني وقائداً للفعل العاطفي وفاعلاً في إخماد العقل وتثويره وجعله منساقاً لطروحاته التي نتجت التمرد الثقافي.

لذا فإن البحث عن مكان لممارسة الكينونة يبقى قائماً على أساس أنه حلم يوتوبي، وإلّا ما معنى الثقافة إن لم تحمل حلماً في أن يكون المجتمع واعياً بما حوله وما بين يديه ويتصرف على أساس الممكن لكي يكون الطموح قابلاً للتحقيق وفق مقاسات التساوي بين أفراد المجتمع؟

ربما تكون هناك حاجةٌ في بعض المفاصل كفعل تمرّد ثقافي إلى أن يكون هناك فعل عار للكشف عن العيوب، لأن التستر عليها لا يفضي إلى ما يراد من التمرّد. لأن الاحتجاج الأولي بطريقة الوقوف الهادئ إن لم تفض إلى شيء فإن الذهاب إلى التمرّد هو المحصلة النهائية في نهاية المضمار الانتقادي للواقع المسلوب من وعيه الحقيقي في بناء المجتمع، والتي تصنع بالنتيجة مجتمعاً فوضوياً ولا يمكن إعادته إلى مساره الصحيح سوى بالفعل الثقافي المحسوب. ويمكن أيضا أن يبقى الحذر من التمرّد الثقافي أن يتحوّل هو الآخر إلى تمرّدٍ فوضوي.

مفهوم التحرر النسوي

على محك أصوليتين

* لوحة: مايسة محمد

خلدون الشمعة
ناقد من سوريا مقيم في لندن

في الكلام السائد على مفهوم التحرر النسوي في المجتمع العربي التباسات أود بادئ ذي بدء أن أوجزها في أربعة:

الأول، هو أن مفهوم التحرر النسوي بعد مرور أكثر من قرن على دعوة قاسم أمين، مازال معيارياً وليس وصفياً. والمفهوم المعياري كما نعلم يتصل بالقيم التي يعبّر عنها بأفعال يجب وينبغي ويتعين. فهي لا تبحث بوصفها مسألة اجتماعية بحتة، وإنما هي قيم ذات محمول ديني وعاطفي. وبعبارة أخرى فإنها سرعان ما تحيلنا، شئنا أم أبينا، إلى أصوليات مرجعية نصية لاهوتية وبقينية.

وبهذا المعنى فإنها تتسم بقداسة وممانعة، وتشير إلى حقائق ناجزة ومقطوعة بصحتها.

الثاني، هو أن مشروع التحرر النسوي الساند، بسبب من محموله القداسي في الأصولية الدينية، والعاطفي في الأصولية الأيديولوجية، غالبا ما ينظر إليه بعيدا عن المفاهيم الوصفية التي تحسن التمييز بين "الحقائق" و"القيم". بل إن الخطاب الأصولي بشقيه الديني والقومي أو الماركسي، يخلق بذلك حالة من التماهي بين الحقائق التي يفترض أنها قابلة للنقض أو التفكيك أو البرهان وبين القيم العاطفية التي لا تحيل إلا إلى مرجعيتها النصية وبالتالي فإنها تظل ممتنعة على أيّ جدل أو جدال.

وتكمن خطورة هذا الخطاب في كونه أحاديا ينكر التعددية. فهو خطاب تحريك وتبشير بقدر ما هو خطاب سلطة لاهوتية سبق الصنع. بل إنه سرعان ما يتحول إلى سلاح سياسي يستخدم لفرض أخطر أنواع الرقابة وأشدها توقا إلى ممارسة قمع الرأي الآخر.

الثالث، هو أن تكوين مفهوم عقلاني للتحرر النسوي، مازال على الرغم من مرور عقود على تجربة قاسم أمين، غائبا أو شبه غائب عن ميدان العلوم الإنسانية العربية.

> من الضروري أن نفهم أن أهم نضال تواجهه النساء في البلدان العربية الإسلامية لا يتعلق بالفكر الحر الذي يقف في مواجهة الإيمان الديني، أو بالحقوق النسوية كما تفهم في الغرب أحيانا في مواجهة الشوفينية الذكورية، بل إن هذا النضال لا يستهدف التصدي لبعض المظاهر السطحية لخصائص التحديث في العالم النامي والغني

بل إن ربع القرن الأخير شهد بروز المرجعية النصية الدينية، بحدودها المرنة والمتشددة، باعتبارها مرجعية مشتركة في الخطاب الأصولي السائد حول المرأة، دينيا كان أم قوميا أم ماركسيا.

في هذه الإلتباسات الثلاثة يكمن التحول الخطير الذي طرأ على مفهوم التحرر النسوي في المجتمع العربي، وهو تحول اعتبر ضربا من "النوستالجيا الجماعية" (1) نحو إعادة صياغة العالم وفق وحدات أبسط وأقل تعقيدا. ما أسباب هذا التحول؟ وهل يمكن إنجاز مشروع التحديث بدون البضاعة الفكرية الغربية التي لازمته والتي تنتمي إلى ما بعد عصر الأنوار؟

هل يمكن التحديث دون تغريب؟

هذا السؤال ظل مطروحا في جوهره منذ الأفغاني ومحمد عبده وقاسم أمين حتى الآن.

ثم ما طبيعة المرحلة التي وصل إليها مشروع التحرر النسوي؟ لعل من أبرز ملامح هذه المرحلة، انحسار الدور الذي سبق أن لعبته العلمانية بصيغها القصوى. بل إن مصطلح "المجتمع المدني" الذي تمليه ضرورات العولمة هو الذي حل الآن محل العلمانية على إيقاع ارتفاع وتيرة الخطاب الأصولي. وخير ما يعبر عن هذا التحول الذي أصبح فيه الخطاب النسوي يستمد مرجعيّته من نصية قد لا تمتّ إلى النصيّة الدينيّة بصلة مباشرة إلا أنها تحاول إيجاد المبررات لهيمنة الخطاب الأصولي الديني، المقدمة التي كتبتها باحثة جادة هي الدكتورة نوال السعداوي للطبعة الإنكليزية من كتابها: "The Hidden Face of Eve" فهي تقول فيها بالحرف:

"من الضروري أن نفهم أن أهم نضال تواجهه النساء في البلدان العربية الإسلامية لا يتعلق بالفكر الحر الذي يقف في مواجهة الإيمان الديني، أو بالحقوق النسوية كما تفهم في الغرب أحيانا في مواجهة الشوفينية الذكورية. بل إن هذا النضال لا يستهدف التصدّي لبعض المظاهر السطحية لخصائص التحديث في العالم النامي والغنيّ. إن النضال الذي يُخاض هو في جوهره، محاولة لضمان قيام الشعب العربي بالتخلص مرة واحدة وإلى الأبد من جميع أشكال السيطرة التي تمارسها المصالح الرأسمالية" (2).

دلالة هذا الكلام هي تأجيل القيام بمشروع التحرر النسوي حتى إشعار آخر.. وربطه تحديدا بإنجاز مشروع كبير غير قابل للإنجاز إلا بعد مرور عقود وعقود، وتعني الكتابة به حلم التخلص من سيطرة الرأسمالية.

ولهذا السبب بالذات فإنها تنتجب الاعتراف بوجود مجابهة بين الدين الذي يرفض مبدأ التعددية وبين الفكر المتحرر من قيود الواحدية النصية.

وعلى الرغم من أن نوال السعداوي تصف في الفصل الأول من الكتاب نفسه التعذيب الجسدي والنفسي الذي عانت منه عندما أجريت لها عملية ختان وهي في سن السادسة، وما تبع ذلك من عواقب لازمتها طيلة حياتها الجنسية فإنها تعلن في مقدمة الطبعة الإنكليزية أن النساء في أميركا وأوروبا يسارعن إلى إثارة الضجيج دفاعا عن ضحية الختان، وأنهن يكتبن المقالات الطوال ويلقين الخطب في المؤتمرات. تقول "من الطبيعي إدانة ختان البنات.. أنا ضد الختان والممارسات الرجعية القاسية الأخرى، ولكنني أختلف مع النساء في أميركا وأوروبا اللواتي يركزن على قضايا كختان الفتيات ويعتبرنها دليلا على القمع الهمجي الذي تتعرض له المرأة في البلاد الأفريقية والعربية فقط" (3).

هذا الخطاب الاعتذاري الذي يبرر تجاهل ظاهرة ختان المرأة واعتبار حلها جزءا من عملية التحرر النسوي ينطوي على تفسير من خلال مفاهيم ريتشارد بهرنت التي حاول فيها تحليل النزعة القومية في البلدان المستعمرة على أساس نظرية المثاقفة (5).

يرى بهرنت أن البلدان النامية تمر بفترة تحول ديناميكي ثقافي تتسم بعدم الاستمرار، وتعتمد على عمليات مثاقفة يمكن التمييز فيها بين نموذجين:

الأول يدعوه بـ"مثاقفة المحاكاة السلبية"، والثاني يدعوه بـ"المثاقفة التوفيقية الإيجابية".

وهو يرى أن القومية في العالم الثالث هي حصيلة عملية تكيّف قائمة على المحاكاة يقوم بها من يدعوهم بـ"شعوب الهامش" مقابل "شعوب المركز" الأوروبية.

يسارع مثقفو الهامش إلى امتصاص فكرة القومية بما هي غربية المنشأ باعتبار أنهم يعاملونها على أساس أنها وسيلة للتغلب على مركبات النقص التي تسبب بها الحكم الاستعماري، والتعويض عنها. كما أن فقدان الهوية نتيجة لاهتزاز البنى الاجتماعية التقليدية يمكن أن يؤدي أيضا إلى إبراز القومية باعتبارها قومية بديلة. فإنها تعتبر من قبل شعوب الهامش بمثابة آلية "ميكانيزم" عالمية تكفل تحقق التطور الاجتماعي والاقتصادي، غير أن القومية التي يفرزها هذا الضرب من الدولة لا تنفع إلا باعتبارها "وسيلة جاهزة تاحلا لصرف انتباه الجماهير عن مشكلات حكوماتها غير المحلولة وإخفاقاتها ونكساتها".

وأخيرا فإن هذه القومية "كثيرا ما تميل إلى تمجيد العادات والتقاليد المحلية بطريقة شوفينية".

هذا التمجيد الأعمى للعادات والتقاليد المحلية بلا تمييز هو بمثابة رد فعل يسعى إلى إيجاد علاقة توافقية مع الأمر الواقع بمساوئه وحسناته، والمحافظة عليه بدلا من تغييره. كما أن هذا الإفراط في التمجيد يقترن عادة بمحاولة استعادة الماضي أو إعادة عقارب الساعة إلى الوراء باسم استرداد العصر الذهبي. ويقابل ذلك في الخطاب الأصولي الديني طرح مسألة استعادة عصر السلف.

جواز نشر بضاعتنا التي تكشف عن قصور فيما حققته حركة التحرر النسوي، وإنما يعنّينا دلالتها على وجود تحول خطير يتجلى في ارتفاع عقيرة الخطاب الاعتذاري الذي لم يعد همه تأجيل الدفع بحركة تحرر المرأة فحسب، وإنما تبرير ربطها بمشاريع التحرر الكبرى التي لا تجد سبيلها إلى التحقيق.

والحال أن هذا الخطاب الاعتذاري الذي يدشن ظهور أصولية قومية أو ماركسية تتقاطع مع الأصولية الدينية حينا لتتماهى معها في أحيان أخرى يمكن رصده وتفسيره من خلال مفاهيم ريتشارد بهرنت التي حاول فيها تحليل النزعة القومية في البلدان المستعمرة على أساس نظرية المثاقفة (5).

وفي مكان آخر من مقدمة الكتاب تقول "الثورة في إيران هي في جوهرها سياسية واقتصادية. إنها انفجار شعبي يسعى لتحرير شعب إيران رجالا ونساء، وعدم إرسال النساء إلى سجن الحجاب والمطبخ وغرفة النوم".

تعلق مراجعة الكتاب على هذا الرأي بقولها "إن بوسع المرء على أقل تقدير أن يلاحظ أن الحقائق لسوء الحظ تناقض تأويل سعداوي للإسلام" (4).

لا يعنّينا في أمر هذه الطروحات أنها تكشف عن وجهات نظر مختلفة إزاء الثورة في إيران أو إزاء الدين عموما أو جواز أو عدم أنهم يعاملونها على أساس أنها وسيلة للتغلب على مركبات النقص التي تسبب بها الحكم الاستعماري، والتعويض عنها. كما أن فقدان الهوية نتيجة لاهتزاز البنى الاجتماعية التقليدية يمكن أن يؤدي أيضا إلى إبراز القومية باعتبارها قومية بديلة. فإنها تعتبر من قبل شعوب الهامش بمثابة آلية "ميكانيزم" عالمية تكفل تحقق التطور الاجتماعي والاقتصادي، غير أن القومية التي يفرزها هذا الضرب من الدولة لا تنفع إلا باعتبارها "وسيلة جاهزة تاحلا لصرف انتباه الجماهير عن مشكلات حكوماتها غير المحلولة وإخفاقاتها ونكساتها".

وأخيرا فإن هذه القومية "كثيرا ما تميل إلى تمجيد العادات والتقاليد المحلية بطريقة شوفينية".

هذا التمجيد الأعمى للعادات والتقاليد المحلية بلا تمييز هو بمثابة رد فعل يسعى إلى إيجاد علاقة توافقية مع الأمر الواقع بمساوئه وحسناته، والمحافظة عليه بدلا من تغييره. كما أن هذا الإفراط في التمجيد يقترن عادة بمحاولة استعادة الماضي أو إعادة عقارب الساعة إلى الوراء باسم استرداد العصر الذهبي. ويقابل ذلك في الخطاب الأصولي الديني طرح مسألة استعادة عصر السلف.

الاختلاف لا يعني الاستنقاص

حياة الرايس
كاتبة من تونس

أولا لا بد أن نفرق بين الأدب النسائي والأدب النسوي. فـ"الأدب النسوي" هو الأدب المرتبط بطرح ومعالجة قضية المرأة وبحركات التحرير النسوية، وهو نوع من النضال في سبيل حرية المرأة ونصرتها والدفاع عن حقوقها، ومساندتها في صراعها الطويل والتاريخي ضد الامتساواة مع الرجل. وهذا الأدب يمكن أن يشترك في كتابته المرأة كما الرجل؛ بمعنى كل من يتبنّى قضية تحرير المرأة ويُسخّر قلمه وإبداعه للدفاع عنها، مثلما يدافع عن قضية العمال أو اللاجئين أو أي قضية من قضايا المستضعفين في الأرض. بمعنى هو مرتبط بقضية وليس بجنس معين.

كما أن هناك كتابات نسائية لا علاقة لها بقضية المرأة ولا تحمل بالضرورة همّا نسويا خاصا. ربما تكتب عن قضايا أخرى أو تكتب أدبا يعكس تطلعاتها ورؤيتها للحياة كإنسان متأثر بالمجتمع ومؤثر فيه فقط.

وشخصيا لا يحرجني وصف النقاد لكتاباتي "بالأدب النسوي" وأن أكون من المدافعات عن قضية المرأة ومن أشرس المدافعات أيضا. كما دافعت عن عدة قضايا أخرى في كتاباتي، لأن الكاتب الذي ليس له قضية، ليس بكاتب وإنما هو يلعب لعبة ترصيف الكلمات.

ولكني الحّ على أن قضية المرأة عندي تتنزل في صلب المجتمع. وهي قضية مجتمع بالأساس وقضية سياسة أيضا باعتبارها تمس الحريات وحقوق الإنسان والديمقراطية والمساواة بين البشر.. وليست قضية فرد صادف أن كان امرأة.

وأنا أصنّف " كتابته نسويّة ". ربما لأن أغلب عناويني تحيل على المرأة مثل مجموعتي القصصية الأولى "ليت هندا...." وكتابي الثاني "جسد المرأة من سلطة الأنس إلى سلطة الجن" والثالث "سيّدة الأسرار: عشتار" ثم المجموعة الشعرية "أنثى الريح" وسلسلة قصص الأطفال "حكايات فاطمة".. إضافة إلى عملي كمديرة مركز ثقافي تابع للاتحاد الوطني للمرأة التونسية يحمل اسم "فضاء 13 أوت الثقافي" (13 أغسطس هو تاريخ إصدار مجلة الأحوال الشخصية التونسية وهو العيد الرسمي للمرأة التونسية) لعل كل ذلك يجعل النقاد يصنفون كتاباتي في خانة الأدب النضالي.

وبالدخول إلى تفاصيل محتوى كتبي نجد أنها في "ليت هندا.." تتناول قضايا المجتمع ككل. فأغلب أبطال قصص المجموعة وشخصياتها من الرجال وهي تعالج قضايا اجتماعية ومسائل فلسفية وتطرح أسئلة وجودية مثل قصة "عزرائيل والكاتب" وتعالج مشكل الطبقات الاجتماعية والتمييز العنصري ومشاكل العمال وسوء توزيع الثروات إلى غير ذلك. أما كتابي الثاني "جسد المرأة من سلطة الإنس إلى سلطة الجن" فهو يعالج بامتياز قضية المرأة وعلى وجه التحديد حالة النساء المسكونات بالجان، في مقاربة علمية سيكولوجية وفلسفية أنتروبولوجية. باعتبارها حالات باثولوجية تستدعي التحليل النفسي.

* لوحة: مايسة محمد

ثم تأتي "سيّدة الأسرار: عشتار" وهي رواية/مسرحية مستمدة من ميثولوجيا حضارات الشرق القديم وبالذات من حضارتي سومر وأشور حيثما كانت الأنثى -الهة- وقد قصدتها فعلا لأعيد الاعتبار إلى المرأة المهانة في ذاتها وفي جسدها في عصرنا الحاضر. وهي تروي قصة حب عظيم عاشته ربة الحب والخصب عشتار مع تموز، ولكنه في النهاية الحب العظيم الذي تحلم به كل امرأة وكل أنثى.

نص كتب بحب في مديح الحب والأنوثة كما جاءت في ألواح وملحمة العصر القديم مع فطرة البدايات، قبل أن يدخل الجسد والجنس بوتقة المدنس والمقدس والحلال والحرام والطمس والممنوعات التي حطت من شأنه وشوّهته، حين كان الجنس رمز الخصوبة والتكاثر وعجلة الكون. وحين كانت عشتار ربّة الخصب والحب والأرض والزرع.

وهي ملحمة شعرية في مديح الأنوثة كما وصفها النقاد الذين احتفوا بها كثيرا واعتبروها نوعا من الكتابة الإيروسية المتحررة وقد وصفها الناقد كمال الرياحي أجمل وصف حين قال "نص في مديح الجسد الحرّ، الجسد العاشق والجسد المنفلت من القيود والأسيجة. نص طليق في مديح الشبق المطلق يكتب أولى بنود دستور دولة الشهوة العظمى". وأضيف نص في أنسنة الجنس والجسد أيضا. (وقد طبعت 10 طبعات ما بين تونس والإسكندرية والقاهرة وترجمت إلى الإنجليزية والفرنسية).

أمّا ديوان "أنثى الريح" الشعري فهو دعوة المرأة للتحرر من أي ما يعرقلها من قيود المجتمعات البطريركية التي تشدها إلى الوراء في حركة ردة تعاكس كل تطور طبيعي وتعاكس اتجاه الطبيعة والريح الذي يدفع باتجاه العواصف والزوابع. لتفجر طاقاتها الرهيبة التي طمسها مجتمع الذكور، على مدى القرون وهي الآن تندفع بكل قوة الحرمان والتحدي تبدع وتفتح عوالم جديدة كانت مغلقة دونها.

أما "الأدب النسائي" فمصطلح مغرض اخترعه النقاد الذكور للفصل بين أدب وأدب بين ما يكتبه الرجل وما تكتبه المرأة على أساس جنسي بحت وهذا نوع من الحيف والتمييز البغيض. لأن التمييز يجب أن يقوم على شروط إبداعية جمالية بحت، في التمكن من الأدوات التقنية وامتلاك اللغة وتطويعها وتخصيبها، ولا علاقة له بجنس الكاتب. ولا يجوز تجزئة الأدب بأيّ حال من الأحوال. وحيث أنه لا يوجد مصطلح يقابل ما يكتبه الرجل ولم نعرف تسمية تقول بأدب الرجل أو أدب الذكور فإنّ هذا المصطلح يفضح النوايا المبيّتة المتضمنة لتصغير وربما لتحقير ما تكتبه المرأة ونعته بمصطلح الأدب النسائي وربما أزاحته من المدونة الإبداعية أيضا والتي يريدونها أن تبقى مدونة ذكوريّة. إذ برأيهم أن الأدب الذي يكتبه الرجل هو الأدب الأصل. هو الجوهر وهو الأدب الإنساني الأساسي وما تكتبه المرأة مجرد ملحق لما يكتبه الرجل وتابع لهذا الأدب الأصلي الكبير عندهم.

وما التركيز على انتشار هذا المصطلح إلا تكريس لعقلية الوصاية في المجتمعات البطريركية والنظرة الدونية للمرأة على أساس كونها كائنا من درجة ثانية. وهذا من رواسب عقلية مجتمع الذكور والثقافة العربية المعادية للمرأة التي تؤله الرجل وتحط من قيمة المرأة. فلا نستغرب أن يطلع علينا بعض ذكورها من الكتاب بهذا المصطلح، ليجعلوا منها أديبة ملحقا من درجة ثانية. وبذلك لا تعدو المؤسسة الثقافية الأدبية أن تكون سوى نسخة مصغرة من عقلية القبيلة وترسيخ واستمرار لها.

ومن هنا أنا أرفض التسمية والمصطلح رفضا باتا احتراما لقلمي ولنصي الذي لا أقبل له أن يكون ملحقا أبدا. ما دمت أقدم مثلما يقدم الرجل مواضيع تمس قلب المجتمع والعمق الإنساني وأشارك الرأسمالي للأدب، إضافة إلى الشرط الإبداعي الجمالي طبعا وربما أغوص في مواضيع لا يعرفها الرجل باعتباري أتميز عنه بتجربة الخلق والولادة.

لكنني أومن بمبدأ الاختلاف كامتداد طبيعي لثنائية الكون القديمة التي تضمن الاستمرار والتنوع: مؤنث/مذكر وأؤمن بالخصوصيات لكل من الرجل والمرأة دون أن يعني ذلك الاستصغار والاستنقاص أبدا وإنما التنوع والإثراء والتلاقح والإخصاب. فمن حق القارئ أن يرى العالم من وجهتي نظر مختلفتين لا من وجهة نظر أحادية. إذ لا فائدة أن نكون نسخ كربون من بعضنا البعض نساء ورجالا.

الطبيعة حبتنا بالاختلاف والتنوع فيجب أن نبرز هذا التنوع وأن نظهره في كتاباتنا دون خجل من ذواتنا. وإن خُلقت امرأة فتلك مصادفة طبيعية جميلة لا يجب أن اعتصمها. فأنا أكره التشبه بالرجال أو أن أكتب مثل الرجل. وهو ليس دائما المثل بالنسبة إليّ لا في الحياة ولا في الكتابة.

عندما أكتب أحبّ أن الامس العمق الإنساني باغاثة أناملي كائنتي. والنص عندي هو امتداد لجسدي فأنا أكتب بوهج أنفاسي المتصاعدة من مسام جلدي وأكتب بكل حواسي وعقلي وشراييني وقلبي وتلافيف الفكر ومنعطفات الذاكرة وعمق الوجدان، بكل تفاصيل تلك الذات التي لا يمكن أن تشبه ذاتا أخرى أبدا، ككل الكائنات في الطبيعة تماما.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى الرجل أيضا. على كل كاتب أن يحافظ على خصوصيته بالإضافة إلى مواقفه ورؤيته للحياة بطبيعة الحال، والمرأة هي امتداد للفعل الطبيعي الأصيل أو هي صُلب الفعل الطبيعي الخام.

وأنا أحب أن يجد القارئ/ تلك اللمسة الأنثوية في كتاباتي ويشمّ رائحة الأنثى في ثنايا سطوري فالكتابة هي عطرنا الداخلي في النهاية.

الذات المؤنثة موضوعا للكتابة

تجارب روائيات مغربيات

أحمد ضحية
كاتب من السودان

من خلال اطّلاعنا على ما توفر لدينا من نصوص قصصية ومجموعات تنتمي لأجيال مختلفة (الستينات مرورا بالثمانينات من القرن الماضي وصولا للراهن) نلاحظ عدم وجود فوارق قطعية بين هذه المراحل فالقصة عند ملبكة مستظرف، نجاة السرار، عائشة بورجيلة أو فاطمة بوزيان تنطوي على بعض ما انطوت عليه القصة عند خناثة بنونة بشكل من الإشكال.. ربما ثمة بُعد عن التقريرية والمباشرة كما عند مستظرف بورجيلة وبوزيان.. ربما ثمة تطور في أسئلة الكتابة، لكن هذا التطور لا ينفي أنه متصل بما سبق لا منفصل عنه، مع التأكيد على أن القاصة المغربية استطاعت في كل مراحل تطور سردها (شكلا ومضمونا) طرح أسئلة جريئة تتعلق بالخلل البنيوي الذي يعتري البنى الاجتماعية كما عند: خناثة والسرار، وتمكنت من اقتفاء أثر هذا الخلل كما عند ملبكة والسرار وبورجيلة وتتبع تجلياته على الشخوص المهمشين غالبا وانعكاساته على الذات الإنسانية بعامة، في هذا العالم المضطرب سريع التحولات كما عند بوزيان.

في هذا الجزء من ورقتنا عن القصة النسائية المغربية اخترنا نماذج محددة لنشتغل عليها تتمثل في "العزلة الموقوتة" لخناثة المؤجلة" لنجاة السرار و"لنرسو على شاطئ الحلم" لعائشة بورجيلة و"يوم استثنائي" لفاطمة بوزيان.

القصة النسائية المغربية في جانب منها كما ذكرنا سابقا تنهض في الخلل البنيوي. في تحليل الواقع الاجتماعي، خلال رصدها لتفاصيل الحياة اليومية عبر شخصيات قد تبدو للوهلة الأولى كشخصيات سايكوباتية، كما في شخوص مجموعة ملبكة مستظرف "ترانست سيس (http://www.doroob.com/?p=1746) لكنها في الواقع شخصيات مهمشة ومسحوقة سلوكها رد فعل لخلل جوهري في البناء الاجتماعي، فهم كشخوص ليس لديهم تصور مضاد أو غير مضاد للمجتمع، وما يصدر عنهم ما هو إلا انعكاس لتعاطيهم مع الأبنية المختلة نفسها، بقوانينها الضاغطة وما ينتج عن اشتغال هذه القوانين من تمزقات تعتري وتشمل كل جوانب الحياة، بحيث تبدو الذات الإنسانية في هذا التمزق مختطفة.. مهضومة، تحاول الإفلات من قبضة اليومي. في هذا الفضاء الإنساني المتمزق والممزق للفرد تبدو المدينة المغربية كمجمع كبير للقمامة، يحتوي كل ما يصعب تصوره من سقط السلوك البشري. والأفكار المريضة (انظر: مليكة مستظرف- ترانت سيس) لا تعبر هنا عن المدينة المغربية الكبيرة فحسب، بقدر ما تعبر بها وفيها كرمز للمدينة عموما، في زمن التحولات المتسارعة التي شملت كل العالم دون استثناء، وكانت إفرازاتها السالبة على عالمنا النامي تحديدا أشد قسوة وتمزيقا للذات الإنسانية منها على العوالم التي اكتمل نموها أو في طريقها للاكتمال.

القصة القصيرة المغربية المكتوبة بأقلام نسائية تتبدى لا كنصوص غارقة في همومها المحلية رهينة الاجتماعي والثقافي والسياسي، فهي أكثر من ذلك حالة تسام إنساني كوني يعكس كل ما يموج به حاضرنا المضطرب الموبوء بأمراض عصرنا بوتائر إيقاعه المتسارع الموتور الذي يتشبث فيه الإنسان ويتسلح بل ويتعلق عبر الإسفير الماسنجر، وهي إشارة مزعجة كسؤال عن دفء المشاعر والعواطف الإنسانية.

إلى جانب هذا السؤال الكبير نجد أسئلة عديدة تتعلق بالمنسي والمهمل .. تتعلق بالغاضب والساخط على كل شيء، ونجد لغة الشعر المبثوثة هنا وهناك بكل ما لها من عذوبة، كما نجد النفر الجميل يشذر في السردي المتواصل.. الأيديولوجيا أيضا كان لها نصيب فيما هيمنت به على جيل خناثة بنونة فهتافاتها هنا منذ غروب شمس الثمانينات من القرن الماضي في النماذج التسعينية ونماذج الألفية الجديدة، كرجع لصدى بعيد متلاش في اللانهائية السردية، أشبه بالتموجات التي يخلّفها حجر يلقى على بركة ساكنة، حيث تتبدى التموّجات الدائرية، كتلويحة غريق في ظلمة ماض أشد عتمة من غبرة الأفق في روايات ماركيز.. إنها نصوص الجيل التسعيني والألفي الجديد التي تنكر الأيديولوجيا، لا بإنكار يهوذا ولكن كإنكار التجاوز والتخطي، في عصر السقوط المدوي للأفكار الكبرى.. وبعد هذه نصوص لا تريد أن تبشر بسوى الإنسان المتطلع لتحقيق ذاته المحاصرة، بأسئلة السلطة المربكة في عالم يتداعى على رومانسيتنا.. وشاعريتنا وبراعتنا التي نفتقدها الآن في تداعيه على هذه الإحساسات والقيم الجمالية النبيلة تداعي الأكلة إلى القصعة فما الذي حصلنا عليه سوى أشياء نبيلة شكلا لكننا أفرغت من محتويات عزيزة علينا، محتويات تبعثرت في الفضاء الواسع والمتعدد تعدد وسائط التكنولوجيا.. فالتكنولوجيا احتلت عالمنا الشاعري الجميل لتصبح مجرد ملفات مرفقة تفتح وفقا لبرامج الوندوز أو الفيستا الكومبيوترية.. وبعد هذا جزء من رحلة النص القصصي النسوي المغربي القصير، رحلة شبيهة برحلة جلجامش في اللانهاية بحثا عن الحقيقة والحب والجمال بحثا عن الإنسان بما هو إنسان..

* لوحة: أمل بشير

* لوحة: رندة حجازي

إبداع المرأة بين الوضعية الأمازونية ومواجهة الاستلاب

كاميليا عبدالفتاح
ناقدة من مصر

الأمازونيات نساء مقاتلات ذكرهن "هيرودوت" في تاريخه، وأشار إلى أنهن عشن في شمال البحر الأسود، ورأى بعض المؤرخين أنهنّ عشنّ في أفريقيا. والمرأة الأمازونية امرأة قوية يصطرع فيها الميل الفطري الأنثوي للرجل مع الميول القتالية الاستقلالية؛ فهي تنزوج الرجل، وتنجبُ منه، لكنها تؤثرُ العيش مستقلة عنه، بل وتهيمنُ عليه -في كثير من الأقوال- وهي تعيش على القتال؛ ولذلك كانت المرأة الأمازونية تعمدُ إلى بتر أحد ثدييها حتى تتمكن من التناغم والاضطراب خاصة في المجتمع العربيّ على صعيد وضعيتها الاجتماعية والإنسانية والفكرية، لا تزال تواجهُ من قطاع عريض في المجتمع العربيّ باعتبارها كيانًا إنسانيًا ناقصًا لا يكتمل إلا بالتبعيّة للرجل، و لاتزال، في الافتراضي، في صراع من أجل الدفاع عن هويّتها. ولعل الناقدة الأدبية والمعنيّة بالنسوية جوليا كريستيفا قد لخّصت هذا الأمر في إشارتها إلى أنّ "المسألة النسوية قد شهدت تطورا في القرن العشرين مع مراحل عدة، أولها: حول هوية النساء مع الرجال، والمرحلة الثانية كانت حول هوية النساء ضد الرجال، بينما شهدت المرحلة الثالثة شكًا حول مسألة الهوية برمّتها" (1).

وإنّ وضعية المرأة المُبدعة أكثرُ تعقيدًا وتأزّمًا؛ فهي -فضلًا عن طبيعتها الأنثوية الفيّاضة بالعاطفة والنشاط النفسي- تمتازُ بسمات الشخصية المبدعة، وما تقتضيه من حساسية ورهافة، ونفاذ روح؛ فهي كيانٌ ثائرٌ على الفكر والشعور؛ ومن هنا تكابدُ أعمقَ مذاقات الاغتراب والتصدع؛ الناتج من التناقض الصارخ بين ما تفرضهُ وضعيتها الإبداعية بالذات الآخر. من هنا اتخذتْ هذه الوضعية الأمازونية عنوانًا لهذه القراءة النقدية؛ فهي وضعية تراجيدية يصطرعُ فيها التكوين الأنثوي مع نقيضه، وتعاني فيها الأنثى من ميلها إلى الرجل، واضطرارها إلى محاربته والاستقلال عنه، في الوقت ذاته -بما يُشبه في افتراضي- وضعية التأزم النفسي والإنساني التي تعاني منها المرأةُ العربية عامة والمبدعة العربية خاصة، حيثُ تكابد هذا الصراع وهذه المفارقات بين ميلها إلى الرجل حبيبًا، زوجًا، صديقًا -إلى آخر ذلك- وتضطر إلى مواجهة القهر والاستبداد الذكوري المُهدد لكينونتها وتفرُدها.

لا تزالُ المرأةُ، في افتراضي، تعاني من التناقض والاضطراب خاصة في المجتمع العربيّ على صعيد وضعيتها الاجتماعية والإنسانية والفكرية، لا تزال تواجهُ من قطاع عريض في المجتمع العربيّ باعتبارها كيانًا إنسانيًا ناقصًا لا يكتملُ إلا بالتبعيّة للرجل، و لاتزال، في الافتراضي، في صراع من أجل الدفاع عن هويّتها. ولعل الناقدة الأدبية والمعنيّة بالنسوية جوليا كريستيفا قد لخّصت هذا الأمر في إشارتها إلى أنّ "المسألة النسوية قد شهدت تطورا في القرن العشرين مع مراحل عدة، أولها: حول هوية النساء مع الرجال، والمرحلة الثانية كانت حول هوية النساء ضد الرجال، بينما شهدت المرحلة الثالثة شكًا حول مسألة الهوية برمّتها" (1).

وإنّ وضعية المرأة المُبدعة أكثرُ تعقيدًا وتأزّمًا؛ فهي -فضلًا عن طبيعتها الأنثوية الفيّاضة بالعاطفة والنشاط النفسي- تمتازُ بسمات الشخصية المبدعة، وما تقتضيه من حساسية ورهافة، ونفاذ روح؛ فهي كيانٌ ثائرٌ على الفكر والشعور؛ ومن هنا تكابدُ أعمقَ مذاقات الاغتراب والتصدع؛ الناتج من التناقض الصارخ بين ما تفرضهُ وضعيتها الإبداعية من قيمة وتقدير وإكبار، وما تلقاه على صعيد الواقع من إهمال، أو إنكار، أو قهر، وإقلال من الشأن. إنّ هذه الوضعية المتأزمة للمرأة الكاتبة -فضلًا عن الوضعية المتأزمة للمرأة عامة- اقتضتْ كثيرًا من السمات الشخصانية في الكتابة النسائية، وهي شخصانيةٌ حتمية، على صعيد المضمون والرؤى، وبعض سمات التشكيل الجمالي؛ ومن ثمّ اتفقَ مع هيلين سيكسو في أنّ الإبداع النسويّ "يحدثُ في مناطق غير تلك التابعة للهيمنة في النظرية الفلسفية. فهي لا تريدُ أن تدخل...، خارج المطلق النظري لتتشكل الكتابة النسوية، وبالتحديد تتشكل في الثغرات التي لا تُسلط عليها الأضواءُ من قبل البنية الفكرية الأبوية. بمعنى آخر هذه الثغرات موجودةٌ بالفعل وكائنةٌ، لكنه غيرُ معترف بها" (2).

بهذا المفهوم نذهبُ إلى أنّ مصطلح "الإبداع النُسْوِيّ" أدقُ في التعبير من "الإبداع النسائيّ"؛ فالأول "هو النصّ الذي يأخذ المرأة كذات في اعتباره، وهو النصّ القادرُ على تحويل الرؤية المعرفية والأنطولوجية للمرأة إلى علاقات نصيّة، وهو النصّ المهمومُ بالأنوثي المسكوت عنه، الأنثوي الذي يُشكل وجودُه خلخلة للثقافة المهيمنة، وهو الأنثوي الكامنُ في فجوات هذه الثقافة ، وأخيرا هو الأنثوي الذي يشغل الهامش". ■د. شيرين، كتاب نسائي أم نسوي■ (3).

وقد ارتضيتُ في هذه الدراسة أنْ أطرح مقاربة نقدية حول بعض نماذج من السيرة الذاتية النسوية؛ لأنّ السيرة الذاتية نصٌ مُعلن يضمرُ آخر غيرَ مرئيٍّ؛ فالمُعلن هو الوقائع التي عاشتها المرأة المُسارِدة، أمّا المُضمرُ فهو الوقائع الحُلمية أو الواقعُ المُرتجى الذي ظلّ حلمًا غيرَ مُتحقّقٍ لهذه الذات. نحنُ في السيرة الذاتية بين نصٍ ظاهرٍ، وآخر مراوغ إشاري، وأمامَ محاولةٍ إبداعية لإعادة بناء الذات كما ذهب شاري بنستوك في تعريف هذا النمط الإبداعي؛ فهي ترتكزُ على بروز الذاتية؛ بما يجعلها النمط الإبداعي الأكثر قدرةً في إبراز مواجهة الذات الأنثوية المبدعة للآخر، وإدانة الوقائع والأغيار المُستلبة؛ وبذلك تتقصى السيرة الذاتية للخوف التاريخي المسكون في ذاكرة المرأة من التعبير عن الذات، تتقصى لذلك الركام من الاختباء والمواربة والتورية، والتقنّع والتبرؤ من نسبة كتابتها إليها كما تقول جين أتومبكينس (4).

تخيّرتُ في هذه المقاربة النقدية نماذج من السيرة الذاتية النسوية لكل من الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان، الكاتبة والمُفكرة نوال السعداوي، الأديبة والمفكرة عائشة عبدالرحمن، فضلًا عن وفرة قصيرة مع الأديبة اللبنانية منى زيادة.

تُوشك إشكاليةُ "تأزُم وضعية الذات الأنثوية" أن تكون الإشكالية التي تتسيّدُ موضوعات هذه النماذج من السيرة الذاتية، وتطرحُ باعتبارها مؤشرًا على تخلف المجتمع العربي وتأزمه الفكري والإنساني، ودليلًا على تأخره في سلّم الإنسانية، وتعمدُ بعض الأديبات إلى إرجاع قهر المرأة إلى عهد سحيق من عمر الزمان؛ فتاريخ المرأة في رأي مي زيادة "تاريخ استشهاد طويل؛ فهي عبر العصور المختلفة ليست إلا حيوانًا لذة ومتاع السيّد، وطفلة لاهية للعبث" (5). ورغم هذا فإنّ خطاب

الأنثوية وسلطة الكتابة

القدرة على النفور من التاريخ

علي حسن الفواز
شاعر وناقد من العراق

❏ حين تم اكتشاف الكتابة، كانت السلطة قد احتازت أدواتها ووسائطها بيد الرجل، فكان هو المُدوّن والمؤرخ والعرّاف والملك ونصف الإله، واكتفت المرأة منذ المرحلة الزراعية/ مرحلة التوطين بنوع من خصخصة الوظائف الجنسوية، وصار الرجل -تبعا للسلطة- محفوفا بالأساطير والأسفار والبطولات، وظلت المرأة هي كائن الانتظار والقربان/ بينلوب مثلا.

وحتى المراحل التي مارست فيها المرأة السلطة/الحاكمية لم تخرج من مهيمنة النسق المضمر، نسق الجماعة العسكرية، أو الجماعة الدينية، ونسق المؤسسة الزوجية، وحتى النسق العُصابي للقرابة والمقدس على طريقة الملكة زنوبيا والملكة المصرية كليوباترا، أو شجرة الدر والملكة بلقيس في الموروث الشرقي ظل استثنائيا، وفيه من المثيولوجيا أكثر مما فيه من الواقع، واللائي وقعن في النهاية تحت غزو أو قتل أو مهيمنة الرجل/ الذكر/السلطة. ربما كانت كانت (طفرة شهرزاد) هي الشفرة الأكثر تمثلا لقوة الأنوثة المُفكرة/ الحكواتية مقابل هشاشة النسق المهيمن للذكورة التي تمثلها السلطة العنفية لشهريار.

العلاقة ما بين سلطة الحكي وسلطة الجسد ومؤسسة الحاكمية أعطت لفاعلية الخطاب حضورا للكلام على حساب الإيروس، وللحضور على حساب الغياب، والحياة على حساب الموت، وتلك معادلة كان يفرض وجودها العقل المهيمن، عقل السلطة والذكورة الذي يعيش ثأرية عقدة الخيانة والرغبة، والتي تقود بالمقابل إلى تحفيز القراءة الثقافية للكشف عن أن العطب الجنسي للملك شهريار، هو مقابل رمزي وتعبيري للعطب السياسي.

حركات التجديد والتنوير والإصلاح لم تخرج تماما من نسق تاريخ تلك السلطة، بما فيها سلطة المجال/القصر/القلعة/ الحريم/ التعليم والحاكمية، فكان الإصلاح يتموضع داخل المنظومة الدينية أكثر منه داخل المنظومة الحقوقية، وصولا إلى بداية القرن العشرين الذي يُعدّ العتبة النشوئية لموضوعات تحرير المرأة، والذي كان جزءا من تحولات اجتماعية وسياسية ونهضوية مهمة، حيث بدت تمثلاتها عبر حراك ثقافي وسياسي وحقوقي انخرطت فيها جماعات ثقافية وحقوقية مدنية ونقابات وأحزاب في أوروبا، لا سيما على مستوى قوانين العمل والأحوال المدنية، وليست الأحوال السياسية.

ولعل صدور كتاب قاسم أمين عن تحرير المرأة يُعدّ استشرافا شجاعا لأفق هذه التحولات، ولما حملته من مضامين إنسانية حول حرية المرأة لمواجهة قوى تقليدية لها سطوة رمزية لسلطة التابو والأب، ولها أيضا مرجعياتها النصوصية التي زخرت كثيرا بالأحكام والتأويل والفرضيات القامعة لأيّ شكل حقيقي وحرّ للمرأة على مستوى التنظيم والاستقلالية، وكذلك على مستوى الحصول على الحقوق المتساوية في العمل والأجور والضمان الاجتماعي والصحي والجنسي.

لقد ظلت ثنائيات العقل والحرية، والعقل والجسد، والعقل والأيديولوجيا، والعقل والنقل مجالات إشكالية، لم تتقعّد مفاهيمها ولا أطروحاتها، وأن تمثلاتها في الكتابة الأدبية ظلت أكثر إرهاصا بفكرة (النص المضطهد) النص المسكون بالإثم والخيانة -أنا كارنينا، مدام بوفاري- أو المسكون بالقوة الأخلاقية -الأم لمكسيم غوركي- أو بالرغبة المتعالية كما في رواية "المثقفون" لسيمون دي بوفوار.

مفهوم الاختلاف في الكتابة لا يعني البحث عن جنس كتابي محدد، ولا عن توصيف يسبغ على الكتّابة الأنثوية سمات، ويُعطي لها ملامح، بقدر ما أن الأمر ينحصر بالقدرة على النفور من التاريخ، التاريخ هنا بوصفه سلطة، أو عادات أو طقوس أو مركزيات أو علاقات، والذي اقترح للأدب النسوي بوصفه الجندري تموضعا داخل فضاء الأنوثة بوصفها الجنسوي المكتسب من السياق الاجتماعي، وربما هو هذا ما دفع البعض من كاتباتنا إلى استعارة صوت الرجل وسلطته وقناعه الفحولي -المُكتسب اجتماعيا أيضا- لممارسة التعويض الرمزي والتعبيري، وبما يجعل الصوت الفحولي في النص وفي اللاوعي نوعا من الاستمناء الإيهامي، والشفرة التي تدفع لتحليل العلاقة ما بين الذات والجنسي والمقدس، وللقبول بها داخل كتابة النص، إذ تكون الكتابة تعبيرا عن الذات، وللاعتراف بمتعتها، وبتكيفها مع الاجتماعي، فضلا عن وظيفتها الثقافية في استكناه الحمولات السيميولوجية والسيسيولوجية، وفي خرق الواقع، وإعطاء جرعات تعبيرية لخطاب الرغبة من خلال الصورة والإعلان والمشاركة والعمل وغيرها.

بعد مئة عام أو أكثر من صدور كتاب قاسم أمين عن خطاب تحرير المرأة يثار أكثر من سؤال حول هذا التحرر بوصفه وعيا بالحرية وبشروطها الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فما هي طبيعة العلاقة ما بين الحرية والجسد؟ وهل يمكن ممارسة الإفصاح عن الهوية (الأنثوية) خارج الجسد، وضمن مفهوم الذات الإنساني والرغبوي/التواصلي والإيمائي؟

هذه الحرية، وفي سياق هذه الأسئلة ستكون تعبيرا عن أيديولوجيا، وعن تمثلات تمنح الجسد قوته، وعن موضوع، وتُسكنه في اللغة بوصفه نصا أو جوهرا أو دافعا يُغني اللذة والتواصل والحرية بشحنات تجعله وجودا أو موضوعا.

الثورة الرقمية وصناعة المختلف

الثورة الرقمية كرست ما سمّاه د محسن بوعزيزي بمعالجات "السيميولوجيا الاجتماعية" إذ أسهمت في كسر النمط، وفي تغيير أطروحات التواصل والسيطرة والمراقبة، وصنعت للكتابة أنظمة سيميولوجية مغايرة، عبر العلاقات والروابط، وعبر استهداف النسق المهين الحاكم للعلاقة الواقعية والمفاهيمية، تلك التي أعطت مجالا للتسمية، وللاعتراف، ولاقتفاء أثر العلامة داخل الاجتماعي والرمزي، وصولا إلى فرضها في النظام التعليمي عند عدد من الجماعات التنويرية، ورغم أن الجماعات الأصولية، لا سيما بعد أحداث "الربيع العربي" حاولت إعادة فرض خطاب السلطة والمجال والحكم، إلّا أن ما أُنتهك من أنظمة تعبيرية ظل يحمل معه حافزا، حتى وإن كان مُضمَرا، إلّا أنه سيظل باعثا على كتابة نص اجتماعي وحقوقي مغاير، يمكن أن تكون له سطوته في الشارع والتظاهر والاحتجاج في القانون وفي النضال المدني، وفي الكتابة المفتوحة أيضا عبر وسائل التواصل الاجتماعي بوصفها جزءا من معطيات الثورة الرقمية.

لقد أسهمت هذه الثورة في توسيع مديات الحديث عن تحرير المرأة، من خلال تحرير المجال والمحبس والقلعة عبر المكان الافتراضي والرجل الافتراضي، وعبر اصطناع المجال المضاد للاعتراف والإنتاج والتسويق والاستهلاك، لكنها أثارت بالمقابل جدلاً أعادنا إلى ثنائية الجندري والجنسي، إذ كرس النظام الرقمي خصوصيات غير نمطية، يتمثلها التخارج عن النظام الاجتماعي، وتساكنها رغبات مشحونة بطاقة التفجّر، تلك التي قال عنها روجي دادون "بالرغبة يتملص الجسد من تصرفاته الآلية ويجعلنا نتذكر بقوة، بالرغبة يتحين الجسد، يهتز، ويدرك نفسه باعتباره نبضا حيا، بها يجعل نفسه حاضرا ثقيلا رشيقا متوسلا أو آمرا". (روجيه دادون : الرغبة والجسد، ترجمة محمد أسليم مجلة "علامات" العدد الرابع 1995).

فعل الرغبة يقود أيضا لاصطناع مملكة غير منضبطة للعلامات، تلك التي تستعير كثيرا من قاموس فرويد في اللاوعي ومن رولان بارت في السيميولوجيا لتكون ضد "الدوغما" و"المقدس" رغم أن الكثير من هذه الاشتغالات تظل متلبّسة به، وبعلاماته القامعة.. فهل استطاع الجندري الأنثوي في النظام الرقمي أن يتحول إلى سلطة؟ أم هل تحول هذا النظام إلى مجال تعبيري مقطوع عن النسق الاجتماعي والحقوقي؟ مقابل ما ظل الجنسي مكتفيا بطاقته البايولوجية التوليدية لتكريس الصورة المثالية لحواء الأسطورية وليست حواء الأرضية.

مثل هكذا أسئلة يمكن أن تكونّ عتبة نظرية وإجرائية لمقاربات معرفية حول مفهوم أنسوية الأنوثة، وحول طبيعة السلطة التي تظل رهانا معقدا على أدلجة هذه الأنسوي، وعلى أيّ معالجة إشكالية لاستيهامات التملك والحرية، وعلى صياغة عقد اجتماعي آخر للعلاقة بين "الأنوثة والذكورة" وبعيدا عن رهابات الهجر.

من الصعب جدا وضع معيار لفحص هذه المعطيات، ومفارقاتها، فالكثير من الكتب تحدثت عن الخلط المفاهيمي للذكورة والرجولة والفحولة والأنوثة والنسوية، حدّ أن أطروحات ما بعد الحداثة واشتغالات النقد الثقافي وضعت مجالا نظريا لما يسمى بـ"النقد النسوي" والذي يرهن قراءاته للخطاب بجملة من العلامات والمؤشرات التي ينخرط فيها النص وسردياته وشعرياته وصولا إلى شرعنة وجود قاموس نقدي لهذا المعطى، لكن الطبيعة الإجرائية لذلك تظل محصورة في علاقة السياق الثقافي بالسلطة وبنظام علاماتها، وفي مجال علاقة التحليل النقدي بمرجعيات تكشف عن المقموع والمسكوت عنه في أنساقنا المضمرة، فضلا عن إبراز علاقة هذا النقد بالأدب والجسد بشكل خاص، لا سيما على مستوى السرديات، تلك التي اشتغلت عليها معالجات نقدية وثقافية كثيرة، لكن أبرزها ما يتعالق بالأطروحات المعاصرة لجوليا كرستيفا ولوس إيريغاري، وضمن مجال التعبير عن "النص المُضطهَد" النص الذي ظل متذبذبا بين ثنائيتي الجسد والوعي.

* لوحة: تانيا الكيالي

صورة المرأة العربية

ماهر عبدالمحسن
كاتب وباحث مصري

❏ يشهد التاريخ الإنساني بأنّ المرأة، في الكثير من مراحل هذا التاريخ، قد تعرّضت لظلم بيّن من قبل الرجل الذي دأب على حصرها في دائرة ضيقة لا تتجاوز تبعيتها ومن ثم خدمتها له.

* لوحة: رندة حجازي

كما يشهد أيضاً هذا التاريخ قيام بعض الرجال بالسباحة ضد هذا التيار الجارف، ومحاولتهم الدفاع عن المرأة وردّ، ولو جزء يسير من حقوقها المهدرة كي تتمكن من مواصلة دورها الحضاري الذي تم طمسه بفعل فاعل لا قلب له ولا رحمة.

في هذا الصدد يورد قاسم أمين عدداً من آراء المفكرين الغربيين الذين انتصروا للمرأة في كتابه "المرأة الجديدة" على النحو التالي: قال سيملس "للمرأة في تهذيب النوع الإنساني أكثر ممّا لأيّ أستاذ فيه، وعندي منزلة الرجل في النوع منزلة المخ من البدن ومنزلة المرأة منه منزلة القلب"، وقال شيلر "كلما وجد رجل وصل بعمله إلى غايات المجد وجدت بجانبه امرأة محبوبة"، وقال روسو "يكون الرجال كما تريد النساء، فإذا أرادت أن تجعل الرجل من ذوي الهمة والفضيلة فعلّم النساء الهمة والفضيلة"، وقال فنلون "إن الواجبات التي تطالب بها النساء هي أساس الحياة الإنسانية..."، وقال لامارتين "إذا قرأت المرأة كتاباً فكأنما قرأ زوجها وأولادها؟". (قاسم أمين، المرأة الجديدة، القاهرة: مطبعة الشعب، 1911، ص ص123 124–).

وإذا كان جون ستيوارت ميل هو أول من قدم دراسة تنتصر لحرية المرأة وتتجاوز مجرد الآراء المتشذرة التي يوردها الفلاسفة هنا أو هناك، ربما لحفظ ماء الفكر في زمن لم يعد من اللائق به التفكير ضد الحريات عموماً وحرية المرأة بنحو خاص، فإن أبرز المحاولات العربية في هذا السياق إنما قد جاءت على يدي المفكر ورجل القانون قاسم أمين في بداية القرن الماضي من خلال كتابيه الشهيرين "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة"، واللذين يؤرخ بهما لبداية عصر جديد للمرأة يفصلها عن تاريخ طويل من العبودية سادت فيه النزعة الذكورية في كل مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية. كما جاءت المحاولة الأكثر معاصرة في بداية الألفية الثانية على يدي المفكر العربي إمام عبدالفتاح إمام من خلال مشروع فلسفي يضم أربعة كتب حتى الآن هي على الترتيب: "أفلاطون والمرأة" و"أرسطو والمرأة" و"الفيلسوف المسيحي والمرأة" و"نساء فلاسفة". (وقد وعد في نهاية كتابه "نساء فلاسفة" بتقديم كتاب يتضمن نساء فلاسفة من العصر الحديث).

هذا بالإضافة إلى آرائه حول المرأة التي أوردها في عدد من المقالات ضمن مقالات أخرى تم جمعها في كتاب "أفكار ومواقف".

والسؤال الذي يفرض نفسه، لماذا أقدم إمام عبدالفتاح على تقديم هذا المشروع بعد مرور قرن من الزمان على كتابي قاسم أمين؟

الإجابة لا تخرج عن أحد احتمالين: إما أن إمام عبدالفتاح قد رأى أن المرأة العربية لم تزل تعاني من إهدار لحقوقها وكبت لحرياتها رغم مرور هذه السنين الطويلة. وإما أنه وجد في محاولة قاسم أمين قصوراً ما، فعمل على استكمال هذا القصور حتى يكتمل بذلك المشروع الفكري العربي، الملقى على عاتقه مهمة تحرير المرأة العربية، خاصة في ظل المستجدات التي طرأت على الساحة ولم تكن موجودة في عصر قاسم أمين.

وعلى أيّ الأحوال لا يحاول هذا البحث القصير أن يجيب على هذا التساؤل، وإنما يحاول أن يبرز الكيفية التي عالج بها كل من قاسم أمين وإمام عبدالفتاح إشكاليات المرأة في المجتمع، فهو بحث فلسفي في المقام الأول يعنى بالمناهج والنظريات أكثر مما يعنى بالمضامين التي تحملها هذه المناهج وتلك النظريات. كما أنه يترك للقارئ مساحة للتفسير والتأويل، ومن ثم صياغة الإجابة التي يراها.

قد تتقارب الغايات وتتشابه الوسائل، لكن النظرة المدققة تكشف لنا عن اختلافات جذرية بين ما قدمه قاسم أمين وإمام عبدالفتاح في مقاربتهما لموضوع المرأة.

وإذا عدنا إلى المقدمات التي وضعها المفكران لمؤلفاتهما لأمكننا أن نضع أيدينا على قدر معقول من هذه الاختلافات. فقاسم أمين يحدد هدفه من كتابه "تحرير المرأة" بأنه هدف إصلاح اجتماعي، فيقول "إني أدعو كل محب للحقيقة أن يبحث معي في حالة النساء المصريات، وأنا على يقين من أن يصل وحدة إلى النتيجة التي وصلت إليها، وهي ضرورة الإصلاح فيها" (قاسم أمين، تحرير المرأة، القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012، ص9).

ويأتي هذا الإصلاح ضمن حاجة إلى إصلاح أشمل ينال الأمة بأسرها "لا أظن أنه يوجد واحد من المصريين المتعلمين يشك في أن أمته في احتياج شديد إلى إصلاح شأنها" (المرجع السابق، ص8).

ويحدثنا قاسم أمين في أكثر من موضع عن حاجة الأمة للإصلاح والوسائل المؤدية إليه، وكيف أنها شعور داخلي يدفع الإنسان إلى التعبير عن كل فكرة تطرأ على ذهنه لتخرج إلى النور وتسهم في تقدم الأمة.

> لماذا أقدم إمام عبدالفتاح على تقديم هذا المشروع بعد مرور قرن من الزمان على كتابي قاسم أمين؟ الإجابة لا تخرج عن أحد احتمالين: إما أن إمام عبدالفتاح قد رأى أن المرأة العربية لم تزل تعاني من إهدار لحقوقها وكبت لحرياتها رغم مرور هذه السنين الطويلة

رواية الخيانة والغدر والجنون.. والحب أيضا

ترجمة عربية لرائعة البرتغالي جونسالو إم. تافاريس «أورشليم»

هيثم حسين
كاتب من سوريا

❏ يوحي الروائي البرتغالي جونسالو إم. تافاريس في روايته "أورشليم" بأن الدماء تكون شرارة الإيذان بفتح الأبواب المغلقة، وكأنه لا يمكن الدخول إلا بعد اقتراف ذنب، والاعتراف به، ومن ثم طلب العفو والمغفرة عليه، وكيف أن العنف يشوّه المرء من داخله، وإن كان بطريقة غير مباشرة، أو لم يكن فعلاً مقصوداً ومخططاً له، ووضعه نهاية حياة مأساوية وفتحه الأبواب على حياة يسودها التخبط والضياع وتأنيب الضمير والجنون.

يقارب تافاريس في روايته "أورشليم" (منشورات مصر العربية للنشر والتوزيع بترجمة أحمد صلاح الدين ومحمد عامر 2016) مفاهيم الخير والشر، التطهر والتشوه، الغدر والحب والخيانة، الثأر والجنون، التاريخ والمستقبل، العنف والوحشية والتطرف وغير ذلك من القضايا الإنسانية التي ترسم صورة حياة المرء في عالمه المحيط به.

> يذكر الراوي أن الخطر يطرح الأسئلة ويستجدي إجابات فورية، ينقل ما يعترك في تفكير بطلته ميليا وحاجتها لسؤال يدفعها نحو الوصول لجواب شاف ومرض. دفعها الألم الجديد للتأمل، ثمة خوف لا يمكن تفسيره. الألم الذي جاء بفعل الجوع صار أقوى فعلياً من الألم الآخر. ألم مرضها المزمن، أصل مخاوفها، الكبيرة والصغيرة

يستهل تافاريس روايته بمشهد إرنست سبنجلر القابع وحيداً في غرفته وهو يستعد لإلقاء نفسه من النافذة المفتوحة، وكيف ينتشله رنين الهاتف من وساوسه الجنونية، يأتيه صوت ميليا التي تتألم وتستغيث به، ميليا التي كانت قد خضعت لعدة عمليات جراحية أثناء بقائها في المصحة العقلية وبعد خروجها منها.

يستحضر الراوي جملة من التوراة تقول "إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني"، وقياساً عليها تقول بطلة الرواية ميليا مخاطبة الطبيب جورج مدير المصحة العقلية الذي أمر باستئصال رحمها وساهم في مضاعفة عذاباتها أثناء مكوثها في مصحته، "إن نسيتك يا جورج روزنبرج تنسى يميني". يكون الارتباط بالذاكرة والتذكر والبحث عن الانتقام وإرواء الغليل ولو من خلال الإيذاء بأشخاص أبرياء في طريق الوصول للهدف الذي يغيب في ضباب الزمن.

تخرج ميليا بحثاً عن كنيسة، بحثاً عن سكينة وسلام وهدوء، تختبر الحياة عبر الألم، هناك ألم الروح وألم النفس وألم الجسد، تعيش صراعات ضارية في واقعها وفي أعماقها. تؤكد على أن المرض يغيّر الإنسان، وأن مرضها المديد غيّرها كثيراً، جعلها ترى واقعها ونفسها بعيون مختلفة، جعلها تدرك أموراً كانت غائبة عنها، أو لم تكن لتوليها أي اعتبار أو اهتمام.

تقع فريسة الأذى الذي يطالها من كل التفاصيل التي تغرقها في واقعها، ومن معظم المحيطين بها، تصل إلى مرحلة تناجي بها الأشياء والموجودات، ترتحل في أفكارها التي تنسيها آلامها وتبقيها متأهّبة للقاء من تحب بعيداً عن اليأس، تراها تصل لمرحلة تخاطب فيها حذاءها، تقول لنفسها إنه يجب على الأحذية أن تلزم الطاعة دون أسئلة، وتشير إلى أنه يمكن تقسيم كل الأشياء إلى صنفين، أشياء تتحرّك بإرادتها وأخرى تسمع وتطيع، وكذلك البشر، وترى الحذاء مثالاً حيّاً للطاعة المطلقة وتراه مثيراً للاشمئزاز، وترى خضوع العالم المادي للبشر أمراً مقززاً.

يذكر الراوي أن الخطر يطرح الأسئلة ويستجدي إجابات فورية، ينقل ما يعترك في تفكير بطلته ميليا وحاجتها لسؤال يدفعها نحو الوصول لجواب شاف ومُرْض. دفعها الألم الجديد للتأمل، ثمة خوفٌ لا يمكن تفسيره. الألم الذي جاء بفعل الجوع صار أقوى فعلياً من الألم الآخر. ألم مرضها المزمن، أصل مخاوفها، الكبيرة والصغيرة. تتساءل ميليا في نفسها كيف لألم نتج عن الحاجة للأكل أن يكون أكثر إيلاماً من ألمها المعتاد. تشعر بألم الجوع وألم المرض، تؤكد لنفسها أن الألم دليل الحياة، وأنها حين تشعر بالجوع فإن جسدها يقاوم ويصمد ويرنو للحياة ويسعى لئلا يرضخ لنداء الموت.

الطبيب ثيودور باسبيك الذي يتطلع بداية لمعالجة ميليا من دائها العضال، يستمع إليها وهي تحكي عن مرضها، وتصف نفسها بأنها مريضة بالفصام، ويصعب علاجها، يتعاطف معها بشدة، ينجذب إليها، يقع في حبها، يتورط في علاقة غريبة مع مريضته التي تصبح زوجته لاحقاً، ويقرر خوض غمار المشقات من أجل البقاء معها ومحاولة علاجها.

يصل باسبيك إلى طريق مسدودة معها، يضطرّ لوضعها في مصحة عقلية، وهناك تقع حادثة لم تخطر له على بال، تحبل ميليا من إرنست، وذلك بعد مواقعة على مرأى من نزلاء المصحة وعمالها، ثم يكون ثيودور أمام محنة تالية وهي تحمل عبء الطفل القادم من تلك العلاقة بين مجنونين، حيث يأتي الطفل معوقاً، وكأنه صورة الواقع المشوهة نفسها، الصورة التي لا يراد رؤيتها ولا انتشارها وتصديرها.

يدلي الطبيب باسبيك بآراء عن الوحشية التي تغلف سلوكيات كثير من البشر، عن العنف الذي يسود ويدمر في كثير من الحقب والمراحل حتى لكأنّه يغدو عتبة من عتبات الدخول في مراحل زمنية مختلفة، أو تخطي مكان إلى آخر، وكيف أن الحروب تتفشى كالأوبئة بين البشر في مختلف الأزمنة والأمكنة، ولعنة الحياة وسط فوضى الموجودات وفي غمرة الجنون الذي يتحوّل إلى سمة لكثير من العصور والحقب في تاريخ الإنسان.

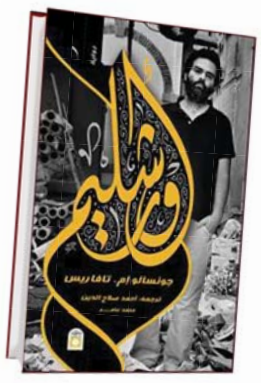

يجسد باسبيك في جانب من شخصيته وممارساته مثال الشخصية المنشطرة، يعيش ازدواجية بين ما يكتب وما يقول ويفعل، يدافع عن مرضاه، يكتب فرضياته وآراءه التي يسبغ عليها لمسات إيمانية وروحانية لا تكون مقبولة كثيراً في الوسط العلمي والأكاديمي، ويكون أمام امتحان الصبر والشقاء في الوقت نفسه حين تورطه مع ميليا، المريضة الزوجة، المجنونة العاشقة لرجل آخر، الهاربة من ظلالها وخيالاتها وكوابيسها إلى عتمتها.

يؤكد باسبيك لنفسه أن على القرن القادم أن يكون أكثر جدية، وإلا سيخسر البشر كل ما وصلوا إليه، إذا واصلوا إضاعة طاقاتهم الإبداعية على ماض لا قيمة له، على عاهرات وشائعات، ويعتقد أنه ستأتي حيوانات أخرى، حذرة وجادة، وتسود. يتصور كذلك أن الاحتياج البسيط للتسلية يمكنه تدمير المدينة. يمضي في بحثه عن أسرار العلاقة بين التاريخ والعنف والوحشية وكيفية رسم مسارات التاريخ وسبر أغواره وتشكل طبقاته.

يلفت إلى أن ميليا اكتسبت مهارة إذلال الرجال في الثامنة عشرة من عمرها، فهمت الخط الفاصل بين الإغواء والإبعاد، وعرفت كيف تتلاعب بهذه المساحة؛ قبضها ومدها، ثم ادعاء عدم وجودها أصلا، لتستعرض قوتها، تستطيع إذلال من تسمح لهم بالتقرب منها، ويكون الطبيب الذي يستجوبها مختلفاً عمّن تعرّفت إليهم، ويقع كلاهما في شراك الآخر وينأسر له.

ميليا التي لم يفتحوا لها باب الكنيسة لتدخل في ساعة من ساعات الفجر، تمكنت من ولوج عتبة الباب في نهاية الرواية، وذلك بعد أن أقرّت بذنب لم تقترفه، واعترفت بأنها قتلت أحدهم، في حين أنها لم تكن القاتلة، وكان الأمر كله حدثا كعبث أطفال في تلك الساعة الباكرة من الفجر، إذ كان المزاح الذي ساد بينها وبين إرنست وهينرك قاتلاً، فهينرك الذي كان يشهر مسدسه كلعبة بين الحين والآخر وضع ذاك المسدس بين يديها ويدي إرنست الجاهل بالسلاح، وخرجت رصاصة طائشة لتقضي عليه وترديه قتيلاً.

كاس؛ الابن غير الشرعي يقضي أيضا في عملية قتل من قبل مجهول، وكأن الدماء تستجرّ بعضها، فهو يقتل في الليلة التي يلتقي فيها والداه الحقيقيان بعد سنوات من البعد والانقطاع الإجباريّ، ثمّ تكون ذروة الأحداث في تقاطع الظروف والمصادفات لتضع نقطة النهاية لأحداث مأساوية متشعبة.

ميليا المحبوسة داخل عنبر فردي في مستشفى الأمراض العقلية المخصص لاحتجاز المرضى العقليين ذوي السوابق الإجرامية، تعيش محنتها على طريقتها، فهي التي حولت نفسها إلى قاتلة ومجرمة، تحملت وزر خطأ آخر هرب من مواجهة ذاته وخطئه وذنبه، وتشعر بتغييبها عن الواقع، أو اختيارها بصيغة ما واقعها الإجرامي الذي تم حبسها فيه.

يكون جسدها ميدان تصارع ألمين يتناهبانها، الألم الشرير كما تسميه وهو ألم المرض، والألم الحميد، ذاك الذي نبع من الحاجة للأكل، ألم يمثّل الحياة، ألم الوجود كما تسميه. جعلها الجوع تشعر بأمان غريب، حيث كان ألم الجوع بمثابة ضمان لها، ووعد على الأقل في ذاك الوقت، تؤكد لنفسها أن آلامها الأخرى لن تغزوها وتقتلها طالما كان ألم الجوع يداهمها بهذه القوة، ومع شعورها بالأمان حاولت أن تبقي عقلها مطالباً بتناول الطعام، وتظن أنه بمجرد زوال هذه الرغبة سيزول معها الألم، ومن ثم سيعود الألم الآخر من جديد، وربما يقتلها.

تافاريس يرى في روايته أن الدم يفتح الأبواب المغلقة بين الأعداء

رف الكتب

هل ثمة هوية ثقافية

❏ فرنسوا جوليان فيلسوف يهتم بتلاقح الأفكار بين أوروبا والصين لصياغة تأمل نظري عن فلسفة الوجود، وعن التبادل الثقافي. في كتابه الأخير، كما يدل عليه عنوانه "لا توجد هوية ثقافية"، ينفي وجود هوية ثقافية خاصة بفئة دون أخرى.

ويعترف بأنه لا يدافع عن هوية ثقافية فرنسية مثلا، لصعوبة تحديدها، بل عن مصادر ثقافية فرنسية وأوروبية، لكونها تنشأ داخل لغة ما كما تنشأ داخل تقليد وبيئة ومناخ ما، وبالتالي فهي ليست ملكا لفئة معينة بل هي طوع أيدي الجميع، وهي إلى ذلك ليست حصرية كما هو الشأن مع القيم، ولا يمكن أن يوصى بإقرارها والثناء عليها. وفي رأي جوليان أن الثقافة لا هوية لها لسبب بسيط وهو أنها لا تنفك تتحول، كاللغات تماما، وعندما تكف ثقافة أو لغة عن التحول تصبح عرضة للموت.

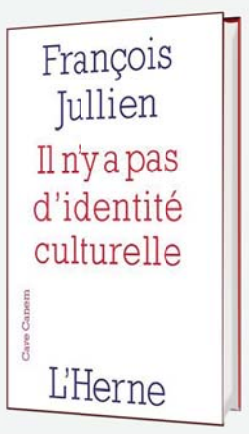

النخب السياسية ومخاطر تعميق القطيعة

❏ "الصدع" هو آخر ما صدر لجيل كيبل الباحث المتخصص في الجماعات الإسلامية، ويضم مقالات إذاعية دأب على بثّها أسبوعيا بين صائفتي 2014 و2015، على أمواج إذاعة فرنسا الثقافية، بيّن فيها كيف أن الجماعات الإرهابية، وتنظيم داعش على وجه الخصوص، تسعى إلى فصل الجاليات المسلمة عن باقي المجتمع الفرنسي، وإذكاء كراهيتها ضده، وتشجيعها على الانتقام منه بشكل أو بآخر. والخطر ليس في هذا الخطاب التحريضي -الذي يراد منه تفرقة المجتمع الفرنسي بإشعال حرب استنزاف أهلية، تضع بروليتاريا أبناء المهاجرين في مواجهة الطبقات المتوسطة- بل في الخطاب الإسلاموفوبي لسياسيين يحاولون كسب الأصوات استعدادا للانتخابات الرئاسية 2017، فيقعون في فخّ الإرهابيين. ومن ثَمّ، يدعو كيبل إلى ضرورة التحلي بروح المسؤولية وتغليب المصلحة العامة على الدوافع الفردية حفاظا على وحدة المجتمع الفرنسي.

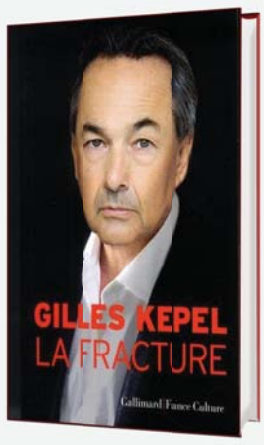

الشاعر والكلمة الصادقة

❏ يواصل الشاعر جيرار ماسي سلسلة تأملاته "أفكار بسيطة". في الجزء الثالث الذي جاء تحت عنوان "كتب بلّلها البحر" يتوقّف عند الكلمة، التي قد ترغب الناس في قائلها أو تنفرهم منه، أيّا ما يكن جنسه ووطنه ونِحلته. لا سيما في هذا العصر الذي التبست فيه الكلمة، وصارت مثارا لسوء فهم وحتى لنزاعات. يستعيد المؤلف ما تستَهَل به الحكايات والخرافات والأساطير من كلمات يطوّعها الخيال لغايات مرسومة، مثلما يستعيد استعمال الكلمات نفسها في سياقات أخرى تؤدي إلى سوء الفهم والاختلاف والنزاع، ليخلص إلى أن الأدب بما له من قدرة على تربية النفوس وإيناسها بسبل الحضارة وفتح نوافذ الحلم أمامها، يمكن أن يوحّد البشر، بشرط أن يتجاوز الكلمة الكاذبة والمخادعة، وفي رأيه أن الشاعر، بشدوه الداخلي، هو وحده القادر على ضبط جروس مألوفة في إيقاع خافت لا يكاد يُسمع، وجعل لغة المعيش اليومي لغة شاعرية متعطشة للمعنى.

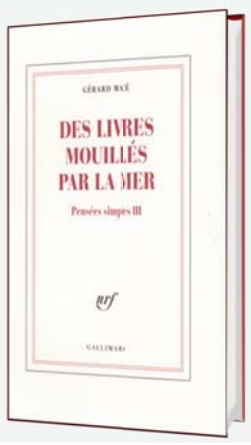

الدوران حول ثنائية الشك والإيمان

«صمت» سكورسيزي الباحث عن اليقين الديني

أمير العمري
ناقد سينمائي من مصر

❏ المخرج الأميركي الشهير مارتن سكورسيزي مشغول منذ أفلامه المبكرة، بسؤال اليقين الديني، بالبحث عن حقيقة الإيمان، وعن مغزى العيش استنادا إلى الجانب الروحاني في حياة الإنسان، ولكنه ظل مع ذلك، يعرض شخصياته المعذبة التي تتقلب بين المتعة والشقاء، لما يمكن أن تحققه من كسب كثير من المال (الحرام) لكنها تبقى رغم ذلك، تعيسة، حزينة، حائرة، تعاني من فراغ روحاني كبير.

سكورسيزي الذي ينحدر من أسرة إيطالية الأصل، كاثوليكية المذهب، معروف بنظرته الأخلاقية إلى كثير ممّا يعاني منه المجتمع الأميركي. إنه على سبيل المثال، يتعاطف في فيلمه "سائق التاكسي" (1976)، مع البطل الفوضوي المتمرد الذي ينطلق بموجب دوافع أخلاقية، بعد أن يعود منكسرا من فيتنام، لكي يشنّ حربه الخاصة على كل من يراهم أسبابا لنشر التدهور السياسي والأخلاقي في نيويورك.

وفي فيلمه الشهير "الإغواء الأخير للمسيح" (1987) يعبّر سكورسيزي عمّا يطلق عليه كازانتزاكي مؤلف "المسيح يصلب من جديد" (التي اقتبس عنها الفيلم)، "أكثر الأفكار إثارة للعذاب والسرور والأسى في آن، أي الصراع بين الروح والجسد، بين المادي والروحاني، صدامهما ثم التقاؤهما".

> سكورسيزي يصور المسيحيين اليابانيين في صبرهم على العذاب في صورة قريبة من صورة المسيحيين الأوائل الذين كانوا يعانون من اضطهاد الرومان، لكن أشكال التعذيب أشد فتكا وتنكيلا

يمكن النظر إلى أفلام سكورسيزي الشهيرة المليئة بالدماء، عن المافيا وعصابات الإجرام مثل "رفاق طيبون" و"عصابات نيويورك"، باعتبارها تجسيدا سينمائيا على نحو ما، لغياب القيم الأخلاقية والروحانية، ونموذجا على انهيار المنظومة (المسيحية) وما أصاب مجتمع الوفرة المادية الصناعية، من تدهور وانحطاط، وجعل القيمة الوحيدة تتمثل في المال (يبرز هذا أيضا في فيلم "لون المال").

لهذا لم يكن غريبا أن يحلم سكورسيزي منذ سنوات بعيدة، بتحويل رواية "صمت" الصادرة عام 1966 للكاتب الياباني الكاثوليكي شوساكو إندو (1923 – 1996) إلى فيلم سينمائي اعتبره مشروع حياته. وهو الفيلم الذي تشهد الشاشات العالمية عروضه حاليا.

عمل ملحمي

يطمح سكورسيزي في هذا الفيلم إلى تقديم عمل ملحمي كلاسيكي يتميز بلقطاته ومناظره البديعة المؤثرة، اللقطات العامة البعيدة، الصورة التي تغرق في بحر من الضباب وسحابات الدخان، السماء الممتدة في الأفق التي تتجمع تحت سقفها السحب البيضاء، المزارع والجبال والكهوف القديمة، البحر الممتد بأمواجه المخيفة، الليل بغموضه ومفاجآته في المشاهد الليلية، النهار القاتم بسحاباته التي تخفي أشعة الشمس، الحركة المحدودة للكاميرا التي لا تستعرض بقدر ما تحاصر الشخصية الرئيسية تراقبها من وراء الأعمدة الخشبية الضخمة التي يتكون منها ذلك الصندوق الكبير الذي تحبس في داخله شخصية الكاهن رودريغيز، النغمة الموسيقية الخافتة التي تتكرر تحت جلد الصورة، تصنع غلافا رقيقا يرتفع بك أحيانا نحو السماء.

السماء هي الصمت. أما الصمت فهو "صمت الرب"، الذي يشهد كل ما ينزل من عذاب أليم، بالمؤمنين بوصاياه وتعاليمه، من المسيحيين المخلصين المتمسكين الرافضين أن يرتدّوا عن إيمانهم وأن يعلنوا توبتهم عن الوقوع في "الإيمان" المسيحي الغريب القادم من خارج التربة اليابانية التي يقال إنها مثل "مستنقع" لا تنبت فيها عقيدة.

يصبر الكاهن الشاب على كل ما ينزل به من ويلات ومصائب، يقاوم بكل الطرق فكرة الشك، ناهيك عن الارتداد عن إيمانه الديني، ونبذ العقيدة كسبيل للنجاة. هناك الأوّلون، أي المسيحيون اليابانيون الذين اعتنقوا المسيحية الكاثوليكية في الماضي، وأصبحوا منذ القرن السابع عشر، يواجهون التعقب والمطاردة والقهر والتنكيل من جانب السلطات الإمبراطورية التي حظرت المسيحية وقاومت كل من يعتنقها، ومارست كل أنواع التنكيل والتعذيب من أجل دفعهم للارتداد والعودة إلى البوذية، ويتردد في الفيلم أن عددهم كان 300 ألف تمت إبادتهم أو إرغامهم على نبذ المسيحية.

يقوم كاهنان برتغاليان هما سباستياو رودريغيز وفرنشيسكو غاروبي، برحلة إلى اليابان غرضها معرفة مصير معلمهما الأكبر، الأب فريرا، الذي ذهب إلى اليابان منذ سنوات لرعاية شؤون الكنيسة الكاثوليكية هناك، لكنه لم يعد قط، وقيل إنه ربما يكون قد ارتد عن المسيحية، وتزوج امرأة يابانية وأنجب منها واندمج مع السكان هناك. هذه الرحلة التي تبدأ في عام 1639 أولا إلى ماكاو ومنها إلى الشاطئ الياباني، تذكرنا في جوهرها دون شك، برحلة البحث عن "كيرتز (تاجر العاج البريطاني في رواية 'قلب الظلام'، أو الكولونيل الأميركي في فيلم 'سفر الرؤية الآن')".

يصبح رودريغيز هو البطل المنفرد للفيلم، ويبدو هنا كمعادل لصورة المسيح، في تحمله العذاب، في صبره ومثابرته واستمراره في طمأنة أتباعه بأن تضحياتهم لن تضيع هباء بل سيجدون المقابل في الجنة، عند الرب الذي ينتظرهم، لكنه رغم ذلك، ينتابه في لحظة ما الشك.. فهو لا يعرف ماذا يفعل، هل يطلب من أتباعه المثابرة والصبر بينما هو يراهم يفقدون حياتهم واحدا وراء آخر، أو يتحملون ما هو أكبر من حجم التحمل البشري، أم يطلب منهم الاستجابة لما يُطلب منهم؟

عذاب الأب فريرا

يسلط سكورسيزي الضوء في المشهد الأول من الفيلم، على ما تعرض له الأب فريرا (يقوم بدوره الممثل الأيرلندي ليام نيسون) في اليابان بعد أن ألقي القبض عليه مع مجموعة من أتباعه المسيحيين اليابانيين، ومورست عليهم أقصى درجات التعذيب والمتمثلة في الحرق بالنار داخل حفر مع نزول المطر الكثيف، وتصاعد الدخان ورائحة شواء الأجسام البشرية، أما فريرا نفسه فقد تم تعليقه من قدميه بحيث يتجه رأسه إلى أسفل، ثم إنزال الرأس داخل حفرة عميقة في الأرض وإغلاق الفتحة بقطعتين من الصلب الحاد من الجانبين بحيث يصبح رأسه محصورا بقوة بين شقي الصلب الذي يشبه السكين، مما يجعله ينزف دما ينساب داخل الحفرة قطرة بعد أخرى، بهدف أن يفقد حياته تدريجيا.

بعد هذا المشهد يختفي الأب فريرا، ولا يظهر مجددا سوى في الربع الأخير من الفيلم عندما يأتي به اليابانيون من القائمين على ما يشبه "محاكم التفتيش"، لكي يحاور الأب سباستياو ويقنعه بالاستجابة لما يطلبونه منه أي الارتداد. فهو قد ارتدّ منذ زمن، تحت وطأة التعذيب. هل كان صادقا، هل أصبح تدريجيا على قناعة بقراره بعد أن عجزت السماء عن توفير الحماية له؟ إنه يخبر سباستياو بأنه بصدد وضع كتاب عن "أخطاء المسيحية".

سباستياو يشهد (مع زميله) كيف يقوم حراس محاكم التفتيش بقمع المسيحيين ومعظمهم من القرويين البؤساء الذين جاء اعتناقهم المسيحية اعتقادا بأنها ستكفل لهم الانعتاق من العبودية وحياة الفقر. عند مرحلة ما بعد تصاعد المخاطر، يقرر الكاهنان الانفصال عن بعضهما البعض والاختباء، لكنهما يقعان في الأسر. وبينما يلقى فرنشيسكو مصيره بالموت غرقا وهو يحاول إنقاذ إحدى الفتيات اللاتي يتم إغراقهن عنوة في البحر بعد أن يجعلونهن يرتدين ما يشبه القفص المقيد للأيدي والأرجل، يصبح سباستياو بمثابة الهدية الأخيرة لقاضي قضاة التفتيش الذي يقوم بدوره الممثل الياباني الكبير "إيساي أوغاتا" (الذي تألق في دور الإمبراطور هيروهيتو في فيلم "الشمس" للمخرج الروسي ألكسندر سوكوروف).

بعد أن يقع سباستياو بين أيدي السلطات اليابانية، تريد أن تجعله مثالا تنكل به إلى أن يعلن توبته علانية أمام أتباعه، لكنه يصبر ويثابر كأنه يريد أن يصبح قديسا، كأنه يبحث عن "الشهادة"، وهي الرؤية المثالية التي يتوقف أمامها سكورسيزي بقدر من التساؤل، لكن سباستياو يتطلع إلى السماء ويتساءل: لماذا لا يتدخل الرب لينقذ الذين يحبونه من العذاب، ولماذا لا يبعث له إشارة بسيطة تكون سبيله للمقاومة. هل هو موجود، يرى ويسمع، أو أنه أغلق أذنيه وآثر أن يترك الأمر له؟

حول العقيدة

يصور سكورسيزي المسيحيين اليابانيين في صبرهم على العذاب في صورة قريبة من صورة المسيحيين الأوائل الذين كانوا يعانون من اضطهاد الرومان، لكن أشكال التعذيب أشد فتكا وتنكيلا ومن بينها الصلب داخل الماء، قطع الرؤوس بالسيف، الحرق بالنار، الدفن في الماء.. وغير ذلك من صور صادمة كثيرة مليئة بالعنف والدماء.

سباستياو كما يقول له القاضي، هو الكاهن المسيحي الأخير الذي لم يعلن توبته عن العقيدة بعد. إنهم يريدون أن يجعلوه مثالا للتراجع عن الإيمان أمام أتباعه من البسطاء اليابانيين. ويدور بين الرجلين حوار حول مسألة العقيدة، يعكس كيف ينظر كل طرف إلى الموضوع. ويصطبغ أداء الممثل أوغاتا، بلمسة مضحكة تشوب أداءه الساخر الذي يعكس الوجه الآخر الهادئ الذي يريد قهر الفكر قبل قتل الجسد. يطلب معاونوه من المسيحيين اليابانيين مطلبا وحيدا هو أن يضعوا أقدامهم على تمثال صغير للمسيح. ومن يرفض يلقى مصيره، أما من يقبل فيطلق سراحه على الفور.

هل سيتمكن سباستياو من الصمود حتى النهاية. عندما يأتون له بالأب فريرا يكتشف أنه انصاع ربما دون أن يتخلى داخليا عن معتقداته، بينما يستنكر فريرا أنانية سباستياو وكيف أنه يريد أن يصبح قديسا على حساب الآخرين. يتجه سباستياو بعد هذه المواجهة إلى الرب، يريد أن يسمع صوته، يأتيه الجواب على لسان الرب، ربما على سبيل الحلم أو الرؤية أو الهلوسة: ضع قدمك فوقي.. افعل.. فهذا لن ينال من إيمانك!

يدّخر لنا سكورسيزي مفاجأة في نهاية فيلمه بعد أن يجعل سباستياو يرتدّ ويتعايش هو والأب فريرا مع اليابانيين الذين يفرضون رقابة مشددة على المرتد لسنوات حتى يتأكدوا من ارتداده، يجعلونه مسؤولا مع معلمه على تفتيش البضائع التي تحملها السفن القادمة إلى اليابان، التي أصبحت تنحصر الآن في السفن الهولندية فقط، يبحثان ويفتشان عن أيّ رمز من الرموز المسيحية قد يكون مخبّئا داخل البضائع والسلع.

أسلوب مختلف

تغيب هنا معالم أسلوب سكورسيزي المألوفة التي عرفناها في أفلامه السابقة، فنحن هنا أمام عمل كلاسيكي شديد الإتقان والصنعة، خاصة من ناحية التصوير المبهر البديع من جانب مدير التصوير المكسيكي رودريغو بريتو (عمل معه في "ذئب وول ستريت")، وتميز الصور بالتكوينات الجميلة للمناظر الطبيعية، مع دقة في الديكورات والأزياء وتصفيفات الشعر والإكسسوارات التي تساهم كلها في تجسيد معالم الفترة.

رغم هذه الدقة والرونق، يعاني الفيلم من الطول المفرط (ساعتان و41 دقيقة) مع كثرة الحوار، وغلبة اللغة الإنكليزية، مع أداء عدد كبير من الممثلين اليابانيين الإنكليزية باللهجة اليابانية، مما شكل صعوبة في استقبال الكثير من عبارات الحوار بسبب خشونة اللهجة. رغم ذلك، يبرع الممثل يوسوكي كوبوزوكا في أداء دور "كيشيجيرو"، وهو شاب هائم على وجهه، غريب الأطوار، كان يعتنق المسيحية لكنه ارتد، ثم أصبح يتودد إلى رودريغيز، لكنه يشي به مقابل 300 قطعة من الفضة، ثم يعود لكي يطلب منه المغفرة وقبول اعترافه بالإثم، نافيا أن يكون قد وشى به من أجل المال، لكنه يرتد مجددا عندما يجد نفسه مطالبا بوطء رمز المسيح بقدمه لكي ينجو من الموت. هذا النموذج يشبه في بعض ملامحه "يهوذا".

إن مشكلة فيلم "صمت" ليس فقط طوله الزمني، ولا صعوبة نطق الإنكليزية اليابانية، بل أساسا أحادية الرؤية وأحادية الشخصية الرئيسية أي شخصية البطل "سباستياو رودريغيز" الذي لا يرقى إلى أن يصبح بطلا تراجيديا، فتشككه ليس فلسفيا يراجع الأفكار الراسخة في العقيدة، بل يعكس حيرته وقت الأزمة، وإصراره على الصمود يبدو مستندا على اليقين بما لا بد أنه سيأتي من أعلى، وهو لا يستجيب للضرورات إلا بعد أن يتلقى الإشارة، فإذا كان الأمر محسوما من البداية فلماذا كل هذه الإطالة والانتظار، مما أفقد الفيلم التركيز وجعل المتفرج يضل عن المسار الرئيسي؟ المشكلة الكامنة في السيناريو من البداية أنه لا ينجح في تطوير القصة أو الشخصية فهي كما تبدأ تنتهي، أضف إلى ذلك عجز الممثل أندرو غارفيلد عن التماهي مع الدور بصورة مقنعة، فظلت انفعالاته أحادية متكررة، ووجهه مكتسيا بالجمود.

المشكلة الأخرى الواضحة في الفيلم، تتعلق بغياب الاهتمام الكافي بالكشف عن الرؤية الأخرى، اليابانية للدين، للموقف من المسيحية، من التبشير وتغيّر عادات السكان، هل كان هذا الموقف الشرس في اجتثاث المسيحية من اليابان ووأدها في مهدها (والقصة بالمناسبة حقيقية) مرتبطا بالخوف من اهتزاز سلطة الإقطاع؟ هل كانت خشية من إحداث ثورة في الوعي العام، أم خوفا من ضياع التقاليد والقيم اليابانية المتأصلة؟

لم يكن الحوار بين قاضي التفتيش ورودريغيز رغم براعته، كافيا لتسليط الضوء على هذا الجانب الذي يتسبب غيابه في الإخلال بالتوازن في الفيلم، فقد بدا أن كل هذا العنف مدفوع بالشر المطلق في مواجهة "الخير المطلق"، أي الانحياز لرب واحد فقط، مع رفض وشطب "بوذا". وبدا اليابانيون أشرارا موغلين في الشر حتى النهاية الدموية، بينما بدا القس الكاثوليكي وأتباعه اليابانيون المسيحيون، هم الطيبون الأبرار، سواء تمسكوا بالعقيدة حتى الموت، أو اضطروا للتظاهر بالارتداد مع الاحتفاظ بالرمز المقدس حتى القبر!

الأب سباستياو يواجه نموذج «يهوذا»

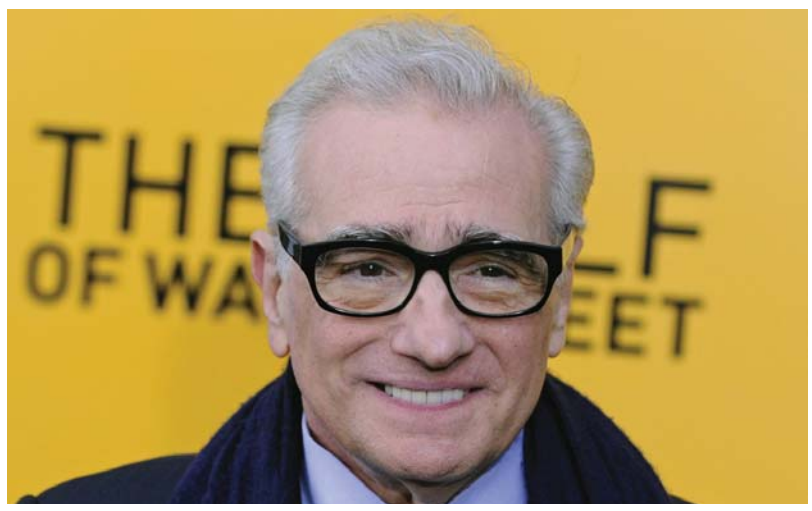

فيلم «صمت» حلم قديم عند مخرجه سكورسيزي

عذاب الكاهن الكاثوليكي اختبار لما يصنعه الألم بالروح

اختيار أنسب الوجهات السياحية يعتمد على أشهر السنة

دليل لونلي بلانت للسفر تحل معضلة اختيار المكان بخارطة سياحية

أصدر موقع دليل السفر الإلكتروني لونلي بلانت كتابا يحدد خارطة بأفضل وأهم الوجهات السياحية وفق مميزات كل شهر من السنة، وذلك بهدف مساعدة السياح والراغبين في السفر خلال عطلهم السنوية على حل معضلة اختيار المكان المناسب للاستجمام وقضاء عطلة جميلة. ويعد هذا الكتاب فرصة لتجنب سفر السياح إلى الأماكن التي يحلمون بزيارتها في أوقات غير مناسبة مما قد يفوت عليهم الاستمتاع بعطلتهم.

❑ **لندن** – قدم موقع دليل السفر الإلكتروني لونلي بلانت كتابا جديدا يحمل عنوان "وار تو غو وان"، بهدف مساعدة السياح على معرفة أفضل الوجهات السياحة على مدار السنة.

ووفقا للصحيفة البريطانية ديلي ميل، فإن لونلي بلانت وضعت في الكتاب روزنامة لأفضل الأماكن السياحة حسب شهور السنة مع صور وجملة من أفكار ونصائح الخبراء، بالإضافة إلى رسوم بيانية تسلط الضوء على المناخ والنقل والتكاليف.

يناير

ينصح موقع لونلي بلانت الراغبين في السفر خلال أول أشهر السنة أن تكون وجهتهم إحدى هذه الأماكن أوغندا وفلوريدا ولانزروت وسويسرا وسيدني وسلوفينيا وولاية كيرالا في الهند، بالإضافة إلى غرينادا وهونشو في اليابان وغواتيمالا وشبه الجزيرة القطبية الشمالية.

وبحسب ما جاء في الكتاب يعد شهر يناير أنسب أشهر السنة لمحبّي الطبيعة، حيث يمكنهم السفر إلى جنوب سيرنجيتي في تنزانيا من أجل التمتع بمشاهدة الآلاف من الحيوانات البرية، أو بغرض استكشاف الشواطئ والمتنزهات الطبيعية في موسم الإزهار الكامل في تسمانيا الأسترالية.

وتشمل نشاطات هذا الشهر أيضا على المهرجان الأدبي "Hay" في كولومبيا، والإبحار عبر ميانمار تحت أشعة الشمس الساطعة، وكذلك تشكيل كرات الشتاء البراقة في فيينا الإيطالية.

فبراير

يوصي الكتاب بزيارة عدد من الأماكن السياحية في شهر فبراير، ومنها إيبيزا وغامبيا وميتشوغان في المكسيك والمحيط الهندي وكمبوديا وسنغافورة وهايتي والبندقية وكيبيك.

ويشجع موقع لونلي بلانت أيضا على السفر إلى أيسلندا ولابلاند وأندورا، حيث تكون الظروف مثالية للتنزه والتزلج وكذلك رؤية الشفق القطبي الشمالي.

ويعد الطقس رائعا في هندوراس خلال هذا الشهر، مما يتيح متعة الغوص للجميع. كما يتم تنظيم موسم كرنفالي في ريو دي جانيرو.

مارس

يقدم شهر مارس للسياح مجموعة من الخيارات، إذ يتسم أول أشهر فصل الربيع بتنوع الوجهات السياحة التي قد يرغب السائح بالتوجه إليها.

ومن بين هذه الوجهات صقلية وقبرص وجنوب أفريقيا وتيرول في النمسا وجزر المالديف وتشيلي وكوستاريكا، وكذلك بانف في كندا وسافانا في الولايات المتحدة وسريلانكا وماليزيا وتريندياد وتوباغو.

ويمكن للمسافرين مراقبة الحيتان الرمادية المهاجرة قبالة ساحل باجا في كاليفورنيا والمكسيك، واكتشاف شير خان القطط الكبيرة في ولاية ماديا براديش في الهند، بالإضافة إلى مشاهدة دب الباندا شيتشوان في الصين.

أبريل

يرى الخبراء بحسب ما جاء في الكتاب أن السفر إلى بنما والفلبين وخليج هوك في نيوزيلندا وجبال الألب وبحيرة ديستريكت وملبورن وبروكسل ونيبال، بالإضافة إلى سانت لوسيا والأندلس في أسبانيا، خلال هذا الشهر من السنة ضرورة ملحة.

ويمكن للمسافرين ذوي الثقافة العالية استكشاف المعالم القديمة في الأردن، حيث يعتبر التخييم في الصحراء رائعا في هذا الوقت من السنة. كما تنتشر الزهور الملونة الرائعة خلال موسم ساكورا (زهر الكرز) في اليابان.

ويعتبر فصل الربيع مثاليا للقيادة على طول الطرق الساحلية في ولاية كاليفورنيا، حيث أشار موقع لونلي بلانت إلى أن معدلات الحرارة تكون رائعة على شواطئ تايلاند خلال احتفالات العام الجديد في البلاد في شهر أبريل.

مايو

مايو شهر مثالي للسفر، حيث يمكن للسياح اختيار كل من برمودا وساموا والمغرب وبيرو وكورنوال والجزيرة الشمالية في نيوزيلندا، وكذلك وادي لوار في فرنسا وبراغ وكوبا وجنوب ناميبيا وساحل أمالفي في إيطاليا، لقضاء عطلة ممتعة.

ويشير الكتاب إلى جمال الطبيعة في الجبل الأسود من خلال وجود الأنهار والبحار والمنحدرات، في حين يعتبر هذا الشهر الوقت المناسب من السنة لزيارة الشواطئ المهجورة في منطقة غاليسيا في أسبانيا.

يونيو

تشمل اقتراحات السفر لشهر يونيو غرينلاند وجامايكا وإيران وسردينيا وكيب كود ولشبونة ومتنزه يوسمايت الوطني وبورا بورا، بالإضافة إلى جبال روكي الكندية وحديقة جنوب وانغوا الوطنية في زامبيا ورواندا. ويمكن للمسافرين التمتع بركوب الخيل في مزارع مونتانا وممارسة الغطس في نينغالو المرجانية في أستراليا، وكذلك مشاهدة السلاحف في جزيرة بورنيو.

ويتيح هذا الشهر إمكانية مشاهدة الانقلاب الصيفي بين المعالم التاريخية في الجزيرة الأسكتلندية، وحضور مهرجان الأوبرا في فيورنا.

يوليو

من الخيارات التي يمكن أن يختار السائح زيارتها زيارة الأماكن التالية: منغوليا وبحر البلطيق وألاسكا واليابان وزنجبار وجبال الهيمالايا وجزر الأزور وأنتيغوا أو الغابة السوداء في ألمانيا.

وينتشر في البرازيل موسم الجفاف خلال هذا الشهر، مما يجعله مثاليا لرؤية مجموعة من الحيوانات الملونة. وينصح باستكشاف جبال الدولوميت، كما يمكن السفر عبر الطريق البري في أيرلندا وزيارة شواطئ الجزر الأيونية.

أغسطس

يوصي خبراء السفر بزيارة أيسلندا وزامبيا ومالاوي وصوفيا في بلغاريا، وكذلك كو ساموي في تايلاند وبرلين ونوفا سكوتيا في كندا والسويد والإكوادور وتركيا وشامبين في فرنسا وبابوا غينيا الجديدة.

ويعد شهر أغسطس شهرا رائعا لاستكشاف المناظر الطبيعية والبلدات المسورة والخلوات الريفية في أومبريا في إيطاليا. كما تستضيف بوينس آيرس مهرجان الفنون في هذا الشهر، ويمكن الذهاب في مغامرة عبر التزلج على الماء في بيميروكشاير في ويلز وركوب الدراجات وتسلق الجبال والسفر برا في جميع أنحاء كيمبرلي في أستراليا.

سبتمبر

يمكن للمسافرين التمتع بعطلة رائعة من خلال السفر عبر طريق الحرير في آسيا الوسطى وزيارة كوستا برافا والتيبت وجورجيا وكوريا الجنوبية وكوتسوولدز وجنوب أفريقيا وبروفانس وأريزونا وفيرمونت وسومطرة وجاوة في أندونيسيا.

وتوجد خيارات أخرى للسفر في شهر سبتمبر، مثل الشواطئ المهجورة في كورسيكا المشمسة، كما يمكن التمتع بتلون الأشجار باللون الأصفر في بكين وزيارة سور الصين العظيم.

ويعتبر هذا الشهر رائعا لزيارة نيوزيلندا والمشي لمسافات طويلة في مونت بلانك، والتمتع برحلات السفاري شمال كينيا واستكشاف وادي موسيل في ألمانيا.

أكتوبر

وفق ما نشر في آخر إصدارات موقع دليل السفر لونلي بلانت فإن خبراء السفر ينصحون السياح الراغبين في الاستفادة من إجازتهم خلال شهر أكتوبر، بزيارة فيجي وسلوفاكيا وليون وبوليفيا وكوستا فيرد في البرازيل ونيو مكسيكو، بالإضافة إلى المرتفعات الأسكتلندية ونيويورك وتايوان.

وتشهد فيتنام خلال هذا الشهر مواسم الرياح الموسمية في كل من فصلي الشتاء والصيف، كما تعتبر الظروف مثالية لاستكشاف خليج هالونغ.

وتوجد وجهات سياحية أخرى رائعة في شهر أكتوبر، مثل دارجيلينغ في الهند وبوتان، بالإضافة إلى سلطنة عمان حيث الطقس الرائع والحضارة العربية القديمة، لا سيما وأن سلطنة عمان تحتل مكانة خاصة مقارنة ببقية دول الخليج، إذ تتميز بحصونها وقلاعها التي تعود للعصور الوسطى وثقافتها البدوية وشواطئها البرية.

نوفمبر

تشمل الأماكن السياحية الجذابة في شهر نوفمبر، نيكاراغوا وجزر كايمان وجبال سايمن في أثيوبيا وكوستاريكا وطوكيو وهونشو، وكذلك جنوب أفريقيا وولاية أوريغون ونيبال ودنيدن في نيوزيلندا وروكا في فنلندا وهونغ كونغ. أما بالنسبة إلى الباحثين عن الطقس المشمس، يمكنهم قضاء العطلة في باربادوس وبورتوريكو وجزر فيرغن البريطانية.

ويعدّ هذا الشهر الوقت المناسب لاستكشاف راجستان والمثلث الذهبي، وهو بارد بما فيه الكفاية لزيارة آثار حضارة المايا في روتا مي في غواتيمالا.

وتعتبر العاصمة الإماراتية أبوظبي الوجهة المثالية لمحبي التحدي والرياضات خلال هذا الشهر، إذ أنها خيار جيد لحضور سباق الفورمولا وان.

ديسمبر

يوصي دليل السفر لونلي بلانت بزيارة سانت فنسنت وجزر غرينادين وساحل الياقوت في أستراليا وجزر أندمان ولاوس والسنغال وسان سيباستيان، بالإضافة إلى ميكرونيزيا وتينيريفي خلال هذا الشهر. ويوجد العديد من الأماكن الجميلة في فصل الشتاء خلال هذا الشهر، حيث يمكن استكشاف المنطقة القطبية الشمالية والسويد وزيارة كندا وبريكنريدج في الولايات المتحدة وسويسرا.

ويمكن التوجه إلى أسكتلندا ونيو أورلينز لإحياء ليلة رأس السنة الميلادية، كما يعد السفر إلى صحراء المغرب أو جنوب باتاغونيا في تشيلي رائعا خلال هذا الشهر.

سباق فيرتكال آب.. التزلج من أسفل إلى أعلى

❑ يعتبر منحدر التزلج في كيتزبوهيل واحدا من أخطر منحدرات التزلج في العالم، وخلال سباق فيرتكال آب يتعين على المتسابقين اجتياز المنحدر في الاتجاه العكسي، فبدلا من الانطلاق على ألواح التزلج إلى أسفل الوادي، يستخدم المتسابقون أحذية التزلج والمسامير وألواح التزلج للوصول إلى أعلى الجبل، لأن عملية التزلج قد تبدو سهلة قبل البدء، إلا أن المرء قد يسقط على الأرض.

❑ يمتد منحدر التزلج لمسافة تزيد على 3.3 كلم ويرتفع إلى 860 مترا وتبلغ نسبة الميل في أكثر المواضع انحدارا حوالي 85 بالمئة، ومع كل هذه الصعوبات يتم اجتياز هذا المنحدر أثناء الليل.

وإلى جانب فئة السرعة، التي يتنافس فيها أفضل المتسابقين، توجد فئة ثانية، ألا وهي فئة حقيبة الظهر.

❑ يشهد سباق فيرتكال آب مشاركة الكثير من المتسابقين من الرجال والنساء لتصل أحيانا إلى 1000 متسابق.

وأكد هارالد زيجلر، الذي يبلغ من العمر 62 عاما، على مدى حبه لمنحدر كيتزبوهيل، وقام بتسجيل نفسه في فئة حقيبة الظهر. وشدد على أنه دائما ما يتجول بهذا المنحدر خلال الصيف قبل تناول الإفطار.

❑ يتم خلال سباق فيرتكال آب صعود المنحدر من أسفل الوادي إلى قمته، وأثناء السير كان يتم الاستناد على عصي التزلج لتجنب السقوط على الأرض.

ومن وقت إلى آخر يتوقف المتسابقون لالتقاط الأنفاس والاستمتاع بمشاهدة النجوم المتلألئة في السماء وإلقاء نظرة على المنازل المضيئة في أسفل الوادي.

إجراء السباق يكون في الليل ولذلك لا بد من استعمال المصابيح.

طيران الإمارات أفضل الشركات في العالم

❑ **برلين** – قدمت مؤسسة مركز تقويم وتسجيل بيانات حوادث الطيران الألمانية قائمة لأفضل شركات الطيران من مجموع 60 شركة طيران في العالم، وذلك بالرجوع إلى بيانات العام الماضي 2016.

ووفق هذه القائمة جاءت شركة طيران الإمارات المملوكة لحكومة إمارة دبي على رأس شركات الطيران الأفضل على مستوى العالم ، وكانت الشركات الخليجية الثلاث وهي الإمارات، القطرية، طيران الاتحاد، التي تمكنت خلال فترة قصيرة من تجميع سمعة عالية على مستوى العالم، ضمن أفضل عشر شركات طيران في العالم. وبحسب تقارير إعلامية، فإن شركة طيران الإمارات احتلت المركز الأول في قائمة العشرة شركات الأفضل على مستوى العالم، أما في المركز الثاني فحلت شركة الخطوط الجوية القطرية، أما طيران الاتحاد التي تتخذ من أبوظبي مقرا له فقد جاءت في المركز السادس على مستوى العالم، لتكون هذه الشركات الخليجية الثلاث قد تفوقت على أكبر وأعرق شركات الطيران في العالم. ولا تعد هذه المرة الأولى التي تمنح فيها طيران الإمارات المركز الأول على مستوى العالم.

متحف مائي بأوروبا يضم أشباحا من التماثيل

❑ **جزيرة لانزاروت (إسبانيا)** – افتتح أول متحف تحت الماء في أوروبا والواقع قبالة ساحل جزيرة لانزاروت الإسبانية، خلال الشهر الحالي.

ويعتبر المتحف الذي أطلق عليه اسم "Museo Atlántico" ثمرة جهود استمرت على مدى عامين من العمل المتواصل، تمكن بفضلها النحات جايسون ديكيريس تايلور من عرض أعماله في أول متحف تفتتحه أوروبا تحت الماء، والذي يمنح الفرصة للزوار بمشاهدة أكثر من 300 عمل فني عند الغوص بعمق يقارب 14 مترا، وصممت التماثيل الموجودة في المتحف لتتحول إلى شعاب مرجانية مع مرور الوقت.

وأوضح النحات جايسون ديكيريس أن الفكرة من إنشاء هذا المتحف تتمثل في صنع لوحات لعالم آخر، وتجدر الإشارة إلى أن ديكيريس سبق وعمل كذلك على نحت تماثيل في حدائق بغرناطة والمكسيك.

وقال النحات جايسون ديكيريس "أريد أن أمدّ الناس بالوحي وأفهم المزيد عن محيطاتنا والتهديدات التي تواجهها".

تصميم الأطفال.. الرعب المستحيل أصبح ممكنا

التكنولوجيا الإنجابية تنتج أجنة تحت الطلب

مع كل تطور جديد في التكنولوجيا الإنجابية يظهر شبح المستقبل المخيف بسبب اكتشاف طريقة تعديل جيني تسمى "كريسبر-كاس 9" ينبئ بتحقق نبوءة رواية "عالم جديد شجاع"، التي نُشرت عام 1932.

اضغط لاختيار لون العينين

❑ **لندن** – تخيلي، تجلسين أنت وشريك حياتك على مقعد داخل عيادة الخصوبة وأمامكما أحد الملفات. يحتوي على قائمة بالأجنّة لكل منهم وصفه الخاص

قد يبدو هذا أحد مشاهد أفلام الخيال العلمي، لكنه ليس كذلك.. بل هو واقع يستلهم تنبؤات عالمي الأحياء جون بوردون ساندرسون هالدين وجوليان هكسلي في عشرينات القرن الماضي حول تطور التكنولوجيا الإنجابية.

وحول هذه التنبؤات كتب الروائي الإنكليزي ألدوس هكسلي، شقيق العالم جوليان هكسلي، روايته "عالم جديد شجاع"، والتي نُشرت عام 1932. وتدور أحداثها في عام 2540، حيث تصف مجتمعاً ينمو سكانه داخل أحواض في عملية تفريخ مركزية غير فردية، ومتدرّجة إلى خمس طبقات مختلفة من الذكاء عن طريق المعالجة الكيميائية للأجنّة.

وتُعتبر الأُسر أمراً غير قانوني. وبدلاً من هذا، يعتني بالأجنّة المُحتَضَنة عمّال.

صارت رواية "عالم جديد شجاع" مرجعاً لجميع النقاشات المتعلقة بتطورات التكنولوجيا الإنجابية، وفق تقرير لصحفية الغارديان البريطانية.

ومع كل تطور جديد يظهر شبح المستقبل المخيف، ففي روايته "لا تدعني أرحل" التي نُشرت عام 2005، وصف الروائي البريطاني كازوو إيشيغيرو أطفالاً يُنجبون ويُربون على أنهم متبرعو أعضاء.

وقد تقترب رؤية إيشيغيرو من التحقق بسبب اكتشاف طريقة تعديل جيني تسمى "كريسبر- كاس 9" وتعني التكرارات العنقودية المتناوبة منتظمة التباعد، وقد طُورت عام 2012، والتي تستخدم الإنزيمات الطبيعية لاستهداف وقص الجينات بدقة محددة.

> التعديل الجيني لا يمكن تجنبه في مستقبلنا، سوف يصبح أحد المواضيع المركزية في مناقشاتنا فيما بعد خلال القرن الحالي والقرن الذي يليه

استُخدمت "كريسبر-كاس 9" بالفعل للتعديل الجيني على الأجنّة البشرية (غير الحية بعد) في الصين، لمعرفة ما إن كان الأمر ممكناً من حيث المبدأ، وكانت النتائج مختلطة. كما مُنحت كاثي نياكات، من معهد فرانسيس كريك بالمملكة المتحدة، رخصة من هيئة الخصوبة البشرية وعلوم الأجنّة في بريطانيا لاستخدام "كريسبر- كاس 9" على الأجنّة التي تبلغ أعمارها أياما قليلة لاستكشاف المزيد عن المشكلة في مراحل التطور المبكرة، والتي يمكن أن تؤدي إلى الإجهاض والمشاكل الإنجابية الأخرى.

لم تقنن معظم البلاد حتى الآن التعديل الجيني في التناسل البشري، لكن البلاد الأخرى التي تسمح به، جميعها منعت تطبيق "كريسبر-كس 9".

وتحظى فكرة استخدام "كريسبر- كاس 9" في التناسل البشري برفض واسع من حيث المبدأ بين أوساط المجتمعات البحثية الطبية. فقد حذر فريق من العلماء بدورية "نيتشر" العلمية منذ أقل من عامين من أن التلاعب الجيني في خلايا البويضات والحيوانات المنوية بطرق مثل "كريسبر- كاس 9"، حتى وإن كانت تركز مبدئياً على تحسين الصحة، فإنها قد تبدأ في الانحراف إلى "التحسين الجيني" للصفات البشرية وليس لتجنب احتمالات الأمراض فقط.

التعديل الجيني، و"كريسبر- كاس 9" كأحد أدواته الجديدة، يواجه العديد من التحديات، أولها التحدي الاقتصادي، إذ يشكل طريقة صعبة ومكلفة وغير أكيدة لتحقيق ما يمكن تحقيقه بالفعل من خلال طرق أخرى.

يقول هنري غريلي، الأستاذ بجامعة ستانفورد في كاليفورنيا "كل شيء تقريباً يمكن إنجازه عن طريق التعديل الجيني، لا يمكن تجنبه في مستقبلنا، وأنا أعتقد أنه سوف يصير أحد المواضيع المركزية في مناقشاتنا الاجتماعية فيما بعد خلال القرن الحالي والقرن الذي يليه". كما حذر من أن هذا قد تصاحبه "أخطاء جسيمة ومشاكل صحية، كما أن الآثار الجانبية الجينية المجهولة لدى القطاعات السكانية والأطفال (المعدلين) بدأت في البرهنة على وجودها بوضوح".

وحول فكرة تصميم أطفال حسب الطلب، يرى غريلي أنه سوف يأتي عبر خيارات الأجنّة، وليس عن طريق التعديل الجيني، إذ أن الأجنّة التي أُنجبت عبر التلقيح الصناعي سوف تُفحص جينياً (عن طريق قراءة جزء من الحمض النووي لها أو كله) ليتمكن الآباء من اختيار الأجنة التي يرغبون في زرعها أملاً في تحقيق الحمل.

وتُجرى الاختبارات، التي تتم في العموم على أجنة تبلغ أعمارها ما بين 3 و5 أيام، في حوالي 5 بالمئة من دورات التلقيح الصناعي في الولايات المتحدة. وفي المملكة المتحدة، تُجرى العملية بترخيص من هيئة الخصوبة البشرية وعلوم الأجنّة في بريطانيا، والتي تسمح بفحص ما يقرب من 2500 مرض بما في ذلك الثلاسيميا والزهايمر المبكر والتليف الكيسي.

وتعرف هذه الطريقة بالتشخيص الجيني قبل الزرع، ويعتقد غريلي أنها ستصبح أكثر شيوعاً، خلال عشرين عاماً، وتعتمد على قطف عدد كبير من بويضات المرأة وكذلك من الحيوانات المنوية للرجل، لإنتاج أكثر من جنين محتمل تتم المفاضلة بينهم عبر الفحص الجيني لكل جنين محتمل.

ويقول غريلي "يعتبر قطف البويضات خطيراً ومزعجاً، كما أنه لا يعطيك البويضات المتعددة التي تريدها، فضلاً عن أن معدل نجاح زراعة الأجنّة مازال يبلغ في المعتاد حالة واحدة لكل ثلاث حالات. لكن ذلك سوف يتغيّر بفضل تطورات ستجعل البويضات البشرية أكثر غزارة ومتاحة بكل سهولة، بالإضافة إلى إمكانية فحص الجينوم (خارطة البيانات الجينية للإنسان) بسرعة وبأسعار رخيصة".

إلا أن استخدام البيانات الجينية في التنبؤ بالشخص الذي سيكون عليه الجنين في المستقبل، قد يصير أكثر تعقيداً بكثير.

فثمة الآلاف من الأمراض الجينية الخبيثة والنادرة في الغالب، التي يمكن عزوها إلى طفرة جينية محددة.

وأكثر الأمراض الشائعة والميول العلاجية -على سبيل المثال، مرض السكري، أو أمراض القلب، أو أنواع معينة من السرطان تتصل بجينات عديدة، والتي لا يمكن التنبؤ بها بأي درجة من اليقين، كما أنها تعتمد على العوامل البيئية مثل الحمية الغذائية.

وعندما يتعلق الأمر بالأشياء الأكثر تعقيداً مثل الشخصية والذكاء، فإننا لا نعرف سوى أقل القليل. حتى وإن كانت قابلة للتوريث بقوة، إذ يقدّر أن حوالي 80 بالمئة من الذكاء، وفقاً لما تم قياسه بمعدلات الذكاء، يكون وراثياً، فإننا لا نعرف الكثير على الإطلاق حول أيّ الجينات ترتبط بسِمة معينة.

وفي أفضل الأحوال، يقول غريلي إن التشخيص الجيني قبل الزرع ربما يخبر أبوين محتملين أشياء مثل "وجود فرصة تصل إلى 60 بالمئة بأن يكون الطفل ضمن النصف الأعلى في التقديرات الدراسية، أو أن هناك فرصة تصل إلى 13 بالمئة أن يكون ضمن الأفضل". ولا يعد ذلك ذا نفع كبير.

حتى السمات "التجميلية" مثل لون الشعر أو العينين، التي قد يستطيع العلم الآن تقديم احتمالات أكثر دقة حولها "قد تكون أكثر تعقيداً مما يعتقد كثير من الناس" بحسب غريلي.

وإن كان الأساس الجيني لصفات مثل الذكاء والذوق الموسيقي موزّعا على عدد كبير من الجينات وغير واضح لدرجة تجعل تحديد الخيارات فيه مستحيلاً عملياً، يقول غريلي "لا أعتقد أننا سنرى رجلاً خارقاً أو انفصالاً في الجنس البشري قريباً؛ لأننا لا نعرف ما يكفي ولا يحتمل أننا سنعرف ما يكفي قبل وقت طويل، أو ربما لن نعرف على الإطلاق".

وإن كان هذا هو كل ما يعنيه "تصميم الأطفال" من حيث المبدأ -وهي ألا يكون مصاباً ببعض الأمراض المحددة لكنها نادرة، ومعرفة بعض الجوانب التافهة المتعلقة بالمظهر لكنها غامضة أيضاً، ومعلومات احتمالية عن سمات كثيرة عامة مثل الصحة والجاذبية والذكاء- فهل سيلجأ إليها الناس بأعداد كبيرة وكافية تسمح باستمرار الصناعة؟

ويعتقد غريلي أن التقدم التكنولوجي قد يجعل "التصميم" متنوعاً بصورة متزايدة. إذ يقول إنه خلال الأربعين أو الخمسين عاماً القادمة "سوف نبدأ في رؤية استخدام تعديل الجين والتكنولوجيا الإنجابية لإجراء تحسينات، مثل الشعر الأشقر والعيون الزرقاء، وتحسين القدرات الرياضية، وتحسين مهارات القراءة والحساب، وهكذا".

إلا أن غريلي يبدو غير متفائل فيما يتعلق بالعواقب، إذ يقول إن ذلك سوف يتسبب في التوترات الاجتماعية "لأن الأثرياء سوف يستغلون التكنولوجيا كي تجعلهم أفضل"، مما يزيد السوء النسبي للحالة الصحية لدى الفقراء حول العالم.

فيما يشير غريلي إلى أن التحسينات في الحالة الصحية بنسبة 10–20 بالمئة عبر التشخيص الجيني قبل الزرع والتي يمكن تحقيقها بقوة، بالإضافة إلى الميزة القابلة للمقارنة التي تتسبب فيها الثروة، قد تؤدي مجتمعة إلى توسيع الفجوة الصحية بين الأغنياء والفقراء، داخل المجتمع الواحد وأيضاً بين الأمم المختلفة.

كما تعتري آخرين الشكوك حول وجود طلب كبير من الأساس على خيارات الأجنّة، وتقول ألتا تشارو، أستاذة القانون وخبيرة أخلاقيات علم الأحياء بجامعة ويسكونسن "مع وجود مشاكل خطيرة مثل الحالات المرضية المميتة، أو عوائق حاضرة مثل العقم، لن أكون متفاجئة من أن أرى أشخاصا يستفيدون من صور التكنولوجيا مثل خيارات الأجنّة".

وأضافت "إلا أننا بالفعل نمتلك دليلاً على أن الناس لا يحتشدون من أجل التكنولوجيا عندما يكون في استطاعتهم الحمل بدون مساعدة".

وتشير تشارو إلى أن الإقبال القليل على بنوك الحيوانات المنوية التي تقدم حيوانات منوية "أفضل"، يوضح تلك النظرة. وبالنسبة إلى معظم النساء "تتفوق الأهمية الشعورية للإنجاب على أيّ مفهوم للتحسين". كما تشعر تشارو أن "قدرتنا على أن يحب بعضنا بعضاً بكل نواقصنا ونقاط ضعفنا تتفوق على أي مفهوم لتحسين أطفالنا عبر الجينات".

وتتماس فكرة اختيار أطفال وفق الطلب مع "نوع الجنس"، والذي هو أحد أسهل الأشياء التي يمكن التنبؤ بها من خلال التشخيص الجيني السابق للزرع.

وبمجرد أن يصبح الانتقاء متاحاً لأكثر من مجرد تفادي المرض الجيني -وهو ما يبدو مرجحاً- فهناك حقل من الألغام الأخلاقية والقانونية. فمتى يكون للحكومات الحق في إكراه الناس على خيارات معينة، أو منعهم عنها، مثل عدم انتقاء إعاقة ما؟ كيف تمكن الموازنة بين الحريات الفردية والتبعات الاجتماعية؟

تقول تشارو "أهم الاعتبارات بالنسبة إليّ هو وضوح الأدوار المختلفة للمسؤولية الأخلاقية الشخصية، والتي يقرر الأفراد من خلالها اللجوء للمساعدة التكنولوجية، مقابل دور الحكومة وقدرتها على منع التكنولوجيا أو تنظيمها أو الترويج لها".

بينما قال غريلي "لن يتخلى البشر عن فرصة التحكم في تطورهم، بغض النظر عن النتيجة. فهل سيجعل ذلك حياتنا أفضل وأكثر سعادة؟ لست متأكداً على الإطلاق".

جديد التكنولوجيا

❑ أطلقت إحدى منصات التمويل الجماعي أول كاميرا واقع افتراضي ثنائية العدسة تمنح المستخدم تجربة الشعور بمجال الرؤية الكامل للعين البشرية.

الكاميرا مجهزة بعدستين بزاوية رؤية 180 درجة لكل واحدة، بحيث تبعد كل عدسة عن الأخرى مسافة 65 ملم وهي المسافة الطبيعية المتوسطة بين عيني الإنسان، الأمر الذي يتيح للمستخدمين التقاط محتويات بزاوية 360 درجة وتعزيز واقعية الشعور بتقنية الواقع الافتراضي.

والكاميرا متوفرة حالياً كمشروع عبر موقع كيك ستارتر للتمويل الجماعي، ويمكن للمستخدمين طلب نسخة منها من خلال التبرع بمبلغ 2199 دولارا أميركيا.

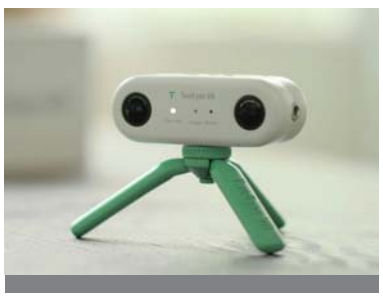

❑ تختبر منصة يوتيوب لمشاركة مقاطع الفيديو ميزة جديدة تتمثل بإمكانية التراسل والدردشة بشكل ضمني داخل تطبيق يوتيوب على الأجهزة المحمولة العاملة بنظامي أندرويد وأي أو إس، مما يسمح للمنصة بالحصول على مميزات فيما يخص التواصل الاجتماعي في المستقبل القريب.

وتتوفر الميزة، والتي من شأنها أن تسمح للمستخدمين بتبادل مقاطع الفيديو والنصوص والروابط من دون الاضطرار إلى ترك التطبيق، في الوقت الراهن ضمن كندا فقط، كون الكنديين يعملون على مشاركة مقاطع الفيديو من يوتيوب أكثر من أيّ شعب آخر في العالم بحسب غوغل.

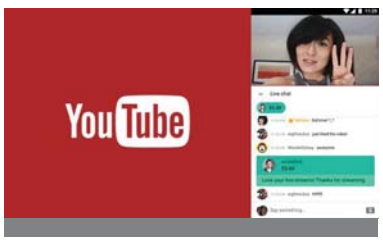

❑ تسعى شركة مايكروسوفت إلى تسجيل براءة اختراع لجهاز جديد يحتوي على شاشة عرض ومفاصل تثبيت مرنة بحيث يمكن تحويل الجهاز من هاتف ذكي إلى كمبيوتر لوحي.

وكشفت وثيقة قدمتها مايكروسوفت أنها تعمل على تجريب مثل هذا النوع من المفاهيم المتعلقة بالأجهزة المحمولة المستقبلية، وتظهر الملاحظات المرافقة للإيداع والمخططات التفصيلية ما يشبه الهاتف الذكي الكبير الذي يمكن طيه وتحويله إلى شكل حاسب لوحي أو إلى شكل وضعية الخيمة الموجود على كمبيوترات "يوغا" اللوحية الخاصة بشركة لينوفو.

❑ أعلنت شركة أبل عن تحديثات هامة في تطبيقها لصناعة الموسيقى مع ميزات جديدة لصناع الموسيقى من كل المستويات على أجهزة أيفون وأيباد وماك. ويتميز الآن الإصدار 2.2 من "جاراج بند" لنظام "iOS" بأداة للمزج ومتصفح ملفات صوتية جديد يجعل البحث عن الأدوات الموسيقية وإعدادات المزج أسهل من أيّ وقت سابق.

ويشمل هذا الإصدار أيضاً مُسجل صوت مُعاد تصميمه لإضافة تأثيرات صوتية ممتعة بمجرد لمسة، ويوفر للمستخدمين تأثيرات أستوديو متقدمة مثل تصحيح النغمات والتحريف والتأخير. كما يستطيع المستخدمون المحترفون الذين يريدون المزيد من التحكم استخدام أدوات متقدمة لمعالجة الصوت تشمل موازن صوت بيانياً تفاعلياً، والقدرة على استخدام مكونات إضافية من أطراف خارجية لوحدات الصوت لمزيد من القدرة الإبداعية في تصميم الصوت.

التمارين الرياضية تتكيف مع كل أنواع السرطانات

التدريبات المنتظمة تساعد الجسم على التعافي ومقاومة آثار العلاج الإشعاعي

الرياضة تعطي فرصة أفضل لحياة مرضى السرطان

يعمل الكثير من الأطباء على حث مرضى السرطان على مواصلة النشاط وممارسة الرياضة، لا سيما خلال مرحلة إجراء جلسات العلاج الإشعاعي ويؤكدون أن للتدريب دورا بالغ الأهمية في الحفاظ على توازن الجسم وتأهيل المرضى. ويوزع مركز السرطان الألماني جملة من الكتيّبات التي تحتوي ملخّصا عن أنواع الرياضة المناسبة لكل نوع من أنواع الأمراض السرطانية.

❑ **السليمانية (العراق)** – تجتمع مجموعة من النساء ثلاث مرات أسبوعيا في مركز رياضي بمدينة السليمانية الكردية العراقية لممارسة تمرينات رياضية (أيروبكس).

وليس الهدف من تلك الجلسات الرياضية هو التخلص من أوزان زائدة أو زيادة القوة العضلية لكنه يهدف إلى تقليل الآثار السلبية للعلاج الإشعاعي والكيميائي والحد من الشعور بالتعب المرتبط بالإصابة بمرض السرطان.

هذه التمرينات تعتبر جزءا من برنامج لإعادة تأهيل مريضات السرطان بمستشفى هيوا لعلاج السرطان وهو المكان الوحيد المختص في علاج السرطان بإقليم كردستان العراق.

وتخضع النساء اللاتي يترددن على المركز الرياضي لعلاج مؤلم وبعضهن تم استئصال أثدائهن. ويعاني معظمهن من الشعور بالتعب والتوتر النفسي بسبب المرض.

وتحضر نسرين عبدالله (66 عاما) المريضة بالسرطان أسبوعيا جلسات التمرين التي تستمر لثلاث ساعات منذ ثلاثة شهور وتقول إنه تم استئصال ثديها بسبب المرض. وأضافت أن التدريبات ساعدتها على الشعور بالتحسن كثيرا.

وقالت "يا ريت كل مريض ييجي هنا ويسوون هاي الرياضة حتى (تصبح) صحتهم زينة".

وبدأت جلسات التمرينات الرياضية منذ نحو أربع سنوات بعد اتفاق بين المستشفى وفرح موارد التي تملك صالة رياضية بالإقليم. وكان الهدف توفير تمرينات بدنية لمريضات السرطان اللاتي أتممن علاجا كيميائيا.

ووفقا لما ذكرته موارد وشوان علي توفيق، أخصائي أمراض الدم والأورام في المستشفى، فإنه منذ لك الحين شاركت حوالي 120 امرأة في الدورات.

وقال شوان "الرياضة عامل مهم جدا من أجل تحسين الحالة النفسية لهؤلاء المرضى حيث أن كثيرا من هؤلاء المرضى يعانون من الكآبة أو الخوف".

وقالت مريضة ذكرت أن اسمها كلثوم إن ثديها الأيمن تم استئصاله بعد تشخيص إصابتها بالسرطان قبل حوالي خمسة أعوام. وقالت إنها تلقت عدة جرعات من العلاج الكيميائي كما خضعت لعلاج بأشعة الليزر.

وأضافت "حدثتني صديقة عن هذا المركز.. نصحتني بالتوجه إليه ففعلت وبدأت أتمرن به".

وبعد أن كان الأطباء ينصحون المريض المصاب بمرض السرطان بالتزام البيت وقضاء الوقت في الفراش، صاروا الآن ينصحونه بممارسة الرياضة.

وأثبتت المئات من الدراسات العلمية الحديثة أن ممارسة الرياضة بشكل منتظم تلعب دورًا مهمًا في إبعاد شبح الأمراض السرطانية عن الإنسان، فضلًا عن دورها في تقليل احتمالات انتشاره مجددًا بعد العلاج الجراحي أو الكيميائي. إذ من الواضح أن تقييد حركة الجسم يضعف نظام المناعة الجسدي ويجعله عرضة لمختلف الأمراض. ولا يعرف الباحثون آلية عمل الرياضة على الأمراض السرطانية بالضبط، لكنهم يعرفون بالتأكيد كيف توسع الرياضة الأوعية الدموية، وكيف تقلل سرعة نبض القلب على المدى الطويل، وكيف توسع عمل الحويصلات الرئوية وكيف تعزز نظام المناعة. وتثبت الدراسات على سرطان الثدي والأمعاء والبروستات، بل وعلى سرطان الدم، أهمية الوقاية التي توفرها الرياضة ضد هذه الأمراض السرطانية.

تكشف دراسة أجراها معهد أبحاث في هايدلبيرغ دورًا مهما للرياضة في التغلب على الأعراض الثانوية لمرض السرطان مثل الإرهاق والصداع والألم والاكتئاب والعزلة، ودورها في تقليص المضاعفات الناجمة عن علاج الأمراض السرطانية بالأشعة والمواد الكيميائية أيضًا. هذا بالإضافة إلى الانعكاس الإيجابي الفعال للحركة على الوضع النفسي للإنسان عمومًا، وعلى المصابين بالأمراض النفسية والأمراض الجسدية. وصار بإمكاننا اليوم الحديث عن أنواع الرياضة المناسبة لكل نوع من الأمراض السرطانية.

سرطان الأمعاء

يخضع الأطباء المصاب بسرطان الأمعاء لعمليات استئصال جراحية للجزء المصاب بالمرض. ويضطر الأطباء أحيانًا إلى ربط بقية الأمعاء بأنبوب اصطناعي أو فتح مخرج في البطن، ينتهي بكيس، للتخلص من مشكلة قصر الأمعاء المتبقية بعد العملية. وينصح خبراء مركز السرطان الألماني هؤلاء المرضى بممارسة عدد من الرياضات مع ضرورة ارتداء حزام خاص يثبّت الكيس على البطن عند لعب الرياضة والسباحة. ومن الرياضات المخصصة لهؤلاء المرضى نجد:

● الرياضات الدائمة: قيادة الدراجة الهوائية والتنزه على القدم والسباحة.

● الجمناستيك: تمارين لتقوية عضلات البطن والظهر.

● إضافة إلى التنس وتنس الريشة، ضرورة تجنب الرياضات التي تتطلب الانحناء الكامل في الجسم والابتعاد عن الرياضة الكروية مثل كرة القدم والسلة والطائرة بسبب مخاطرها على الكيس.

سرطان الثدي

يعرف الأطباء أن الماء في كافة أنواع السباحة يسلط مقاومة على جسم الإنسان تنشط العضلات والدورة الدموية ولا تستدعي الحركات المفاجئة التي قد تؤثر على المريض بدنيًا، ثم أن مقاومة الماء تساعد على إعادة السائل اللمفاوي إلى مصدره (الغدد). ومن بين الرياضات المحببة في هذا النوع من الأمراض السرطانية نجد:

● الجيمناستيك: الحركات الإيقاعية المتناغمة لليد في الجهة التي أجريت فيها العملية، إضافة إلى رياضة تاي تشي الآسيوية وممارسة اليوغا.

● الرياضات الدائمة: المشي والتجوال وقيادة الدراجة الهوائية، إضافة إلى الرقص والأيروبيك. ومن الممكن ممارسة التزلج على الجليد ولكن لمسافات قصيرة في البداية.

● الرياضات الأخرى: التنس وتنس الريشة، مع أن الأطباء كانوا يمنعون هذه الرياضة في السابق بسبب تأثير الحركة على جروح العملية، لكنهم ينصحون بممارستها بشكل خفيف الآن وباستخدام حمالات جيدة.

سرطان الحنجرة

يجب أن تستخدم الرياضة عند المصابين بسرطان الحنجرة بشكل يدعم استقامة الجسد ويعلم المريض تقنية تنفس مناسبة. وينبغي أن تقوّي هذه الرياضة عضلات البطن والصدر والرقبة، لكن يجب تجنب الرياضة الجسدية التي تتطلب السحب والضغط على الأجهزة مثل رفع الأثقال، ومن الرياضات المناسبة لذلك نجد:

● الجيمناستك: التمارين التي تحسن الحركة وخصوصًا مد وبسط العضلات. ومن الضروري أن يحرص المريض على أن تنسجم حركاته مع تنفسه وصولًا إلى طريقة تنفس مريحة.

● الرياضات الدائمة: في هذه الحالة المرضية تنفع ألعاب التنس وتنس الريشة بشكل منتظم. ويمكن للمريض السباحة ولكن باستعمال أجهزة اصطناعية تباع في الأسواق لحماية الرقبة.

● ألعاب الكرة: منصوح بها أيضا وبشكل جماعي لأنها تعزز الوضع النفسي للمريض وتوسع العلاقات بين أفراد المجموعة.

سرطان الدم

يؤثّر سرطان الدم بشكل مباشر على كثافة وقوة العظام والغضاريف والعضلات، كما يعاني المريض دائمًا من مضاعفات العلاج الإشعاعي والكيميائي، ولهذا يجب أن يبدأ المريض بممارسة الرياضة المناسبة قبل أن يغادر المستشفى ومن بينها نجد:

● الرياضات الدائمة: المشي وركوب الدراجة الهوائية.

● الجمناستيك: الحركات البدنية والرياضة على الأجهزة التي تثقل طاقة العضلات والعظام بنسبة 50 إلى 70 بالمئة وبإشراف مدربين.

● السباحة: ينصح الأطباء بالسباحة أيضًا ولكن بعد أن يتعزز نظام المناعة الجسدي قليلًا.

ألعاب الكرة: من الممكن ممارسة كرة القدم والسلة والطائرة ولكن بشكل لا يستهلك 50 بالمئة من قوى جسم المريض. وينبغي تحوير الممارسة بشكل يجنب الاحتكاك الجسدي والسقوط والأفضل استبدال الكرات بأخرى أكثر طراوة.

سرطان الرئة

يؤدي الاستئصال الجراحي لسرطان الرئة إلى تقليص حجم الرئة ويسبب صعوبة في التنفس للمريض. ولهذا ينبغي التركيز على الرياضات التي تزيد عدد الحويصلات المشاركة في عملية التنفس، وتتطلب تطوير التنفس عمقًا وحجمًا، ومن بين الرياضات التي تساعد على ذلك نجد:

● رياضة القوة: تمارس خصوصًا على الأجهزة التي تقوّي عضلات الصدر والظهر والبطن مع ملاحظة أن الإناث يتنفسن بفعل عضلات الصدر، في حين يتنفس الذكور بفعل عضلات البطن.

● الرياضات الدائمة: ركوب الدراجات، المشي والسباحة.

● الرياضة الكروية: تنبغي ممارسة كرة القدم واليد والطائرة بنصف قوة.

سرطان البروستات

على المرضى الذين يعانون من سرطان البروستات، قبل وبعد الاستئصال والعلاج، أن يختاروا رياضات تقوّي عضلات الحوض الداخلية وعضلات الظهر والرجلين. ولهذا ينصح الأطباء بممارسة:

● رياضة القوة: على الأجهزة التي تقوّي الظهر والرجلين ومفاصل الحوض.

● الرياضات الدائمة: ممارسة الرياضة التي تنشط الدورة الدموية مثل المشي والتجوال.

● ألعاب الكرة: مثل كرة القدم والسلة والطائرة والتنس.

● السباحة: مسموح بها بعد نجاح العملية و تعزز قدرة المريض على السيطرة على مسالكه البولية الخارجية بشكل جيد.

● الدراجة الهوائية: فقط بعد 3–6 أشهر من عملية استئصال ناجحة للورم السرطاني.

وكانت منظمة الصحة العالمية أصدرت تقريرا قالت فيه إن مرض السرطان أصبح أكبر المشكلات الصحية التي تواجه العالم، ومن أهم أسباب الوفاة على الصعيد العالمي.

وأشارت المنظمة، في موقعها الإلكتروني، إلى أن الأمراض السرطانية المختلفة أودت بحياة 6.7 ملايين نسمة في 2005، وأنها ستودي بحياة 84 مليون نسمة أخرى في الحقبة الممتدة بين عامي 2005 و2015 ما لم يتوصل العلم إلى علاج شاف لها.

وأوضحت المنظمة أنه من الممكن تجنب نحو 40 بالمئة من حالات السرطان من خلال توفير بيئة صحية خالية من الدخان للأطفال، وتناول الأطعمة المتوازنة الصحية التي تحتوى على سعرات حرارية منخفضة،

> خطورة التعرض للإصابة بسرطان الثدي تنخفض بنسبة تتراوح ما بين 30 بالمئة إلى 40 بالمئة كما أن سرطان القولون ينخفض بنسبة 50 بالمئة في حالة المداومة على ممارسة الرياضة

وتجنب السمنة بدءًا من مرحلة الطفولة. وركز تقرير منظمة الصحة العالمية أيضًا على أن مزاولة الأنشطة الرياضية والحركة يمكن أن يجنبا الإنسان ويلات هذا المرض. وأكد أيضًا على أهمية التشخيص المبكر للمرض عبر تحسين الرعاية الطبية وإجراء الفحوصات اللازمة بشكل منتظم.

وقال باحثون أميركيون إن مرضى السرطان الذين يمارسون الرياضة خلال مرحلة العلاج باستطاعتهم على الأرجح التغلب على المرض. ونقل موقع "هلث داي" الأميركي عن كاترين ستشميتز، الباحثة المسؤولة عن الدراسة في جامعة بنسيلفانيا التي قدّمت إرشادات الفريق المتعلقة بتوصية مرضى السرطان بممارسة التمارين الرياضية قولها إن "التمارين ليست آمنة فحسب بل لها العديد من المنافع لمرضى السرطان خلال العلاج".

وأضافت أن أهم منافع الرياضة هي إعطاء فرصة أفضل لمرضى السرطان بالحياة، وجعلهم قادرين على مقاومة الآثار المنهكة لعلاجات السرطان مثل العلاج بالأشعة وبالكيميائي.

وقالت إن الأدلة واعدة بشأن أن التمارين قد تجعل علاج السرطان أكثر فاعلية. وخلصت لجنة من الكلية الأميركية للطب الرياضي بعد مراجعة الإرشادات إلى أنه على مرضى السرطان أن يحاولوا القيام بنفس حجم التمارين الرياضية التي يوصى بها الآخرون، وهي 150 دقيقة أسبوعيا.

وكانت دراسة أميركية أخرى قد كشفت أن ممارسة التمارين الرياضية تعمل وبقوة على الحدّ من أخطار الإصابة بمرض السرطان لكن تلك التمرينات تكون أكثر فاعلية إذا اقترنت بالحصول على قدر كاف من النوم أثناء الليل. وأوضح الباحثون، الذين أجروا تلك الدراسة على مدار عشرة أعوام بمعهد السرطان القومي المدعوم حكوميا، أنهم وجدوا من بين آلاف السيدات اللواتي شاركن في الدراسة، بعض الحالات القليلة المصابة بالسرطان ومن بينها حالات مصابة بسرطان الثدي بين هؤلاء اللواتي ترتفع لديهن معدلات النشاط البدني.

وأكد الباحثون من خلال النتائج التي توصّلوا إليها أن النوم أقل من سبع ساعات كل ليلة يضيع فوائد التمارين الرياضية ويزيد من خطر الإصابة بمرض السرطان.

وخلص الباحثون إلى تلك النتيجة المهمة بعد أن سألوا 6000 سيدة عن حجم نشاطاتهن البدنية ونظامهن في النوم قبل أن يقتفوا أثر حالتهن الصحية لمدة عشر سنوات.

وفي ذلك الوقت نجحوا في تشخيص 604 من الحالات المصابة بالسرطان من بينها 186 حالة مصابة بسرطان الثدي.

وأظهرت نتائج التحاليل التي أجراها الباحثون على المشاركات أن السيدات اللواتي يواظبن على التمارين الرياضية بصورة أكثر تقل لديهن أخطار الإصابة بالسرطان بنسبة تصل إلى 25 بالمئة.

المرأة العربية لم تعد تخشى العار من أجل حقوقها

نساء يتحررن من صمتهن ويفضحن نفاق المجتمع الذكوري

تداول نشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي منذ مطلع الشهر الحالي تدوينة لناشطة جاهرت بإنجابها لطفل خارج إطار الزواج متحدية أهلها وأهل من قالت إنه زوجها عرفيا وحتى ضد رغبته، وتجاوزت ما تسمح به تقاليد المجتمعات العربية.

التعاطف معها أو نقدها ليسا محور القضية بقدر ما تعتبر جرأة الفتاة بابا يفتح على مصراعيه لفرض الخروج بحلول ناجعة حول مسألة الأم العزباء التي تحاول في كل مرة الدراسات التطرق إليها وتهمّش من قبل العائلات التي وقعت بناتها ضحايا مشاعرهن أو التغرير بهن، وبات البحث عن حلول واقعية أمرا لازما، لأن السكوت لم يعد ممكنا، في ظل تفاقم المآسي المترتبة عن بقائها واستفحالها.

تتفرع عن قصة هدير مكاوي صاحبة التدوينة قضيتان هامتان إحداهما الزواج العرفي والثانية مصير الأبناء، وحين نشير إلى الأطفال تجدر الإشارة إلى تفاقم ظاهرة إلقاء الأبناء في حاويات القمامة أو كيف ما اتفق للتخلص من عبء الفضيحة وتحمّل وزر روح بشرية.

الأم العزباء في الدول العربية غالبا ما تتحول إلى مجرمة لتتطهر من الخطيئة. وبدل مهاجمة مكاوي أو غيرها لا بد من المراقبة والتوعية والإرشاد لا سيما في صفوف شباب الثانوية أو من هم في سن الزواج بأن الزواج العرفي، بقطع النظر عن شرعيته الدينية من عدمها، تترتب عنه الكثير من الأضرار النفسية والجسدية للهروب من العنوسة ومنها العجز المادي للزوج وتحدي رفض الأهل أحيانا وكلّ ذلك لا يمكن حله باستسهال كتابة ورقة تذهب في مهب الريح مع أول صدام بين الزوجين غير الرسميين.

وكان لبعض الحقوقيين والناشطين في قضايا المرأة من مصر وإحدى المتضررات من هذا الزواج من المغرب حديث مع "العرب".

هدير فتاة مصرية تكشف المستور في قضية الأم العزباء

نجوى دردير
كاتبة مصرية

❏ "السنغل مازر" أو "الأم العزباء"، هي الأم التي تربي أطفالها دون وجود زوج معها، وهو مصطلح ربما يكون جديدا على مجتمعاتنا العربية، ومع ذلك فهو معروف ومنتشر في العالم الافتراضي وفي كثير من مواقع التواصل الاجتماعي منذ سنوات، حيث نجد مجموعة كبيرة من الأمهات المطلقات والمعيلات -اللاتي لا أزواج لهن- يتبادلن الخبرات والتجارب الحياتية معا، وفي مصر وحدها ما يقرب من 5 ملايين امرأة، يعلن أطفالهن بمفردهن دون وجود رجال.

ومن بين هؤلاء النساء اللاتي يحملن صفة الأم العزباء تلك المرأة التي أنجبت أطفالا بالتخصيب، أو بطريقة غير شرعية "سِفاحًا"، دون زواج رسمي، وهو وإن كان معروفا في الغرب، ومعترفا به اجتماعيا، إلا أنه في مصر وبعض الدول العربية، يعد من الأمور المرفوضة والمنهيّ عنها.

هدير مكاوي، شابة مصرية، أضفت على مصطلح "السينغل مازر"، مفهوما جديدا، صادما للمجتمع المصري، الذي انقسم حول قصتها ما بين مهاجم ومؤيد، حيث اختارت أن تُعلن ما حدث معها، بعد زواج عرفي جمعها بشاب لمدة ثلاثة أشهر، بمدينة نويبع بمحافظة جنوب سيناء، المطلة على البحر الأحمر، إذ حملت وأنجبت طفلا سمته آدم.

وأمام رفض الأب الاعتراف بالمولود، وبالزيجة كلها من الأساس، أعلنت مكاوي، عبر حسابها الشخصي على فيسبوك أنها "سنغل مازر"، وطلبت من المجتمع المصري دعمها والوقوف معها، لأنها قررت عدم قتل طفلها، واختارت له الحياة بحسب وصفها، وأنها في طريقها لإثبات نسبه.

مكاوي، قرّرت بجرأة شديدة، أن تختلف عن أخريات كثيرات فضلن عدم الإعلان عمّا يسميه المجتمع بالفضيحة، وإزاحة الغطاء عن قضيتها، واختارت أن تضع قصتها مع زوجها العرفي، الذي يرفض الاعتراف بها أو بابنه منها، تحت الأضواء، ونشرت اسمه الثلاثي وصوره على الملأ.

بين مؤيد ومعارض

كما هو متوقع، تندّر بها الكثيرون من مستخدمي السوشيال ميديا، وبلغ الأمر بمهاجميها حد السباب والشتائم الفجة لها ولفعلتها الشنيعة، ونشروا صورها -التي حصلوا عليها من صفحتها الشخصية على الفيسبوك- حيث ظهرت في أكثر من صورة بملابس عارية، ومع هذا انقسم الرأي العام حول قضيتها، فمنهم من وبّخها، ومنهم من تعاطف معها.

المجموعات النسائية، التي اتخذت لنفسها صفحات خاصة على مواقع التواصل الاجتماعي، تحت مسميات عدة دارت حول مصطلح الأم العزباء، وهاجمن جرأة هدير في كشف مستورها، باعتبارها متزوجة عرفيا، من وراء ظهر أهلها، أي بدون وليّ، في حين أنهن كن متزوجات رسميا، وبشكل شرعي، شهد عليه المجتمع، وأنجبن أطفالهن من زواج مُبارك وحلال.

وقالت منى مصطفى، إحدى العضوات في غروب (مجموعة) "سنغل مازر"، إنها لا تتعاطف مع رواية هدير بالمرة، وتراها فجة، ولا تمت لتقاليد المجتمع الشرقي، وأنها تحاول بائسة أن تكسب تعاطف الناس معها، لكنها فشلت في ذلك، ولفتت إلى أن هدير ربما نجحت فقط، في جذب الأضواء الكثيفة إليها.

وأكدت مصطفى لـ"العرب" أن مكاوي تلك الفتاة التي ذكرت أنها عانت مرارة كبيرة مع أهلها -كما قالت هدير عبر صفحتها- ربما فعلت ذلك، كنوع من الكيد لزواجها العرفي، ورأت مصطفى في هدير، مجرد "فتاة غير مسؤولة بالمرّة"، واعتبرت أن ما تفعله هو مجرد لعبة، وأنها لا تعلم أنها بذلك وضعت صغيرها المسكين، الذي لا ذنب له، داخل دائرة من الفضيحة، ستظل تحاصره طيلة عمره، "لأننا في مجتمع لا يرحم"، على حد وصفها.

لكن على الجانب الآخر، هناك من يدعمون مكاوي، ودشنوا حملة على مواقع التواصل الاجتماعي للدفاع عنها، وانتشرت هاشتاغات تضامنية معها، تحت عناوين مختلفة منها، "ادعموا هدير"، و"متضامن مع هدير"، و"ارحموا طفل هدير"، وبرروا دعمهم لها بأنه، يكفي أنها لم تلق بابنها في الشارع، أو تقتله وهو مازال في رحمها، وشددوا على أنهم لا يجدون عيبا في ما فعلته، إذ أثبتت أنها أمّ تخاف على ابنها أولا، ولم تلتفت إلى ما سيقوله المجتمع عنها.

ورأت العديدات من هؤلاء، أن مكاوي آثرت أن تلقي الضوء على المسكوت عنه، من أن ثمة عشرات الآلاف من الأطفال، الذين يولدون سِفاحًا، ويلقى بهم في حاويات القمامة، ليَكبروا بلا آباء ولا أمهات، فيعانون مصيرا مظلما، ومن ثم سيدفع المجتمع كله في ما بعد الثمن غاليا، ومع ذلك مازالت مجتمعاتنا العربية تصر على دفن الرؤوس في الرمال.

وقالت متعاطفات، إن الوقت حان لنستيقظ، فنبدأ في علاج تلك القضية وغيرها من جذورها، بعيدا عن النفاق المجتمعي، والتعلل بأفكار قديمة بالية لن تجدي شيئا، وإلا فستظل مشاكلنا المخفية تكبر وتتضخم، وتنخر في عظام المجتمع العربي كالسوس.

خطورة التدوينات

قضية هدير مكاوي، دقّت ناقوس خطر آخر، هو المدى الذي بلغه تأثير مواقع التواصل الاجتماعي والتدوينات على عقول الشباب والفتيات العربيات، وكيف أن الكبار، مازالوا مصرين على اعتبارها مجرد "لعب عيال"، رغم تأثيرها المتصاعد على عقول الصغار، ما يزيد الهوة بين الأجيال، لنصحو ذات يوم، وكأننا مجتمعان منقسمان في صورة مجتمع واحد مزعوم، هش ومفكك.

وبينما أعلنت حقوقيات كثيرات، يعملن بمنظمات نسوية، تضامنهن مع مكاوي، فإن حقوقيات أخريات، رأين أن ما فعلته، هو عمل شائن، ولا يليق بالمجتمع المصري.

نهاد أبوالقمصان، حقوقية ورئيسة المركز المصري للمرأة، حللت بعمق شديد قضية مكاوي، والتي وصفها مؤيدوها، بأول "سنغل مازر" في مصر، قائلة "إنها فتاة لا تعرف حقوقها القانونية، وتم النصب عليها من شاب، قرأ 'رُبع كتاب عن الحرية والاستقلالية، وضحك عليها، واستطاع إبهارها مستغلا الظروف الأسرية الصعبة لها، ورأت أنها في النهاية، فتاة عادية ترغب في الزواج من شاب تسند ظهرها عليه، ومع ذلك فهناك فتيات أخريات، مثقفات وواعيات، لا يستطيع أحد جرّهن إلى الفخ الذي وقعت فيه مكاوي".

وأكدت أبوالقمصان لـ"العرب" أن قضية مكاوي هي قضية إثبات نسب عادية، لكنها أخذت أكثر من حجمها، كما حدث من قبل، في قضية الفنانة زينة والفنان أحمد عز، اللذين ملأت حكايتهما الصحف والمواقع الإلكترونية، ومازالا حتى اليوم، يلقيان هجوما شنيعا من المجتمع.

ولفتت رئيسة المركز المصري للمرأة إلى أن ما فعلته مكاوي سيجعل أسرا كثيرة تخاف من إعطاء الحرية لفتياتهن، سواء للسفر للعمل، أو للتعليم بالخارج، وطالبت الحقوقية المصرية، بعدم التخلي عن مكاوي، والوقوف بجوارها قانونيا، مع الأخذ في الاعتبار ضرورة التوعية القانونية لمثل تلك الحالات.

ومع أن حكاية مكاوي تعتبر من الحالات الفردية التي تتكرر بين فينة وأخرى، إلا أن تأثيرها القويّ على المجتمع، والاهتمام غير العادي بتلك القضية، وظهور مصطلح "السنغل مازر" بشكل جليّ وواضح، جعل الأمر لا يمرّ مرور الكرام، ويؤكد بشكل كبير أن هناك فجوة ثقافية وأوراقا مختلطة لدى قطاع كبير من الشباب والفتيات، الذين ربما يجدون في مكاوي بطلة، ويحاولون تقليدها، بدعوى الحرية والاستقلالية، غير عابئين بتقاليد المجتمع المنبثقة من تعاليم الأديان السماوية.

أم عزباء تحافظ على ابنها بدل إلقائه في القمامة

الحرية الشخصية موضع اتهام

أشارت سامية خضر، أستاذة علم الاجتماع، لـ"العرب"، إلى جزئية هامة في تلك القضية، حيث لفتت الانتباه إلى أن الشريحة التي تؤيد مكاوي وتدافع عنها، تنحصر أعمارها في سن صغيرة، وتتشبث بما تسميه الحرية الشخصية، ضاربة بالقيم الدينية والمجتمعية والنفسية عرض الحائط، غير واعية بأن تلك الأفكار تجرّها إلى المجهول، وغير عابئة بتقاليد المجتمع، التي تحميها من الانزلاق في فخ الحرام.

وقالت خضر إن تلك الفتاة وغيرها ممّن ينشرن فضائحهن على الملأ، تنطبق عليهن مقولة "الذين اختشوا ماتوا"، حيث أن نشر الفضيحة، ليس نوعا من أنواع البطولة، كما تدعي مكاوي، بل هو ميل نحو أفكار الغرب الذي لا يستعير شبابنا منه سوى الخبيث فقط.

ونوهت خضر إلى أن مجتمعنا الشرقي لا يزال يحتفظ بتدينه، ويحافظ على التقاليد والأعراف التي تربينا عليها.

وشددت خضر على أن الأفكار الشاذة دائما ما تتم مهاجمتها، وسرعان ما يلفظها الناس في المجتمعات العربية، وحذرت من خطورة أن الشباب الصغار، هم الأكثر عرضة للتأثر بتلك الأفكار، ولذلك فإن على الجهات المعنية في الدولة توعيتهم.

جانب آخر من القضية، هو دور الدين في مجتمعاتنا عموما، وفي قضايا الشباب بصفة خاصة، وهنا يطالب قطاع عريض من المثقفين، بضرورة تحديث الخطاب الديني، وصعود أصحاب العقول المستنيرة إلى منابر الخطابة لأن ذلك لم يعد أمرا عارضا، بل بات أمرا ملحًا على المجتمع المصري والعربي، الذي أصبح من الضروري جدا أن يقاوم بشراسة تلك الأفكار الغريبة، التي أصبح الإفصاح عنها من قبل مقترفيها، أمرا كاشفا للخلل الحاصل.

وقالت إلهام شاهين، أستاذة العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر، لـ"العرب"، "إن خير الخطائين التوابون، وإن تلك الفتاة للأسف، لا تشعر بالندم أو الأسف، وهذا هو الأسوأ في تلك القضية المجتمعية، والتي لا تدل سوى عن الانحلال الأخلاقي، ونشره وإعلانه والتباهي بفعله، متناسين وجوب الستر عند البلاء".

وأضافت شاهين أن الشباب يتقبل الأفكار الشاذة، في محاولة منه لتقليد الغرب، رغم أن الغربيين أنفسهم، يقدسون الحياة الزوجية ويكنون لها كل احترام، ويعلنون مراسم الزواج ويباركونها، كما أن الأطفال الشرعيين يبجلون والديهم، الذين أنجبوهم بطريقة شرعية، إضافة إلى أن عذرية الفتاة أصبح لها احترامها لديهم عن ذي قبل.

وتجد شاهين أن الحل في حماية المجتمع من تلك الأفكار الشاذة غير الأخلاقية، يكمن في سن القوانين التي تردع هؤلاء المجاهرين بالمعاصي، مثل تلك الفتاة وغيرها، خاصة هؤلاء الذين يجاهرون بإلحادهم بالله عز وجل، ويدشنون صفحات على السوشيال ميديا يعلنون فيها ذلك، ويجذبون إليهم شبابا صغيرا ضعيف الإيمان، للانضمام لصفوفهم، ولا ترى في ما فعلته مكاوي، إلا نوعا من نشر الفاحشة، وللأسف فهي ستكون لها معجباتها، اللاتي قد يسعين لتقليدها بشكل أعمى، وشددت على أنه يجب التصدي لذلك بقوة.

الكثير من المتابعين لحالة هدير مكاوي، ذهبوا إلى أن ما أقدمت عليه مكاوي، ليس إلا إلقاء حجر في بحر هائج من المشاكل التي تعاني منها المرأة العربية، وسواء وجدت مكاوي من يتعاطف معها، أو ينتقدها، فإن قضية الأم العزباء، باتت تبحث عن حلول واقعية، لأن السكوت لم يعد ممكنا، في ظل تفاقم المآسي المترتبة على بقائها واستفحالها.

> الكثير من المتابعين لحالة هدير مكاوي، ذهبوا إلى أن ما أقدمت عليه ليس إلا إلقاء حجر في بحر هائج من المشاكل التي تعاني منها المرأة العربية

الأمومة دون زواج مرفوضة في المغرب

فاطمة الزهراء كريم الله
كاتبة مغربية

❏ يظل عدد الأمهات العازبات في المغرب في تزايد مهول حيث يولد يوميا 150 طفلا خارج العلاقة الزوجية، وتعتبر ظاهرة الأمهات العازبات من أكثر الظواهر المثيرة للجدل داخل المجتمع المغربي، حيث لازالت في مصاف التابوهات الاجتماعية، وأي امرأة تنجب طفلا أو طفلة خارج مؤسسة الزواج، هي في نظر المجتمع "امرأة فاسدة"، وحاملة للقب "العار".

هذا وتعاني العديد من الأمهات العازبات، من الهشاشة وتتعرضن لكل أشكال الاستغلال والعنف والإقصاء والتمييز، وهو الوضع الذي أدى بالكثير منهن إلى التفكير في الانتحار أو التخلي عن الطفل برميه أو قتله.

وبحسب دراسة أنجزتها جمعية إنصاف التي تعنى بالدفاع عن حقوق المرأة والطفل، هناك ما يزيد عن 153 ولادة يوميا تنتج عن علاقات خارج مؤسسة الزواج بالمغرب، منهم 24 طفلا يتم التخلي عنهم، كان مصيرهم الاستغلال أو الموت نتيجة الجوع والبرد، وأن عدد الأمهات العازبات وحسب نفس الدراسة، قد وصل في مدينة الدار البيضاء لوحدها إلى ما يزيد عن 40 ألف أم عزباء، 32 بالمئة منهن تقل أعمارهن عن 20 سنة، و30 بالمئة تتراوح أعمارهن ما بين 20 و25 سنة.

ويبقى تزايد ظاهرة الأمهات العازبات في المغرب متعدد الأسباب، ويعود أغلب الحالات إلى الجهل وغياب الوعي بالعلاقات الجنسية.

وفي شهادة لـ"العرب" قالت "خ. م" إن "قضيتها بدأت منذ أن تم التغرير بها من قبل خطيبها الذي يكبرها بـ20 سنة والذي أوهمها بالحب والاهتمام فوقعت في قبضته بعد أن عاشرته خارج نطاق الزواج إلى أن انتهى بها المطاف باكتشافها أنها حامل.

وأضافت "خ. م" لـ"العرب"، "بعد مصارحته بحملي تخلى عني وسافر إلى إيطاليا، بعدها لم يكن أمامي سوى اللجوء إلى حلّ الإجهاض مخافة من الفضيحة، فهو الحل الوحيد الذي سيمكنني من العيش وسط مجتمع سيرفض طفلا أنجبته بطريق غير شرعية".

وحول الظاهرة، اعتبرت مؤسسة جمعية التضامن النسائي لرعاية الشابات ضحايا الاستغلال الجنسي أو الاغتصاب، عائشة الشنا لـ"العرب" أن "الفقر والأمية وعدم الوعي بخطورة العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج، دفعوا بالكثير من الأمهات العازبات إلى السقوط في حبال أوّل رجل يغريها، لينتهي بها المطاف إلى اكتشاف نفسها حاملا لتكون بعدها منبوذة من قبل العائلة والمجتمع .

وقالت الشنا إن "أقصى ما يمكن أن تتعرض له الأم العزباء في مجتمعاتنا العربية وخاصة المجتمع المغربي هو الاستغلال الجسدي والنفسي ناهيك عن أن أغلب الأمهات كنّ ضحية جرائم شرف".

وأضافت الشنا لـ"العرب" أن "جمعيتها جاءت من أجل تقديم المساندة النفسية والقانونية والاقتصادية للأم العزباء، وترشيدها وتمكينها من الاندماج داخل المجتمع .

ومع تفاقم الظاهرة، فقد وجهت للحكومة المغربية انتقادات كثيرة من قبل هيئات حقوقية، لكونها لم تتخذ إجراءات عملية جادة من أجل تفعيل التزاماتها بخصوص النهوض بحقوق الأمهات العازبات وأطفالهن ومن أجل تحسين برامج التكفل والمساعدات الاجتماعية والإدارية والقانونية والطبية وإعادة الإدماج الاجتماعي أو المهني.

هذا ويبقى في المغرب نقص في مجال التغطية الجمعوية لقضايا الأمهات العازبات، إذ لا يتعدى عدد الجمعيات التي تشتغل في هذا المجال الـ17 جمعية، ولا تقدم هذه الجمعيات سوى أقل من 4 بالمئة كخدمات لهذه الفئة الاجتماعية.

الحاجات العاطفية للأرملة والمطلقة تصطدم بالاستهجان

الزواج الثاني للأم حق يرفضه الأبناء ويستنكره المجتمع

مما لا شك فيه أن الزواج للمرة الثانية سواء للمرأة أو الرجل أمر طبيعي، إلا أن مسألة إعادة تركيب العائلة مع زوج الأم أو زوجة الأب بوجود الأبناء تظل مدار بحث وتحليلات وأقاويل تتعلق بأهمية توافر الحب والحنان اللازمين لتحقيق الثقة المتبادلة لعيش حياة مشتركة.

مي مجدي

رغبة المطلقة أو الأرملة في تجديد حياتها تصطدم بواقع لا يرحم

❏ **القاهرة** – عندما تقرر المرأة الزواج للمرة الثانية بسبب حدوث الطلاق أو بعد ترملها، تقع تحت وطأة رفض الأبناء لحقها في ذلك ونظرة المجتمع السلبية لزواجها الثاني، معتبرين أنه من الأفضل لها تربية أبنائها، مجردين تلك المرأة من حقها في أن تتزوج مرة أخرى، وعندما يحدث الزواج الثاني، تظل صورة زوج الأب هو ذلك العدو الأول للأبناء الذي شاركهم أمهم، ومدمر الأسرة، والمتسبب الرئيسي في صراعات ومشاكل الأبناء المستمرة، فهذا هو الانطباع الذي وضعه المجتمع لصورة زوج الأم وتبرز صورته الأفلام والمسلسلات العربية، في دور الرجل الشرير الذي مهما فعل لكي يكون الأب البديل فلن يرضي الأبناء.

السؤال الذي يجب طرحه هو هل بالفعل زوج الأم شرير دائما في الحقيقة، ينصب المكائد والمصائب للأبناء؟ أم أن الأبناء يأخذون موقفا عدائيا لمجرد أن هذه هي الصورة مترسخة في الأذهان، أم أن المذنب هي الأم نفسها لأنها سمحت بدخول شخص غريب على أبنائها؟

تضاربت الإجابات حول هذه الإشكالية في مختلف الحالات، لنجد أن زوج الأم يظهر في صورة المغتصب والمعتدي على بنات الزوجة والمعذبَ للأم وأولادها أحيانا، ونجده في صورة أخرى يتمثل في الأب الحنون صديق الأبناء، والسبب في تربيتهم ونشأتهم نشأة سليمة وتعليمهم ووصولهم إلى أعلى المناصب.

حول ذلك توضح ابتسام محمد، أستاذة علم الاجتماع بجامعة القاهرة قائلة "هناك موروث اجتماعي كبير يحصر دور الأرملة والمطلقة في التضحية من أجل أبنائها، ومن هذا المنطلق، فإن الثقافة السائدة في المجتمع ترفض زواج هاتين الفئتين من جديد بسبب وجود الأبناء، وتطالبها بالتضحية من أجلهم، دون النظر إلى حاجتها العاطفية والنفسية والجسدية".

وأشارت إلى أنه في حالة تفكير المرأة في الزواج مرة أخرى بعد وفاة زوجها، فلا يتردد المجتمع في اتهامها بنكران الجميل لزوجها الأول، أو عدم مراعاتها لمشاعر أبنائها، والسعي وراء مصالحها الشخصية على حساب مستقبلهم، ويعد هذا ظلما كبيرا لها، مبينة أن وسائل الإعلام ساهمت بشكل كبير في وضع صورة ذهنية نمطية سلبية للأرملة أو المطلقة التي تتزوج من جديد، حيث تصفها بالمرأة الأنانية المتصابية، التي تبحث عن رغباتها وتهمل أبناءها بعد الزواج برجل آخر، بل وتجسدها أحيانا في صورة امرأة تسمح لزوجها بمعاقبة أبنائها من الزوج المطلق أو المتوفى، بشكل لا يوجد فيه أدنى رحمة، وهذا ما يفاقم الأمر اجتماعيا.

في حين ترى هالة حماد، استشارية الطب النفسي، أنه ليس من الضروري أن يكون شكل زوج الأم هو ذلك الرجل السيء الذي تصدره الأفلام والمسلسلات في صورة المغتصب والناهب لثروات الأبناء، لكنه قد يوضع في قالب عدائي بسبب غيرة الأبناء على والدتهم، لذلك يحمل على عاتقه عبئا كبيرا في محو هذه الصورة السيئة من ذهن الأبناء، وهذا يتطلب جهدا كبيرا ووقتا طويلا، وبعض الأمور الأخرى التي تتمثل في تقديم الهدايا والكلمات الرقيقة للأبناء التي تدعو إلى الحب والود وإنشاء علاقة طيبة، والبعد عن أخذ دور الأب، وتبني مسؤولية النصيحة والتربية خصوصا مع الأولاد الأكبر سنا، بالإضافة إلى عدم التفرقة في معاملة أبناء الزوجة والأبناء الأصليين حتى لا تزيد المشاحنات بين الأبناء.

ونصحت بإقامة علاقة طيبة وسويّة مع والد الأولاد في حالة الطلاق تسمح بزيارة الأب لأبنائه داخل البيت لرؤيتهم، والحرص على احترام خصوصية الأبناء خاصة إذا كانوا إناثا ووضع حدود للعلاقة.

وأوضحت أسماء عبدالعظيم، استشارية العلاقات الأسرية، أن الأبناء هم من يعانون في مختلف الحالات، فالانفصال بين الأب والأم وما قبله من صراعات وظروف جميعها تدفع الأبناء إلى اضطرابات نفسية واجتماعية، وذلك نتيجة مشاعر نقص الحنان وإحساسهم بالخجل من أقرانهم ورفضهم للمجتمع، والذي قد يحوّلهم إلى أشخاص انطوائيين أو عدائيين.

> زواج الأم من شأنه أن يزيد من مضاعفات عدم التوافق النفسي الذي يعاني منه الأبناء ليصل إلى حد اضطرابات النوم والأكل، وتأخر التحصيل الدراسي، والانعزال عن المجتمع، والعدوانية المبالغ فيها في بعض الأحيان

ونبهت عبدالعظيم إلى أن زواج الأم من شأنه أن يزيد من مضاعفات عدم التوافق النفسي الذي يعاني منه الأبناء ليصل إلى حد اضطرابات النوم والأكل، وتأخر التحصيل الدراسي، والانعزال عن المجتمع، والعدوانية المبالغ فيها في بعض الأحيان، بالإضافة إلى العديد من الأمراض النفسية التي قد تصل إلى حد التبول اللاإرادي للأبناء البالغين.

وتنصح أسماء الأم بضرورة التمهيد النفسي للأبناء قبل الزواج بل وقبل اتخاذ هذا القرار، وذلك من خلال إقناع الأبناء بأنها تحتاج إلى الأمان والحب، ولرجل يشاركها الحياة وأمورها الصعبة، حتى يظهر الطرف الآخر في صورة المنقذ للعائلة وللأسرة، وعلى الأم اختيار الوقت المناسب للزواج، فالزواج يكون أفضل عندما يكون الأطفال في سن صغيرة.

وشددت عبدالعظيم على ضرورة الابتعاد عن الزواج في فترة مراهقة الأبناء، لأنه في هذه السن قد يصاب الأبناء بـ"عقدة أوديب" لتزيد غيرتهم على أمهم، وتكون لديهم رغبة في التخلص من زوج الأم، ناصحة بأهمية تقريب المسافات بينهم وتعريف الزوج باهتمامات الأبناء واستمالة كل طرف للآخر وتوضيح مميزاته، وكذلك محاولة امتصاص غضب الأبناء والاهتمام الزائد بهم، لأنهم يكونون أكثر حساسية من ذي قبل، وقبل كل ذلك على الأم حسن اختيار الزوج المناسب لها ولأبنائها، كي لا تكرر نفس الأخطاء، وتضمن أن تكون حياتها الزوجية الجديدة أكثر سعادة واستقرارا.

طبق اليوم

فطيرة دجاج بالفطر

* **المقادير:**

- عبوة عجينة الرقائق جاهزة.
- 2 كيلوغرامات من الدجاج المسلوق ومنزوع من العظام ومقطعا قطعا صغيرة.
- فلفل أسود: حسب الرغبة.
- بهارات مشكلة: حسب الرغبة.
- ربع كوب زيت زيتون.
- 3 حبات بصل مفروم ناعم.
- 2 حبات فلفل أخضر حار: مفروم ناعم.
- علبة فطر مغسول ومصفى من الماء.
- 5 فصوص ثوم مهروس.
- كوبان جبن.

* **طريقة الإعداد:**

- يوضع زيت الزيتون في مقلاة عميقة، ويضاف البصل والفلفل الحار، والثوم، ويقلب الخليط قليلا. ويضاف الدجاج والفطر ويقلب المزيج ثم تضاف البهارات والملح مع التقليب إلى حين نضوج الدجاج.
- يدهن طبق دائري الشكل، بالقليل من زيت الزيتون، ثم توضع 3 طبقات من الرقائق، وتسكب خلطة الدجاج عليها، ويرش القليل من الجبن، وتعاد العملية بالرقائق وخلطة الدجاج إلى حين الانتهاء من الكمية كلها.
- تدهن الطبقة الفوقية بالقليل من زيت الزيتون بعد الانتهاء، ويتم إدخال الطبق إلى الفرن لمدة تتراوح ما بين 15 و20 دقيقة، ويترك ليحمرّ لمدة دقيقة واحدة فقط. ويقدم ساخنا.

موضة

مصممة سعودية تقتحم عالم موضة الرجال

❏ في سابقة هي الأولى من نوعها دخلت مصممة الأزياء السعودية خديجة الشهري مجال تصميم الأزياء الرجالية، حيث اختارت أن تجمع بين الزيّ الرسمي والحضارة العربية، فقامت بتصميم مجموعة من الجلابيات، وهو الزي المعتاد للرجال في المنازل، ولكنها قدمتها تحت اسم "صيت"، ومن المتوقع أن تستمر الشهري في تقديم تصميمات جديدة للثوب الرسمي للرجل في المملكة وفقا لرؤيتها الخاصة.

وتعتبر الشهري أول فتاة تدخل عالم تصميم الأزياء الرجالية لأنها اختارت طريقا مختلفا تماما عن المعتاد عليه في المملكة، فالمرأة دائما تهتم بتصميمات الأزياء الخاصة بالنساء لأنها على اطّلاع دائم بالموضة وكل ما يهم المرأة.

اقتحمت خديجة الشهري عالم الموضة وتصميم الأزياء منذ صغرها، ولكن بدايتها الفعلية لاحتراف عالم الأزياء كانت في العام 2010 عندما وجدت تشجيعا كبيرا من المحيطين بها.

وترى الشهري أن جاذبية تصميمات الرجال تأتي من ذوق المرأة، كما ترى أن ارتفاع الوعي عند الرجال جعلهم لا يرفضون أبدا ارتداء هذه التصميمات المختلفة عن الزي الرجالي المعتاد، فكل رجل الآن يبحث عن كل ما هو مميز وفريد.

وأضافت أن لتصميماتها طابع خاص يعطي شكلا مميزا لأزياء الرجال، لذلك فلا تضع أي قيود أمام تحقيق هدفك طالما أنه غير محال، فالنجاح يبدأ بخطوة من الإصرار وخطوة من التميز.

وطالبت الشهري خلال عرض الأزياء الذي أقيم مؤخرا، بتدريس تصميم الأزياء من خلال المدارس السعودية والجامعات وأن تكون هناك أقسام متخصصة.

عندما تتحول النعم إلى نقم.. إنها تونس

سماح بن عبادة
صحافية من تونس

❏ اجتاحت البلاد التونسية هذه الأيام موجة من البرد مصحوبة بتساقط لكميات هامة من الثلوج. الثلج يغطي كل شيء ويكسبه لون الصفاء ببياضه الواضح والنقي. لكن الثلوج التي تساقطت في تونس كشفت عورات وحقائق كثيرة وصبغت قلوب الكثير من التونسيين بلون السواد حزنا على ما آلت إليه بلادهم وما آلت إليه أوضاع الكثير من العائلات خاصة الفقيرة والقاطنة في أكواخ وشبه منازل بالأرياف.

طفلة التسع سنوات رانيا بريئة ومليئة أملا وحبا للحياة، قتلتها موجة البرد في أول أيامها في كوخ عائلتها بأحد أرياف مدينة عين دراهم من محافظة جندوبة في الشمال الغربي. عائلات في العديد من القرى عزلت عن محيطها بسبب انغلاق الطرقات. نساء حوامل ومسنون ورضع وأطفال ومرضى وجدوا أنفسهم في مواجهة متاعب صحية مضاعفة بسبب معاناة البرد والعزلة وانتهاء المؤونة مع غياب أدوات التدفئة لمواجهة البرد القارص. طرقات وبنية تحتية أقل ما يقال عنها إن وجدت فإنها قديمة أو تحتضر.

هذا بعض من الأشياء التي حولت بياض الثلج إلى سواد في وجدان التونسيين الذين أظهروا كالمعتاد استعدادهم للتضامن مع العائلات التي تستحق المساعدة. شخصيا ما أشعرني بالحزن هو معاناة أناس يعيشون في مدن أجمل ما فيها طبيعتها ومناخها لكنها تحولت من نعمة إلى نقمة وفي مناطق تقوم على الزراعة حيث تعتبر الأمطار والثلوج نعمة وبركة فإذا بها تتحول إلى نقمة هي الأخرى.

مناطق الشمال الغربي في تونس من أجمل المناطق في البلاد وهي تعد وجهة للمتعة والسياحة الداخلية والخارجية في هذا الموسم من العام فهي مناطق تزداد جمالا وجاذبية في الشتاء. وها هي تتحول إلى مناطق منكوبة ويزداد وضعها سواء من شتاء إلى آخر. أسرة رانيا بكت ابنتها وقالت إن فقرها المدقع هو الذي جعلها تخسرها، وكذلك التونسيون فقد بكوها وتحسروا على موتها في مواقع التواصل الاجتماعي. الجميع وجه التهمة للفقر وللحكومات المتعاقبة على الدولة.

حكومات أهملت ثروات هذه المناطق وتسترت على الفقر وتجاهلت مآسي العائلات الفقيرة طيلة العقود الماضية. حكومات تناست ما لديها من ثروات طبيعية وبشرية وهرولت نحو الاقتراض وذرّ الرماد في العيون بالوعود الكاذبة وأبدع أصحاب المناصب والقرار ورجال السياسة في الخطب الرنانة كما أبدعوا في نهب أموال الشعب والدولة.

ما ذنب رانيا الزهرة التي مازالت تتفتح فخسرت حياتها. وما ذنب هاجر التي ولدت في الطريق إلى المستشفى وسط الثلوج وأوشكت على الوفاة. وما هذه الدولة التي يتم فيها وأد الطفولة بسبب الإهمال والفقر. أراها ببساطة دولة اعتمدت على حكومات فاشلة على جميع الأصعدة قبل الثورة وبعدها ولم تتعلم أيّ واحدة منها الدرس من سابقاتها ولم تتعلم احترام مواطنيها ولا حتى نفسها طالما تهدر وتهمل ثرواتها وتسارع إلى مدّ الأيادي لباقي الدول.

ربما يبدو للكثيرين أنني أحمّل الدولة والحكومات أكثر من ذنبها، لكن الفقر المتوارث لدى أهالي هذه المناطق طيلة عقود لم يمنحهم الفرصة لرفع رؤوسهم وحال دون طموحات الكثير منهم في الارتقاء بأوضاعهم المادية والاقتصادية. والسؤال المطروح هنا كيف للعائلات المقيمة في هذه المناطق أن تواصل حياتها وهي تعيش تحت وطأة الخوف من الغد ومن الشتاء ومن الفقر ومن انسداد الأفق؟

المؤسف أن أغلب الأسر في هذه المناطق تكون كثيرة الأبناء، ويرجح البعض أن ذلك يرجع أيضا للفقر وما خلفه من أمية ونقص في الوعي –لدى النساء خاصة– بضرورة اللجوء إلى وسائل التنظيم العائلي للحد من كثرة الولادات. في حين يرى آخرون أن سكان القرى والأرياف عموما يفضلون العائلة كثيرة العدد لأنهم يأملون في أن يساعدهم الأبناء في العمل الزراعي أو في توفير مورد إضافي لباقي الأسرة. ومهما اختلفت الأسباب فالنتيجة واحدة لأن واقعنا اليومي يثبت لنا صحة هذه النظرية، فالعائلات الأفقر هي التي تنجب عددا أكبر من الأبناء.

هذا ما أعيبه على الآباء والأمهات الذين بدورهم حولوا نعمة الإنجاب إلى نقمة أيضا. فطالما أنهم واعون بفقرهم وبأن لا إمكانيات مادية لديهم حاليا ولا في المستقبل لتغطية نفقات الكثير من الأبناء، لماذا ينجبون أكثر من طفل وطفلين؟ لماذا يكرر أغلبهم نفس سيناريو حياته المليئة بمشاعر الحرمان مع أبنائه؟ برأيي حريّ بالآباء والأمهات متواضعي الإمكانيات والموارد المالية أن يفكروا مليا قبل اتخاذ قرار إنجاب أبناء يذيقونهم ألوان الخصاصة والحرمان خاصة في ظل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتدهورة في تونس اليوم والتي لا تبشر بخير.

حامي عرين الفراعنة يترصد المزيد من الأرقام القياسية

عصام الحضري أكبر لاعب سنا يشارك في بطولة أمم أفريقيا

شارك عصام الحضري حارس مرمى المنتخب المصري الأول لكرة القدم في المباراة التي أقيمت بين مصر ومالي في الجولة الأولى من منافسات المجموعة الرابعة ببطولة كأس أمم أفريقيا 2017. وشارك الحضري كبديل لأحمد الشناوي ليصبح اللاعب الأكبر سنا الذي يشارك في البطولة حيث يبلغ من العمر 44 عاما.

«السد العالي» سيبقى صرحا شامخا بين عمالقة القارة السمراء

القاهرة – بات عصام الحضري حارس وقائد منتخب مصر أكبر لاعب على الإطلاق يشارك في نهائيات كأس الأمم الأفريقية لكرة القدم بعد نزوله بديلا لأحمد الشناوي الذي تعرض لإصابة خلال مواجهة أمام مالي. ويشارك الحضري (44 عاما) في البطولة للمرة السابعة وبفارق مرة واحدة عن الرقم القياسي لريجوبير سونغ مدافع الكاميرون والمصري أحمد حسن. وتجاوز الحضري حارس مرمى وادي دجلة الرقم القياسي لمواطنه حسام حسن في 2006. وعاد الحارس المخضرم لتشكيلة مصر العام الماضي لكنه حجز لنفسه مكانا في التشكيلة الأساسية في أول مباراتين لبلاده بتصفيات كأس العالم روسيا 2018 أمام الكونغو وغانا في أكتوبر ونوفمبر 2016. وفازت مصر بالمباراتين. وكان الحضري ضمن تشكيلة مصر عندما فازت بكأس الأمم الأفريقية 1998 وجلس مجددا على مقاعد البدلاء في العام 2000. وشارك في نهائيات أمم أفريقيا 2002 وقاد بلاده للفوز باللقب ثلاث مرات متتالية بين 2006 و2010.

وسلطت وسائل الإعلام العالمية والأفريقية والمصرية، الضوء على عصام الحضري، حارس مرمى منتخب مصر، الذي سجل رقما قياسيا جديدا ببطولة كأس الأمم الأفريقية، ويقترب من تحطيم رقمين آخرين في ظل وجوده كحارس أساسي لمنتخب الفراعنة. وحطم الحضري رقم مواطنه حسام حسن، الذي شارك في الأمم الأفريقية عن عمر 39 سنة و5 شهور و24 يوما، ليصبح حارس فريق وادي دجلة المصري أكبر لاعب سنًا يشارك في البطولة القارية. وفي حالة تتويج الفراعنة باللقب القاري الثامن في الغابون سينفرد الحضري بلقب اللاعب الأكثر تتويجا بالبطولة مع المنتخب المصري، وفي القارة السمراء بوجه عام حيث سبق وأن شارك في التتويج بأربعة ألقاب قارية سابقة أعوام 1998 و2006 و2008 و2010 وهو ما لم ينجح أيّ لاعب آخر في تحقيقه.

> الحضري حارس مرمى وادي دجلة تجاوز الرقم القياسي لمواطنه حسام حسن في 2006 عندما خاض المهاجم البالغ عمره آنذاك 39 عاما وخمسة أشهر و24 يوما في مشاركته الأخيرة في نهائيات كأس الأمم الأفريقية

وبعد أن حافظ الحضري على نظافة شباك الفراعنة أمام مالي في افتتاح مباريات المجموعة الرابعة لأمم أفريقيا 2017 احتل الحضري المركز الثالث في قائمة الحراس المصريين الأكثر حفاظا على نظافة شباكهم في بطولة أمم إفريقيا، بعدما حال دون اهتزاز شباكه لمدة 337 دقيقة حتى الآن، ويسعى الحارس الملقب بـ"السد العالي" للانقضاض على المركز الثاني الذي يحمله الراحل ثابت البطل حارس الأهلي الأسبق، الذي حافظ على شباك الفراعنة نظيفة لمدة 436 دقيقة.

صدارة عن جدارة

يتصدر الحارس السابق نادر السيد قائمة الحراس المصريين الأكثر حفاظا على شباكهم في بطولة أمم أفريقيا حيث حافظ على شباك منتخب مصر نظيفة طوال 490 دقيقة. وعقب مشاركة الحضري أمام مالي، أشاد الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) على موقعه الإلكتروني الرسمي، بـ"السد العالي" بعد دخوله تاريخ كأس الأمم الأفريقية باعتباره أكبر اللاعبين سنا خوضا للمباريات.

ونشرت صفحة "فيفا " الرسمية على موقع التواصل الاجتماعي تويتر صورة للحضري كتب عليها "حدث تاريخي! بعد بلوغه سن الـ44 عصام الحضري يشارك في البطولة الأفريقية كأكبر لاعب في تاريخ كأس الأمم". فيما خرجت وسائل الإعلام العربية والعالمية لتتحدث عن الإنجاز التاريخي للحارس المصري واقترابه من حراسة عرين الفراعنة بشكل أساسي خلال المباريات المقبلة بعد إصابة الشناوي وإكرامي، وهو ما يمنحه الفرصة لكسر أرقام قياسية جديدة، وكتابة اسمه مرات أخرى في تاريخ الكرة الأفريقية والعالمية. وسبق للحضري أن سجل هدفا دخل به قائمة حراس المرمى، الذين سجلوا أهدافا حول العالم، وكتب اسمه بحروف من ذهب وقتها، عندما سجل في مرمى فريق كايزر تشيفز الجنوب أفريقي في بطولة كأس السوبر الأفريقي عام 2002.

ولعل من أبرز التقارير التي صدرت خلال الساعات الأخيرة عن الحضري هو التقرير الذي أعدته القناة الإخبارية الأولى في فرنسا "بي أف أم" والتي أبرزت دخول الحضري التاريخ باعتباره أكبر لاعب سنا يشارك في أمم أفريقيا، ليسجل أفضل حدث جذب الأنظار خلال مباراة مصر مع مالي التي لم تخل من الإثارة. وقال موقع "فرانس 24" إن الحضري الذي بات أكبر لاعب سنا يخوض كأس الأمم الأفريقية كان بطل موقعة مصر ومالي، حيث بدأ الحارس المباراة على مقاعد البدلاء، قبل أن يدخل مكان أحمد الشناوي. بينما تحدثت هيئة الإذاعة البريطانية "بي بي سي" عن إنجاز الحضري، وقالت إن الحارس المصري هو حارس أسطوري بأتم معنى الكلمة، بعد أن سجل الظهور الدولي رقم 148 له، مشيرة إلى تحقيقه أربعة ألقاب في كأس الأمم الأفريقية مع المنتخب المصري.

أما صحيفة "ديلي ميل" البريطانية فذكرت أن أبرز ما جاء في مباراة مصر ومالي هو الإنجاز الذي حققه عصام الحضري، الذي جاء من مقاعد البدلاء ليدخل تاريخ أمم أفريقيا، ويمنع هدفا مؤكدا لمصطفى ماريجا مهاجم مالي ويحافظ على نظافة شباك الفراعنة . فيما ذكرت تقارير إخبارية أخرى أن الحضري دخل تاريخ أمم أفريقيا بالصدفة، بعد إصابة أحمد الشناوي في مباراة مالي، ودخوله بدلاً منه في الشوط الأول، ليؤكد أنه أعظم حارس في القارة السمراء.

أرقام تاريخية

ينتظر عشاق الساحرة المستديرة في العالم بوجه عام، وفي القارة السمراء بوجه خاص، تحقيق الحضري المزيد من الأرقام القياسية في أمم أفريقيا في ظل بقائه الحارس الأساسي لمنتخب مصر. وفي ظل عدم وجود بديل يبقى الحضري حارس عرين الفراعنة، ساعيا لتحطيم المزيد من الأرقام التاريخية. وانضم الحضري بسرعة إلى منتخب مصر، رغم أنه كان الحارس الثاني في صفوف المنتخب بعد نادر السيد لنحو أربع سنوات. بعدها بدأ الحضري في حصد الجوائز وتحقيق الإنجازات مع منتخب مصر وأصبح الحارس الأساسي أيضا للمنتخب حتى وقتنا هذا حيث لعب مع المنتخب أكثر من 100 مباراة دولية كان أولها مع ليبيريا في 6 أبريل من عام 1997. وهو بذلك سابع لاعب مصري يتم 100 مباراة مع المنتخب.

ويعتبر الحضري الآن الحارس الأول في مصر فنيا وجماهيريا رغم ما شاب ذلك من أحداث سفره المفاجئ إلى سويسرا وترك الفريق في أزمة حرّاس المرمى التي يعاني منها حتى الآن ولكنه بعد أدائه المشرف الذي أظهره في كأس القارات في جنوب أفريقيا عام 2009، حيث كان له أكبر الأثر في استحقاق منتخب مصر ولأول مرة الفوز على نظيره الإيطالي الذي دخل البطولة بصفته بطلا للعالم ثم مجهوده الرائع في مباراة المنتخب المصري مع منتخب أميركا في نفس المجموعة، كل ذلك أدى لرغبة الجماهير في الاستمتاع بأداء هذا الرياضي المتميز في رفع فرص المنتخب المصري في الأعوام الباقية له على البساط الأخضر.

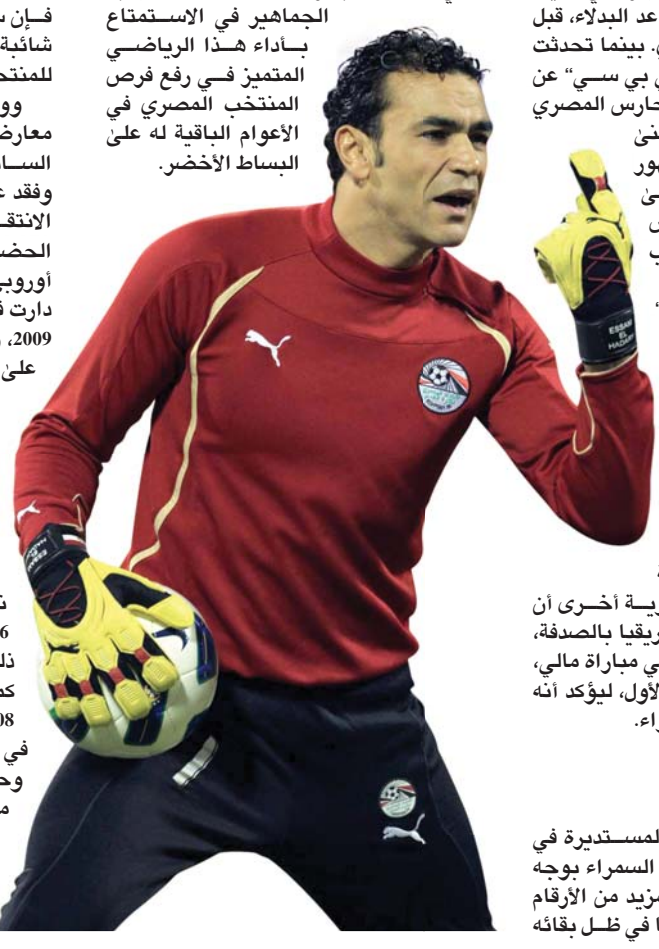

ويعتبر الحضري أفضل حراس المرمى في مصر على مر التاريخ وهو الحارس الوحيد الذي سيبقى اسمه محفورا في أذهان محبي وعشاق كرة القدم في مصر والعالم العربي إلى عقود طويلة قادمة نظرا لما يتمتع به هذا الرياضي من لياقة وسرعة بديهة وتركيز وإخلاص شديد ظهر بشدة في مباراة العمر التي تألق فيها عصام الحضري عندما لعب أمام بطل العالم المنتخب الإيطالي في بطولة كأس القارات التي انتهت بفوز أسطوري للمنتخب المصري 0–1 بسبب وجود الحارس العملاق بعد أن أنقذ مرمى المنتخب من أكثر من هدف محقق، بالإضافة إلى أنه الحارس الوحيد في أفريقيا الفائز ببطولة الأمم الأفريقية لثلاث مرات متتالية وهو إنجاز قاريّ لم يسبقه إليه أحد على مر العصور.

شعبية متراجعة

غير أن شعبيته قد تراجعت منذ انتقاله المثير للجدل إلى صفوف سيون السويسري، عندما حاول الحضري والنادي السويسري استخدام القانون لإتمام الصفقة ضد رغبة الأهلي. وبالرغم من أنه انضم إلى سيون، فإن سمعة اللاعب التي لم تكن تشوبها شائبة من قبل، شوّهت في المباريات الدولية للمنتحب المصري.

وواجه الحضري بالفعل منذ ذلك الحين معارضة واستهجانا من قبل مشجعي ناديه السابق خلال مباريات المنتخب الوطني وفقد عددا من اتفاقات الرعاية. ولم يكن الانتقال إلى سويسرا جيدا بالنسبة إلى الحضري الذي كان أعلن نيته البحث عن ناد أوروبي جديد بعد بطولة كأس القارات التي دارت فعالياتها في جنوب أفريقيا في العام 2009، وإن كان قد ساهم في حصول ناديه على كأس سويسرا خلال لعبه في صفوفه.

ويعتبر الحضري أفضل حراس المرمى في تاريخ مصر وحصل على لقب أفضل حارس مرمى في ثلاث بطولات لأمم لكرة القدم في 2006 و2008 و2010 حين تصدى لركلتي جزاء بعدما تعادل المنتخب المصري سلبيا مع منتخب كوت ديفوار في نهائي كأس الأمم الأفريقية لكرة القدم 2006، وحصل المنتخب المصري بعد ذلك على كأس الأمم الأفريقية لذلك العام. كما كان لأدائه البطولي في أمم غانا 2008 وهي البطولة الأصعب أبلغ الأثر في حصول منتخب مصر على البطولة وحصول الحضري على أفضل حارس مرمى في تلك البطولة.

وحصل المنتخب المصري بعد ذلك على كأس أمم أفريقيا في أنغولا 2010 وتوّج الحضري بجائزة أفضل حارس مرمى في تلك البطولة.

السيرة الذاتية

● حارس مرمى مصري، اسمه بالكامل عصام كمال توفيق الحضري، ولد في 15 يناير عام 1973، يعد أكثر حراس مرمى منتخب مصر مشاركة في المباريات الدولية برصيد 114 مباراة، ساهم بشكل أساسي في حصول نادي الأهلي والمنتخب على عدد كبير من البطولات، حتى أنه لقّب بـ"السد العالي" و"حارس مصر الأول".

● أحب عصام الحضري كرة القدم منذ طفولته، وحصل على دبلوم الزراعة بفضل حبه لكرة القدم حيث تقدم للمدرسة لأن فريقها يشارك في دوري المدارس.

● حصل الحضري في بطولات دوري المدارس على لقب هداف البطولة حيث كان يلعب الكرة من المرمى ليدخلها هدفا في مرمى الخصم على اعتبار أنها ضربة حرة غير مباشرة، لذا تنبأ له أساتذته بمستقبل كبير في كرة القدم. وبدأ تميزه الكروي من خلال الانضمام إلى صفوف فريق ناشئي ملعب دمياط حتى انضم إلى نادي دمياط ولعب معه ثلاثة مواسم.

● كانت نقطة التحول بالنسبة إليه في موسم 94–93، بعد أن صعد نادي دمياط إلى الدوري الممتاز وحقق الحضري صيتا واسعا، فوقع عليه الاختيار كأحد حراس مرمى منتخب مصر الأول. في نفس الموسم وقع الحضري عقد انضمامه إلى النادي الأهلي، ولكن لم ينضم فعليا إلا بعد عام ونصف العام من توقيع العقد حيث بدأ مبارياته كاحتياطي للكابتن أحمد شوبير الذي أدركته الإصابة بعد انضمامه بمباراتين ليصبح الحضري الحارس الأول لفريق النادي الأهلي.

● خلال مشواره مع النادي الأهلي استطاع تحقيق العديد من البطولات حيث فاز مع الفريق ببطولة الدوري الممتاز 8 مرات، وبطولة كأس مصر 7 مرات، وكأس السوبر المصري 4 مرات، كما حصل على بطولة دوري أبطال أفريقيا 3 مرات، وكأس السوبر الأفريقية 3 مرات، وأخيرا برونزية كأس العالم للأندية في اليابان عام 2006.

● يعد الحضري أكثر حراس مرمى منتخب مصر مشاركة في المباريات الدولية، وصاحب الإنجازات الكبيرة مع المنتخب منها كأس الأمم الأفريقية. حصل على لقب أفضل حارس مرمى في دوري أبطال أفريقيا للعديد من المرات.

● قام الحضري بفسخ تعاقده مع الأهلي في واقعة أثارت جدلا واسعا، لينضم إلى نادي سيون السويسري الذي تركه ليتنقل بين الإسماعيلي والمريخ السوداني. والآن حط الرحال بفريق وادي دجلة المصري.

المغرب ينعش آماله في كأس أمم أفريقيا بفوز كبير على توغو

ساحل العاج «حامل اللقب» يواصل نزيف النقاط

أنعش المغرب آماله في التأهل لدور الثمانية لكأس الأمم الأفريقية لكرة القدم بعدما حول تأخره بهدف مبكر إلى فوز كبير 1/3 على توغو، الجمعة، ضمن منافسات المجموعة الثالثة.

❑ **أويم (الغابون)** – رفع المغرب رصيده إلى ثلاث نقاط في المركز الثاني بعد فوزه، الجمعة، على توغو 1/3، وبذلك يصبح أسود الأطلس متأخرين بنقطة واحدة عن الكونغو الديمقراطية التي تعادلت 2–2 مع ساحل العاج حامل اللقب الذي يحتل المركز الثالث بنقطتين، بينما يتذيل توغو الترتيب بنقطة واحدة.

وبعد هزيمته أمام الكونغو الديمقراطية في المباراة الأولى كان المغرب الفائز باللقب في 1976 بحاجة للانتصار للحفاظ على آماله في التأهل، لكن البداية كانت صادمة عندما منح ماتيو دوسيفي التقدم لتوغو في الدقيقة الرابعة بعد هجمة مرتدة.

وأدرك عزيز بوحدوز التعادل للمغرب في الدقيقة 15 بضربة رأس إثر ركلة ركنية نفذها فيصل فجر، وانضم بوحدوز مهاجم سانت باولي الألماني بدلا من أسامة طنان لاعب سانت إيتيان الفرنسي الذي أصيب قبل انطلاق البطولة.

وقفز رومان سايس أعلى من الجميع ليحوّل الكرة إلى داخل الشباك بضربة رأس إثر ركلة حرة نفذها فجر في الدقيقة 22، وسدد يوسف الناصيري من خارج منطقة الجزاء لتصطدم الكرة بالأرض وتخدع كوسي أغاسا حارس توغو وتهز الشباك في الدقيقة 72، واختير فجر كأفضل لاعب في المباراة.

وقال الفرنسي هيرفي رينارد، المدير الفني للمنتخب المغربي، إن فريقه سيكون "على أهبة الاستعداد" لمواجهة ساحل العاج، الثلاثاء، في الجولة الثالثة والأخيرة للمجموعة الثالثة.

وأكد رينارد "أعلم تماما بأن مباراة ساحل العاج ستكون صعبة، ولا بد أن نكون على أهبة الاستعداد لتلك المباراة، ولا بد من الترشح لربع النهائي".

وعن الفوز على توغو، قال "أخيرا تنفست الصعداء بتحقيق الفوز بعد هزيمتنا في المباراة الأولى أمام الكونغو الديمقراطية، حيث تحلينا الجمعة بالفاعلية، والدليل على ذلك أنه عندما تم تسجيل هدف مبكر في مرمانا لم نتأثر، وسعينا جاهدين للحفاظ على التركيز".

وأضاف "نحن نبحث دائما عن المنظومة الجيدة داخل الملعب، وواجهنا منتخبا قويا بحجم توغو، فهم لديهم الكثير من اللاعبين ذوي الفنيات الفردية العالية".

وختم رينارد تصريحاته، بالقول "هذا الفوز سيجعلنا نخوض المباراة الأخيرة أمام ساحل العاج بمعنويات عالية".

وفي المقابل، تلقت آمال ساحل العاج في الدفاع عن لقب كأس الأمم الأفريقية لكرة القدم 2017 ضربة جديدة، الجمعة، بعد التعادل 2/2 مع الكونغو الديمقراطية في نفس المجموعة.

وعقب التعادل السلبي مع توغو في المباراة الافتتاحية للمجموعة الثالثة تركت نتيجة الجمعة منتخب ساحل العاج في موقف خطير بعد أن جمع نقطتين فقط، بينما يتصدر المنتخب الكونغولي الترتيب برصيد أربع نقاط، ويتأهل أول منتخبين في كل مجموعة للدور التالي.

وتقدمت الكونغو الديمقراطية في الدقيقة العاشرة عبر نيسكينز كيبانو قبل أن يدرك ويلفريد بوني التعادل لحامل اللقب في الدقيقة 26، لكن حالة التعادل لم تدم سوى دقيقتين، حيث أعاد جونيور كبانانغا التقدم للكونغو الديمقراطية، وأدرك جوفري سيري دي التعادل لساحل العاج في الدقيقة 67.

وكان بوسع سالومون كالو أن ينتزع الفوز لساحل العاج بعد أن سجل هدفا إثر ركلة حرة بعيدة بعد مرور دقيقتين على بداية الوقت بدل الضائع، لكن الحكم أشار لوجود تسلل.

> مباراة المغرب وساحل العاج ستكون حاسمة للفريقين من أجل اقتلاع ورقة التأهل لدوري الثمانية، بينما بوسع الكونغو الديمقراطية انتزاع قمة الترتيب إذا ما فازت على توغو

بداية الصحوة

وتعامل كبانانغا مع الكرة بشكل مثالي ليسمح للاعب الوسط كيبانو بالتسديد مباشرة محرزا هدف التقدم، واستفاق منتخب ساحل العاج ولعب بوني الكرة برأسه فوق المرمى إثر تمريرة عرضية من سيرج أوريه، وأضاع بوني فرصة أخرى بعد أن فشل في التعامل بسرعة مع الموقف بعد أن سقطت الكرة من بين يدي حارس الكونغو الديمقراطية، لكن اللاعب ذاته هز الشباك في الدقيقة 26 بعد أن قفز عاليا ليسجل برأسه إثر ركلة ركنية نفذها ماكس آلان جرادل، وبعدها بدقيقتين وجد كبانانغا نفسه غير مراقب ليسجل برأسه في ظل غياب دفاع ساحل العاج.

وفي الشوط الثاني سنحت بعض الفرص للمنتخبين قبل أن يسدد سيري دي من خارج منطقة جزاء الكونغو لتصطدم الكرة بمارسيل تيسران وتغير اتجاهها لتسكن الشباك في الدقيقة 67.

واعترف لاعب ساحل العاج سيرج أوريه، أن منتخب بلاده تنتظره مباراة حاسمة ومصيرية الثلاثاء أمام المغرب، وقال "تنتظرنا مباراة هامة ومصيرية أمام المغرب، ونسعى بلا شك لنحصد اللقب القاري ونحافظ عليه، كما أنها ستكون ضد مدربنا السابق الفرنسي هيرفي رينارد والذي يتولى حاليا تدريب المغرب، لذا فإنها ستكون مباراة هامة".

وأضاف أوريه "وضعنا كل المقومات اللازمة في لقاء الجمعة أمام الكونغو الديمقراطية، وكان التخاطب بيننا على أرضية الملعب بشكل جيد، وكل ما أود قوله هو أننا على ما يرام".

وتابع بالقول "أهم شيء هو ألا يتم إقصاؤنا من البطولة، ولو عدنا بالذاكرة للنسخة الماضية للبطولة التي أقيمت عام 2015 فقد كانت بدايتنا ضعيفة، ورغم ذلك فزنا باللقب". وستلعب ساحل العاج مباراتها الأخيرة في دور المجموعات أمام المغرب في أويم يوم الثلاثاء، بينما بوسع الكونغو الديمقراطية انتزاع قمة الترتيب إذا ما فازت على توغو في بورت جنتيل في نفس الوقت.

ليفا مدهش.. ليفا ليس أسطورة بعد

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

❑ كثيرا ما يجود الزمان في عالم الرياضة وكرة القدم خاصة، بلاعبين موهوبين واستثنائيين بل عباقرة، لكن هذا الزمان يحكم عليهم بأن يرتبطوا بمنتخبات تكون أحيانا ضعيفة وليست لديها القدرات الكفيلة بالوصول إلى القمة، أمثال هؤلاء اللاعبين كثر، ومنهم النجم السويدي البارع زلاتان إبراهيموفيتش الذي يعتبر منذ سنوات أحد أقوى وأشهر وأبرز المهاجمين في العالم.

"إبرا" حقق عدة ألقاب مع الأندية التي لعب لها، لكنه لم يتذوق طعم التتويج مع منتخب بلاده، وثمة أيضا من أكسب منتخب بلاده لون النجاح والتألق مثل الروماني جورج هاجي أو "مارادونا" أوروبا الذي حوّل المنتخب الروماني في حقبة التسعينات من القرن العشرين من مجرد منتخب يكمل عدد المتنافسين فحسب، إلى منتخب قويّ حقق نتائج خلدها التاريخ وخاصة في مونديال 1994، وثمة أيضا البلغاري هريستو ستويشكوف نجم برشلونة السابق الذي قاد منتخب بلاده في تلك الحقبة أيضا إلى أعلى المرات العالمية، لكن بمجرد اعتزال هاجي وستويشكوف، غاب منتخبا رومانيا وبلغاريا في الزحام، وأضحيا بلا قوة ولا أيّ محرك يقودهما نحو الأمام.

اليوم، بل ومنذ سنوات قليلة، أمكن لمدرسة أوروبا الشرقية أن تنجب نجما رائعا وقويا لا يشق له غبار، نجم عبقري وهداف بالفطرة استطاع أن يشغل الناس ويملأ الدنيا أهدافا ويسعد كافة متابعيه وأنصار فريقه، لعب في أحيان عديدة دور المنقذ ودور الهداف الخارق والرسام البارع في عالم تدوير الكرة وهز الشباك، إنه البولندي روبرت ليفاندوفسكي مهاجم بايرن ميونيخ الألماني وهدافه الأول.

في بداية مسيرته الرياضية لم يكن لاعبا معروفا، حيث نشط مع فرق بولندية ليس لديها أيّ صيت في أوروبا، لكن سنة 2010 اكتشفه نادي بوروسيا دورتموند، حيث انتبه كشافو هذا الفريق إلى براعة اللاعب وحاسته التهديفية الاستثنائية، وبسرعة انتقل اللاعب الموهوب والمغمور إلى دوريّ أكثر قوة وطموحا.

نضج ليفا سريعا، وبدأ يشق بسرعة البرق طريق النجاح، ليساهم في حصول فريقه على بعض الألقاب وأهمها لقب الدوري الألماني في موسمين متتالين، وساعده أيضا على الوصول إلى المباراة النهائية لدوري أبطال أوروبا، لكن الفريق خسر أمام "الغريم" بايرن ميونيخ.

بعد أربعة مواسم مليئة بالنجاحات والأهداف والتألق اللافت، نجح "غريم" الأمس في إغوائه، حيث لم يجدّد ليفاندوفسكي عقده مع بوروسيا تمهيدا لانتقاله إلى البايرن وهو ما حصل سنة 2014، ليزيد طموح اللاعب وتكبر أحلامه ويكرّس مكانته ضمن أقوى وأفضل المهاجمين ليس في ألمانيا فسحب، بل وفي أوروبا.

تأقلم ليفا مع الفريق البافاري لم يكن صعبا، فبحكم لعبه طيلة أربع سنوات مع بوروسيا دورتموند وبحكم الجوار بين بلده بولندا وألمانيا، فإنه اندمج بسرعة مع الفريق وقدم أوراق اعتماده، ليواصل ممارسة هوايته في تسجيل الأهداف إلى درجة أنه سجل ذات مباراة خلال الموسم الماضي خمسة أهداف كاملة في مباراة واحدة، بل في ظرف لا يتجاوز تسع دقائق.

لقد توّج على العرش في الفريق البافاري وبات رقما صعبا فيه، بما أنه كان بمثابة القاطرة التي تقود زملاءه نحو الأمام، بفضل أهدافه الحاسمة وقدرته الفائقة على مغالطة المنافسين.

في نهاية الموسم الماضي وفي آخر محطة للمدرب الإسباني غواردیولا مع البايرن ساهم ليفاندوفسكي في مواصلة فريقه بسط نفوذه محليا، لكن رغم ذلك ظل حلم الحصول على لقب دوري الأبطال عصيا على ليفا والبايرن.

في الموسم الحالي حافظ المهاجم البولندي على سالف تألقه وإشعاعه، حيث سجل 16 هدفا بالتمام والكمال في 17 مباراة، متربعا على عرش صدارة الهدافين بمعية نجم فريقه السابق بوروسيا أوباميانغ، لكن ثمة حقيقة بدت تتضح من مباراة إلى أخرى وتتمثل في أن هذا اللاعب ليس مجرد هداف فقط، بل هو "سوبرمان" الفريق ومنقذه في الأوقات الصعبة، وما حصل مساء الجمعة الماضي في ملعب فرايبورغ يؤكد ذلك، بما أن "الليفا" قلب الطاولة على المنافس وسجل هدفين حاسمين منحا بهما نقاط الفوز للبايرن.

يملك هذا اللاعب حاسة تهديف غير عادية، فمن أنصاف الفرص يقدر على مباغتة أعتى الدفاعات وأقوى الحراس، الأمر الذي جعله "مطمعا" وحلما لكل الفرق القوية الأخرى، وأبرزهم على الإطلاق ريال مدريد الذي يبدو أن إدارته مستعدة لتقديم الغالي والنفيس من أجل الظفر بخدمات المهاجم البالغ من العمر 28 ربيعا، بيد أن إدارة البايرن لم تلق أيّ بال لكل الإغراءات، فهي لن تقبل بالتفريط في "ديكها الذي يبيض أهدافا ذهبية".

في القابل، هل يمكن القول إن هذا اللاعب قادر على تخليد اسمه ضمن أساطير اللعبة على مرّ التاريخ؟ الإجابة عن سؤال كهذا قد لا تحتاج إلى الكثير من التأمل والبحث، لأن الانتماء إلى نادي الأساطير يتطلب تحقيق إنجازات خرافية أشبه بالمعجزات، في هذا السياق يحق لمارادونا وبيليه وزيدان وبوفون وهاجي وستويشكوف وغيرهم كثر الولوج إلى هذا النادي على الرحب والسعة، لكن الوقت لم يحن بعد أمام روبرت ليفاندوفسكي كي تتم تسميته ضمن هذه القائمة، لأن من الشروط الأساسية لهذا النظام هو تحقيق إنجازات خرافية، وخاصة على الصعيد الدولي مع المنتخبات.

ربما يبدو ليفاندوفسكي مؤهلا أكثر من غيره لتحقيق هذا الإنجاز بما أنه النجم الأول والأبرز والمحور الذي يدور حوله منتخب بولندا، وبالتالي يتعين عليه أن يعوض خيبة يورو 2016، وينجح في تأهيل منتخب بلاده إلى مونديال 2018 ثم تحقيق نتائج باهرة، حينها يمكن أن يكتمل قمر الليفا، ويحق له أن يكون ضمن معشر العباقرة والأساطير.

ليفربول يتلقى صفعة قاسية من سوانزي

❑ **لندن** – كان ليفربول طرفا في أكبر مفاجأة بالدوري الإنكليزي الممتاز لكرة القدم هذا الموسم، وذلك بعد أن أوقف سوانزي سيتي انتفاضة فريق المدرب يورغن كلوب ليفوز عليه 3/2 السبت، محققا انتصاره الأول على الإطلاق في إنفيلد.

وابتعد الفريق الويلزي عن منطقة الهبوط بفوز رائع شكل مفاجأة لجماهير ليفربول التي لم تشاهد هزيمة فريقها المنافس على اللقب على ملعبه منذ الخسارة أمام مانشستر يونايتد قبل عام واحد.

وكان الإسباني الدولي فرناندو يورينتي بطل الفوز الأول في الدوري لسوانزي تحت قيادة مدربه بول كليمنت، بعدما افتتح التسجيل ومن مدى قريب بعد دقيقتين من بداية الشوط الثاني قبل أن يضاعف النتيجة بعد ذلك بخمس دقائق من ضربة رأس.

وبعدما سجل روبرتو فيرمينو هدفين رائعين بدا أن الفريق الزائر ربما يتعرض لانتكاسة، لكن جيلفي سيجوردسون سجل هدف الفوز في الدقيقة 74.

وانتهى الشوط الأول بين الفريقين بالتعادل السلبي، لكن مع بداية الشوط الثاني وبالتحديد في الدقيقة 48 افتتح سوانزي التسجيل عن طريق فرناندو لورينتي، عندما لعب ركلة ركنية داخل منطقة جزاء ليفربول قابلها فيديريكو فرنانديز بضربة رأس لتحدث حالة من الارتباك داخل منطقة الجزاء، قبل أن تتهيأ الكرة أمام لورينتي داخل منطقة الست أمتار ليقابلها بتسديدة قوية إلى داخل المرمى.

وكشف ليفربول من هجماته بحثا عن تعديل النتيجة، بعد الهدف الذي تلقاه، لكن فريق سوانزي استغل الاندفاع الهجومي وتمكن من تسجيل الهدف الثاني في الدقيقة 53، عندما مرر مارتن أوسن كرة عرضية رائعة من الناحية اليسرى ارتقى إليها وقابلها ليورنتي بضربة رأس قوية سكنت مرمى الحارس مينيوليه.

ولم تمر سوى دقيقة واحدة فقط حتى تمكن ليفربول من تقليص الفارق بكرة عرضية من الناحية اليسرى ارتقى إليها روبرتو فيرمينو وقابلها بضربة رأس قوية سكنت مرمى الحارس فابيانسكي.

وأسفرت الهجمات المتتالية لليفربول عن تسجيل هدف التعادل في الدقيقة 69 عن طريق روبرتو فيرمينو.

ورغم الضغط الهجومي لفريق ليفربول، إلا أن سوانزي تمكن من تسجيل الهدف الثالث في الدقيقة 74 عندما توغل توماس كارول داخل منطقة جزاء ليفربول قبل أن يبعد أحد المدافعين الكرة، لتتهيأ أمام جيلفي سيجوردسون الذي وضعها لحظة سقوطه إلى داخل المرمى معلنا تقدم سوانزي 3/2.

هزيمة غير منتظرة لـ«الحمر»

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

وصول ترامب إلى الحكم ينعش السياحة ببلد زوجته

تسلّم دونالد ترامب رئاسة الولايات المتحدة الأميركية يجعل مسقط رأس زوجته ميلانيا يأمل في انتعاشة بقطاعي التجارة والسياحة، مع توقعات أن تشهد بلدة سفنيشيا مسقط رأس السيدة الأولى في سلوفينيا إقبالا سياحيا كبيرا بدأت بوادره منذ فوز ترامب في الانتخابات الرئاسية في نوفمبر الماضي.

❏ **واشنطن** – يتوقع أن يعود وصول السيدة الجديدة للبيت الأبيض صحبة زوجها الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأميركية دونالد ترامب، والذي استلم منصبه رسميا الجمعة، بالنفع على موطنها الأصلي سلوفينيا على المستويين التجاري والسياحي.

وتستند هذه التوقعات إلى انتعاش بيع فطائر التفاح التي أطلق عليها اسم ميلانيا ترامب في مخبز كروهيك في بلدة سفنيشيا السلوفانية مسقط رأس السيدة الأولى للولايات المتحدة، حيث باتت فطائر التفاح تباع بسرعة فائقة منذ فوز ترامب في الانتخابات الرئاسية.

وقالت إحدى البائعات في المخبز "نبيع أكثر من 100 فطيرة في اليوم، ومن ثم فإن هذه الفطائر منتجنا الرئيسي هذه الأيام.. يوم عملنا أطول، ولكننا سعداء وفخورون بميلانيا".

وقال المرشد السياحي يانيز ليفستيك إن أعداد السائحين تضاعفت خلال العام الأخير عندما زاد الاهتمام بميلانيا خلال الحملة الانتخابية الرئاسية لزوجها دونالد ترامب.

وأفادت مويكا بيرنوفسك رئيسة المكتب المحلي للسياحة "كنا غير مستعدين إلى حدّ ما لهذا الاهتمام في البداية، لكننا الآن اعتدنا على ذلك ونتوقع زيادة أعداد السائحين بشكل أكبر في المستقبل".

ومع أداء ترامب اليمين ليصبح الرئيس الخامس والأربعين للولايات المتحدة دعا مجلس البلدية السائحين والصحافيين إلى سفنيشيا، الجمعة، للانضمام إلى الاحتفالات.

وكانت فطائر ميلانيا والبيرغر الرئاسي من بين ما تقدمه المطاعم والمقاهي في البلدة الواقعة في جنوب شرق سلوفينيا على ضفاف نهر سافا وتحيط بها التلال المغطاة بالغابات.

وقضت ميلانيا التي ولدت في 1970 معظم فترة شبابها في سفنيشيا في شقة في وسط البلدة قبل أن ترحل إلى العاصمة ليوبليانا للالتحاق بمدرسة ثانوية، وبدأت العمل كعارضة للأزياء وسنها 16 عاما، ثم واصلت مشوارها في ميلانو وباريس قبل الذهاب إلى نيويورك في 1996، ويعيش والدها تاجر السيارات السابق فيكتور كنافس وزوجته أميليا في سفنيشيا عندما لا يكونان في الولايات المتحدة مع ابنتيهما.

وقال ليفستيك "حتى الآن لدينا في الأغلب سائحون سلوفينيون، ولكن نتوقع أن يأتي المزيد من الخارج في المستقبل، لا سيما من الدول المجاورة".

ولن يرى الزائرون صورا لميلانيا في البلدة التي يقطنها نحو خمسة آلاف نسمة بعد أن تمت إزالة هذه الصور عقب توجيه محاميها إنذارا في نوفمبر الماضي بأنه غير مسموح باستخدام صور ميلانيا لأغراض تجارية دون موافقتها.

واختارت ميلانيا (46 عاما) معطفا قصيرا للغاية أزرق اللون من ابتكار المصمم الأميركي الشهير رالف لورين وثوبا بنفس اللون لمراسم التنصيب في واشنطن. لكن الثوب الذي خطف الأنظار وحاز أكبر قدر من التعليق كان معطفا بألوان العلم الوطني الأحمر والأبيض والأزرق وله أزرار نحاسية مع قبعة حمراء ارتدته كيليان كونواي المعاونة البارزة للرئيس دونالد ترامب.

وقد أعاد المعطف القصير مزدوج الصدر من تصميم غوتشي إلى الأذهان عصر الثورة الأميركية واجتاح وسائل الإعلام. وأطلق زي كونواي شرارة نحو 28 ألف تغريدة في ثلاث ساعات. ووصفته كونواي في مقابلة مع تلفزيون "إن.بي.سي" بأنه "الزي الثوري لترامب". وعلقت مجلة "ديلي شو" الساخرة على تويتر قائلة إن كونواي "ارتدت ملابس على نسق العصر الذي يريد ترامب أن يعيد أميركا إليه".

وميلانيا ترامب هي أول سيدة أميركية أولى تأتي من عالم الأزياء، فقد بدأت حياتها عارضة في سن المراهقة في بلدها سلوفينيا وظهرت على أغلفة مجلات مثل مجلة "فوغ".

أول سيدة أميركية أولى تأتي من عالم الأزياء

صباح العرب

حكيم مرزوقي

هذا وجه الضيف

❏ الضيف في يومه الأول، بشوش المحيّا، أنيق الهندام، معتدل الجلسة، حليق الذقن، مقلم الأظافر، قليل الأكل والمحادثة، كثير الاستماع والملاطفة.. ويهزّ بالموافقة على كل شيء.

المضيف في يومه الأوّل يكاد يستنفد كلّ عبارات الملاطفة وأفعال التبجيل والتفضيل.

الضيف في يومه الثاني يستيقظ مثل أمير، يخرج من حمّامه الصباحي نحو مائدة الفطور، فيسأله أهل الدار إن كان قد نام جيّدا، يقولون له "خذ راحتك، البيت بيتك"، ثمّ ينصرف بعضهم إلى العمل وهم يعتذرون.

يبدأ الضيف بالتنقّل في أرجاء البيت، يبادر بفتح الأحاديث والثلاجة والأدراج، يبدي الملاحظات والاقتراحات ثمّ يلامس بعض الخصوصيات، كأن يدخل المطبخ أو يعدّل من المحطّات التلفزيونية، أو يجري مكالمة من تليفونهم الأرضي، أو يمدّ يده لتصفّح ألبوم العائلة.

المضيف في يومه الثاني يتناول مع نزيله عشاء اعتياديا، يتوجّه بالحديث إلى باقي أسرته وقد يفتعل معهم مشاجرة، ينظر في ساعته ويبدأ الاثنان بالتثاؤب وتبادل عبارات الصمت.

الضيف في يومه الثالث يلقي النكت فيضحك لها وحده، يعطس فلا يشمّته أحد.. وقد يجلي الفناجين والصحون، فلا يقال له "دع عنك". الضيف في يومه الثالث يرتّب فراشه ويكوي ملابسه بنفسه منتعلا "الشحّاطة" أو "الشبشب" أو "المشاية" أو "الشلاكة" بحسب لهجة البلد العربي الذي ينزل فيه.

قد لا يتردّد الضيف في استدعاء ضيف له عند مقرّ إقامته، وينتظر من أهل البيت القيام بواجب الضيافة وحسن الاستقبال إزاء ضيفه.

المضيف في اليوم الثالث يبدأ حديثه بقوله "لا شكّ أنك قد اشتقت لأهلك وبلدك، لا تنس أن تبلّغهم السلام"، وينهيه بمدح مآثر الاستقرار وذمّ مثالب السفر والاغتراب، ثم يأتي لضيفه بهدية رمزية، ويتولّى مهمّة السؤال بنفسه عن مواعيد انطلاق وسائل النقل، مثنيا أمام نزيله على فوائد السفر المبكّر.

ترك الضيف مكان جلوسه ونومه لضيف جديد، إلاّ أنّه لم يغادر.. لقد صار يسكن غرفة الناطور المتوفى في نفس البناية، ويعمل على تلبية حاجيات أهل الدار وضيوفهم منذ أربعين عاما. ها هو الآن ينتعل نفس "الشحّاطة"، يكنس الأدراج، يحمل أمتعة القادمين والمغادرين، وينظر إلى حقيبته الصامتة وحذائه تحت غبار الأيام.

الحقيقة أنّ ضيفنا هذا لم يكن ضيفا، فلا سبيل له كي يعبره، ولا أهل له كي يعود إليهم محمّلا بالهدايا، ولا بلاد له كي يهزّه الحنين إليها.. ولا ضيف يطرق بابه. فيا صديقي ناطور البناية التي كنت أسكنها في دمشق: هذا وجه الضيف، وقد بلّله ماء الخجل ونمشته الأهبة الدائمة للرحيل.

اختفت تجاعيده تحت مكواة الخوف والانتظار، نسي الغضب وأدمن الاعتذار.

بقي مبتسما وملوّحا بيده منذ لحظة المغادرة، ظلت عقارب الساعة في المحطات تنتظره دون جدوى. ليس للضيف المزمن إلاّ حقيبة وحذاء دون طريق، وابتسامة يخلعها عند نوم، بل أحلام.

مي سليم بطلة «السبع صنايع»

❏ **القاهرة** – بدأت الفنانة الأردنية مي سليم تصوير أول مشاهدها في مسلسل "السبع صنايع"، الذي يعتمد على الحلقات المنفصلة المتصلة الكوميدية، وهو من إخراج تغريد عصفوري وماري باديز، والمقرر عرضه في شهر رمضان المقبل، حيث تخوض به تجربة البطولة الأولى في الدراما التلفزيونية.

مسلسل "السبع صنايع" يشارك في بطولته شريف رمزي وإنجي وجدان وإنعام سالوسة وياسر الطوبجي وشيماء سيف، ويظهر فيه عدد كبير من نجوم الصف الأول كضيوف شرف منهم منى زكي وأحمد السقا وكندة علوش ونيللي كريم وحسن الرداد وآخرون.

ومن ناحية أخرى قاربت مي على الانتهاء من تصوير مشاهدها الأخيرة في مسلسل "اختيار إجباري" الذي يتم عرض حلقاته حاليا، ويشارك في البطولة خالد سليم وكريم فهمي وأحمد زاهر، كما تصور أيضا فيلمها الجديد "خير وبركة" مع على ربيع ومحمد عبدالرحمن وإخراج سامح عبدالعزيز وإنتاج أحمد السبكي.

وبدأت مي سليم مشوارها الفني كمغنية، حيث انضمت لشركة "عالم الفن" عام 2004 وأنتجت لها الشركة عددا من الألبومات والفيديوهات المصورة، وبعد أن حققت نجاحا كبيرا كمغنية اتجهت للتمثيل في فيلم "الدبلر" عام 2010 أمام أحمد السقا وخالد النبوي، وبعد نجاحها في الفيلم شاركت في عدة أعمال مثل مسلسل "فرتيجو"، وشاركت أيضا في مسلسل "الوالدة باشا" ومسلسل "مزاج الخير" ومسلسل "خلف الله" ومسلسل "بدون ذكر أسماء"، إلا أن مسلسلها القادم "السبع صنايع" يعد أول بطولة مطلقة لها في مسيرتها الفنية.

فلسطينية ترسم المشاهير بالسكر

❏ **غزة** – جسدت الشابة الفلسطينية مشيرة منصور التي مزجت بين مهارتها في إعداد الطعام وهوايتها الفنية، مقولة "في الفن لا حدود للإبداع"، فأخرجت لوحات فنية غاية في الجمال بطرق غير مألوفة كالرسم بالسكر والتوابل.

وقبل نحو عامين، ومنذ أن كانت طالبة بكلية الفنون التشكيلية في جامعة الأقصى بقطاع غزة، ومشيرة حائزة على لقب "الفنانة الشيف"، الذي أطلقه عليها الرئيس الفلسطيني محمود عباس، بعد أن رسمت بالسكر لوحة فنية للرئيس الراحل ياسر عرفات، لاقت استحسان وإعجاب شعبها.

استبدلت مشيرة التي قررت ألا تكون حبيسة المطبخ، اللوحات الورقية بأطباق الطعام البيضاء الفارغة، وألوان الإكريليك بمواد للطعام.

والمتابع لها عن قرب يعتقد أنها تجهّز مائدة الطعام أو وصفة لإحدى الأكلات، خلال ترتيبها لمعدات الرسم (أطباق، ملاعق، سكاكين) على المائدة، لكنها في الواقع تتجهز لكي تبدأ برسم لوحة فنية جديدة.

وعن سبب اختيارها لمادة السكر تحديدا في رسم الرئيس الراحل ياسر عرفات، أوضحت مشيرة أنه "شخصية محبوبة لدى الشعب الفلسطيني"، واعتبرت أن "كل لوحة أرسمها تحمل مضمونا ورسالة مختلفة، وتجسّد قضية أريد توصيلها إلى العالم".

وتستخدم مشيرة مختلف البهارات في رسم لوحاتها التي تنشرها على مواقع التواصل الاجتماعي، إلى جانب حبات الرمان، والخضار، والأرز، والكاتشب.

ووفقا للفنانة التشكيلية فإن لوحاتها "لاقت إعجاب الآلاف من المتابعين لها"، ولفتت إلى أنها بدأت باستخدام التوابل وأواني الطهي في لوحاتها الفنية في عمر الـ18.

وتابعت مشيرة "مزجت بين مهارتي في إعداد الطعام والرسم، في إتقان رسم اللوحات بالتوابل، ولاقيت تشجيعا من عائلتي، وأساتذتي في الجامعة".

وكانت المونالیزا أول لوحة فنيّة رسمتها مشيرة باستخدام أدوات الطعام، مستعينة بحبّات الرمّان، واستقطبت اللوحة نحو مليوني إعجاب على صفحتها بفيسبوك.